جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الصابوني ومنهجه في التفسير من خلال كتابه صفوة التفاسير

إعداد
عصام أحمد عرسان شحادة

إشراف
د. حسين النقيب

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس

2013

الصابوني ومنهجه في التفسير من خلال كتابه صفوة التفاسير

إعداد

عصام أحمد عرسان شحادة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ: 2013/7/9م، وأُجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:	التوقيع:
- د. حسين النقيب (مشرفا ورئيسا)	.....
- د. منتصر الأسمر (ممتحنا خارجيا)	.....
- د. عودة عبد الله (ممتحنا داخليا)	.....

الإهداء

أهدي عملي هذا إلى والديّ الكريمين، اللذين كان لهما كل الفضل عليّ، أطال الله في عمريهما، وغمرهما بواسع رحمته.

كما أهدي عملي هذا إلي فضيلة الشيخ العلامة: محمد علي الصابوني، صاحب صفوة التفاسير، أطال الله في عمره، ونفع به.

ولا يسعني إلا أن أهدي هذا العمل إلى إخوتي الكرام، وأخص بالذكر منهم أخي الكبير، محمد شحادة (أبو أحمد)، وزوجته رحمها الله، والذي كان نعم الأخ، ونعم المُعِّلم، أدامه الله عز وجل لنا منارة نقتدي بها.

وكما يطيب لي أن أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل أساتذتي الكرام، وأخص بالذكر منهم الدكتور المحترم: حسين النقيب، حفظه الله، وبارك لنا فيه.

الباحث

الشكر والتقدير

علَّمنا شرعنا الحنيف أن نشكر كل يد قدمت عونا، فقال الله عز وجل في محكم التنزيل: (وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)[1]، من أجل ذلك فإنه يطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر لكل يدٍ مُدت لعوني، وعلى رأسهم أستاذي الفاضل، فضيلة الدكتور: **حسين النقيب** حفظه الله، على كل ما قدمه لي من نصح وتوجيه، فبارك الله فيه، وجزاه الله كل خير.

وأتقدّم بخالص شكري إلى الدكاترة الكرام، أعضاء لجنة المناقشة: فضيلة الدكتور عودة عبد الله، وفضيلة الدكتور منتصر الأسمر، لموافقتهم على مناقشة هذه الرسالة، فلهم مني كل تقدير واحترام.

كما أرسل شكرا من الأعماق لفضيلة الدكتور: محمد السيد حفظه الله، الذي أرشدني إلى هذا الموضوع، وتكرّم عليّ بنصحه، وتوجيهه، فبارك الله فيه.

كما وأتقدم بخالص شكري وامتناني إلى الدّكاترة الأفاضل، دكاترة العلم والإيمان، أساتذة كلية النور، على كل ما أفادوني به من علم، ومنهج، وتقويم، فإن قلت شكرا فشكري لن يوفِّيهم حقّهم، فجزاهم الله خيرا، وجعلهم ذخرا للإسلام والمسلمين.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من مد يد العون لي في سبيل إنجاح هذا العمل المتواضع، سائلاً المولى عز وجل أن يجزيهم الخير العظيم.

الباحث

[1] – سورة النحل، الآية 114.

الإقــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الصابوني ومنهجه في التفسير من خلال كتابه صفوة التفاسيـر

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص باستثناء ما تمّت الإشارة إليه حيثما ورد، وإنّ هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يُقدّم من قبل لنيل أيّة درجة علمية أو لقب علمي أو بحثي لدى أيّة مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

unless otherwise referenced. Is the, The work provided in this thesis, researcher's own work and has not been submitted from anywhere else for any other degree or qualification.

اسم الطّالب:	Student's name:
التّــوقيـــــع:	Signature
التـاريـــــــخ:	Date:

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
الإهداء	ت
الشكر والتقدير	ث
الإقرار	ج
فهرس الموضوعات	ح
ملخص الدراسة	ش
المقدمة	1
أهمية الموضوع	1
أسباب اختيار الموضوع	2
مشكلة الدراسة	2
أهداف الدراسة	3
الدراسات السابقة	3
منهجية الدراسة	4
خطة الدراسة	4
الفصل التمهيدي: التعريف بالشيخ الصابوني	7
المبحث: حياة الشيخ الصابوني	8
المبحث الثاني: شيوخ الصابوني وتلاميذه	10
المطلب الأول: شيوخ الصابوني	11
المطلب الثاني: تلاميذ الشيخ	12
المبحث الثالث: آثاره ومؤلفاته	13
الفصل الأول: ترتيب الكتاب وقيمته العلميّة	16
المبحث الأول: الترتيب العام للكتاب	17
المطلب الأول: البيان الاجمالي للسورة الكريمة وتوضيح مقاصدها	17
أولا: لمحة موجزة عن مكان نزول السورة، وعدد آياتها	19
ثانيا: محور السورة	19
ثالثا: الخطوط العامة في السورة	21
رابعا: سبب التسمية	23
خامسا: فضائل السورة	24

المطلب الثاني: المناسبة بين الآيات السابقة واللاحقة	26
المطلب الثالث: اللغة وبيان الاشتقاق (البيان اللغوي والشواهد العربية)	30
أولا: غريب القرآن	31
ثانيا: الصيغ والاشتقاقات والإعراب	32
المطلب الرابع: أسباب النزول	35
المطلب الخامس: التفسير	39
المطلب السادس: الفوائد واللطائف:	42
أولا: قضايا لغوية بلاغية	42
ثانيا: قواعد قرآنية عامة	43
ثالثا: روايات وقصص من الواقع	43
رابعا: لفتات تربوية	44
خامسا: لفتات إيمانية	45
المبحث الثاني: ترتيب تفسير السور والآيات	46
المطلب الأول: تقسيم السور إلى مقاطع	46
أولا: تقسيم السورة	46
ثانيا: منهجه في التقسيم	48
المطلب الثاني: طريقته في تفسير أجزاء الآية الواحدة	49
المبحث الثالث: القيمة العلمية لتفسير الصابوني	51
المطلب الأول: القيمة العلمية لتفسير الصابوني من خلال الكتاب	51
أولا: أنه كتاب اختص بأفضل العلوم على الإطلاق	51
ثانيا: أنه كتاب تفسير قائم على الاختصار والإيجاز	52
ثالثا: أنه كتاب تفسير جمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والاجتهاد	52
رابعا: أنه حوى الكثير من العلوم المتعلقة بالتفسير	53
علوم القرآن	53
الفقه وعلومه	53
علوم اللغة	54
علم الواقع	54
خامسا: سهولة عرضه وتقديمه للناس	55
المطلب الثاني: القيمة العلمية للكتاب من خلال اراء العلماء	56

الفصل الثاني: مصادر المفسر في كتابه	59
المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير وعلوم القران:	60
المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير وعلوم القران	60
المطلب الثاني: مصادره من كتب علوم القران الكريم:	60
أولا: مصادره في أسباب النزول	61
ثانيا: مصادره في بقية علوم القرآن	61
المبحث الثاني: مصادره من كتب العلوم الأخرى:	62
المطلب الأول: مصادره من كتب الحديث وعلومه	62
المطلب الثاني: مصادره من كتب الفقه الإسلامي	62
المطلب الثالث: مصادره من كتب اللغة:	63
أولا: كتب المعاني	63
ثانيا: كتب البلاغة	63
المبحث الثالث: الملامح العامة لطريقته في النقل	63
الفصل الثالث: منهج المفسر في تفسير السور والآيات	65
المبحث الأول: منهج الصابوني في التفسير بالمأثور	66
المطلب الأول: التعريف بالتفسير المأثور	66
المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن	66
المطلب الثالث: تفسير القرآن الكريم بالحديث	68
المطلب الرابع: تفسير القرآن بأقوال الصحابة	72
المسألة الأولى: التعريف بالصحابي	72
المسألة الثانية: حجية قول الصحابي	72
المسألة الثالثة: منهج الصابوني في ذلك	73
المطلب الخامس: تفسير القرآن بأقوال التابعين وأئمة السلف:	74
المسألة الأولى: من هو التابعي؟	74
المسألة الثانية: حجية قول التابعي في التفسير	75
المسألة الثالثة: منهج الصابوني في ذلك	76
المطلب السادس: موقفه من التفسير بالإسرائيليات	78
المسألة الأولى: المعنى اللغوي للإسرائيليات	78
المسألة الثانية: المعنى الاصطلاحي للإسرائيليات	78

المسألة الثالثة: أقسام الإسرائيليات	79
القسم الأول: موافق لما في الشريعة الإسلامية	79
القسم الثاني: مخالف لما في الشريعة الإسلامية	80
القسم الثالث: دال على أمر مسكوت عنه في الشريعة الإسلامية	81
المسألة الرابعة: موقف الصابوني من الإسرائيليات في تفسيره	82
المطلب الخامسة: مدى اعتماده على التفسير بالمأثور	86
المبحث الثاني: منهجه في التفسير بالرأي	88
المطلب الأول: التفسير بالرأي وما يتعلق به	88
المسألة الأول: المقصود بالتفسير بالرأي	88
المسألة الثانية: أنواع التفسير بالرأي	89
المطلب الثاني: صفوة التفاسير بين نوعي التفسير بالرأي	89
المطلب الثالث: طريقته في نقل الآراء واختيارها	92
المطلب الرابع: طريقته في الترجيع بين الآراء	93
المطلب الخامس: التفسير العلمي في صفوة التفاسير	95
المطلب السادس: مدى اعتماده على التفسير بالرأي	99
الفصل الرابع: العلوم التي شملها التفسير	104
المبحث الأول: علوم القرآن الكريم:	105
المطلب الأول: أسباب النزول:	105
المسألة الأولى: المقصود بأسباب النزول	105
المسألة الثانية: فوائد معرفة أسباب النزول	105
المسألة الثالثة: موقف الصابوني من أسباب النزول	107
المطلب الثاني: المكي والمدني	112
المسألة الأولى: المقصود بالمكي والمدني	112
المسألة الثانية: فوائد معرفة المكي والمدني	113
المسألة الثالثة: اهتمام الصابوني بهذا العلم	114
المطلب الثالث: الناسخ والمنسوخ	115
المسألة الأولى: تعريف النسخ	116
أولا: التعريف اللغوي	116
ثانيا: التعريف الاصطلاحي	117

المسألة الثانية: أنواع النسخ في القرآن الكريم	117
المسألة الثالثة: موقف الصابوني من النسخ	119
أولا: موقف الصابوني من النوع الأول من النسخ (نسخ الحكم مع بقاء التلاوة)	120
ثانيا: موقف الصابوني من النوع الثاني (نسخ التلاوة مع بقاء الحكم)	121
ثالثا: موقف الصابوني من نسخ الشرائع	122
رابعا: موقف الصابوني من النوع الثالث (نسخ التلاوة والحكم)	122
المطلب الرابع: المناسبات بين السور والآيات	124
المسألة الأولى: أنواع المناسبات في القرآن الكريم	124
المسألة الثانية: موقف الصابوني من المناسبات في تفسيره	125
أولا: موقف الصابوني من النوع الأول (بين آيات السورة الواحدة)	125
ثانيا: موقف الصابوني من النوع الثاني من المناسبات (بين سور القرآن)	127
ثالثا: موقف الصابوني من النوع الثالث من المناسبات (بين مواضيع السورة ومحورها العام)	128
المطلب الخامس: القراءات	129
المسألة الأولى: تعريف القراءات	129
المسألة الثانية: موقف الصابوني من القراءات	129
المبحث الثاني: العلوم اللغوية والنحوية والبلاغية في صفوة التفاسير	131
المطلب الأول: علم اللغة	131
أولا: رجوعه إلى لغة العرب	132
ثانيا: الرجوع إلى الشعر العربي	132
ثالثا: الرجوع إلى علماء اللغة	133
المطلب الثاني: البلاغة	135
أولا: التقديم والتأخير	135
ثانيا: الاستعارة	137
ثالثا: التشبيه	138
رابعا: الحقيقة والمجاز	140
خامسا: الالتفات	141
المطلب الثالث: علم النحو	143
الفصل الخامس: منهج الصابوني في تفسير آيات العقيدة	145

المبحث الأول: طريقته في تفسير آيات الصفات	146
أولا: الصابوني سلفي المنهج	146
ثانيا: تأويل الصابوني لبعض آيات الصفات	152
المبحث الثاني: منهج الصابوني في تفسير القضايا الغيبية	156
المطلب الأول: موقف الصابوني من عذاب القبر ونعيمه	156
المطلب الثاني: موقف الصابوني من البعث والجزاء	159
المطلب الثالث: موقف الصابوني من القضاء والقدر	162
المبحث الثالث: موقف الصابوني من أصحاب الفرق المختلفة	164
المطلب الأول: رد الصابوني على المعتزلة	165
المطلب الثاني: رد الصابوني على الشيعة	167
المطلب الثالث: رد الصابوني على غلاة الصوفية	168
المطلب الرابع: رد الصابوني على الدَّهريَّة	171
الفصل السادس: منهج الصابوني في تفسير آيات الأحكام	173
المبحث الأول: تعريف الفقه	174
المطلب الأول: التعريف اللغوي	174
المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي	174
المطلب الثالث: تعريف التفسير الفقهي	175
المبحث الثاني: أصول الفقه في صفوة التفاسير	175
المطلب الأول: المحكم والمتشابه	176
أولا: تعريف المحكم والمتشابه	176
ثانيا: موقف الصابوني من المحكم والمتشابه	177
المطلب الثاني: العام والخاص	179
المطلب الثالث: المطلق والمقيد	182
المبحث الثالث: منهج الصابوني في إيراد الأحكام الفقهية والترجيح بينها	183
الفصل السابع: الانتقادات الموجهة إلى صفوة التفاسير	187
المبحث الأول: الانتقاد بسبب منهجه في تفسير آيات الصفات	188
المطلب الأول: رأي المنتقدين في تفسير الصابوني لآيات الصفات	188
المطلب الثاني: رد الصابوني على هذا الانتقاد	1189
المسألة الأولى: الرد العام	189

المسألة الثانية: الرد الخاص	191
المبحث الثاني: الانتقاد بسبب تخريج الأحاديث النبوية	193
المطلب الأول: رأي المنتقدين	193
المطلب الثاني: رد الشيخ الصابوني	194
المبحث الثالث: الانتقاد بسبب العزو والإحالة الى المصادر	196
المبحث الرابع: الانتقاد بسبب اعتماده على مصادر غير مرغوب فيها	198
المطلب الأول: رأي المنتقدين	198
المطلب الثاني: رد الشيخ الصابوني	199
الخاتمة	202
أولا: نتائج الدراسة	202
ثانيا: توصيات الدراسة	203
الفهارس العامة	204
فهرس الآيات القرآنية	205
فهرس الأحاديث النبوية	213
المصادر والمراجع	215
Abstract	B

منهج الإمام الصابوني في تفسيره صفوة التفاسير

إعداد

عصام أحمد عرسان شحادة

إشراف

د. حسين النقيب

الملخّص

تتناول هذه الرسالة كتاب **(صفوة التفاسير)**، وتبحث في منهج مؤلفه فيه، وفي آرائه في مختلف المسائل، وعرضها بأسلوب علمي موضوعي، بعيداً عن الانتصار المسبق لرأي أراد الباحث إثباته قبل الدراسة.

وقد تضمنت الرسالة تعريفا بمؤلف الكتاب، فضيلة الشيخ **(محمد علي الصابوني)**، وعرض بعضا من جوانب حياته، وعلومه، وشيوخه، وتلاميذه، وآثاره ومؤلفاته.

ثم تناولت الدراسة بعد ذلك كتاب صفوة التفاسير، وعرضت منهج مؤلفه فيه، من حيث ترتيبه للكتاب، وتقسيمه للسور القرآنية، والعلوم التي شملها الكتاب، ومصادر مؤلفه فيه، والخطوط العامة لطريقة مؤلف الكتاب في نقل المعلومات وتوثيقها.

ثم كان البحث في منهج المؤلف، وطريقته في عرض الكتاب، والقضايا المتخلّلة في الكتاب، فبيّنت منهجه في التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، وكشفت عن منهج المؤلف وطريقته في التعامل مع آيات العقيدة ـ وبالأخص آيات الصفات، والقضايا الغيبية، والفرق الإسلامية ـ وآيات الأحكام.

وأخيرا جاء الحديث عن الشبهات المثارة حول صفوة التفاسير ومؤلفه، والانتقادات التي انتقدت عليهما، فعرضت الدراسة رأي المنتقدين، وفصلت في قولهم، وعرضت دليلهم، ثم بعد ذلك فصّلت الدراسة في ردّ المؤلف على تلك الانتقادات، مبيّنة ما له وما عليه.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله، الذي بلغ الرسالة، وعلم الناس القرآن، وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو النور المبين، والصراط المستقيم، من اتبع هداه فلا يضل ولا يشقى، ولا بدّ للذين يتبعون القرآن من فهمه، وتفسيره، ومعرفة معناه، وخير الوسائل إلى ذلك الرجوع الى كتب التفسير.

وقد ألف العلماء كتبا متعددة في تفسير القرآن، قديما وحديثا، إلا أن انتشار هذه الكتب لم يكن على درجة واحدة، فمنها المشهور، ومنها المحصور تداوله بين المختصين في علم التفسير.

وفي عصرنا الحاضر عزف كثير من الناس عن الرجوع إلى كثير من كتب التفسير، لأنها كتبت في زمان غير زماننا، وفي أحوال غير أحوالنا، مع أن لكل زمان خصائصه وأسلوبه.

ومن أكثر الكتب في العصر الحديث انتشاراً كتاب: **(صفوة التفاسير، للشيخ محمد علي الصابوني)**، فقد تميّز بسهولة العبارة، وجمع معلومات كثيرة في أوراق قليلة، ومخاطبة لغة العصر الحاضر.

وهذا البحث يختص بدراسة منهج كتاب صفوة التفسير، من حيث مصادر المفسّر ومراجعه، ومنهجه في التفسير بالمأثور والرأي، وبيان العلوم الأخرى التي شملها هذا الكتاب، ويتحدث عن الانتقادات التي وجهت إلى هذا الكتاب من بعض العلماء، ويبين ترتيب هذا الكتاب، وأسلوبه، وقيمته العلمية.

فما كان في هذا البحث من صواب وفائدة فهو من توفيق الله تعالى، وما كان من خطأ فمن نفسي وتقصيري، والله أسأل أن يكون خالصا لوجهه الكريم.

أهمية الموضوع:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة الموضوع الذي تعالجه، ويمكن إجمال أهمية هذه الدراسة في الآتي:

أولا: أنها جاءت خدمة للقرآن الكريم.

ثانيا: أنها تتعلق بكتاب مشتهر، ويكثر تداوله بين الناس، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أسلوبه المقبول بين طبقات الناس.

ثالثا: أنها تتعلق بعلم التفسير، وهو من أجلّ العلوم الضرورية للمسلم، لتعلقه بالقران الكريم.

رابعا: لا توجد أبحاث سابقة ـ حسب بحثي واطّلاعي ـ تخص منهج محمد علي الصابوني في تفسيره.

خامسا: إنها جاءت لتزيل ركاما من الشبهات والتساؤلات حول صفوة التفاسير، ومنهج مؤلفه فيه.

سادسا: حاجة المكتبة الإسلامية عامة ، والدراسات الحديثية خاصة إلى مثل هذه الدراسة.

أسباب اختيار الموضوع:

أولا: انتقاد بعض العلماء المعاصرين لمنهج الصابوني في التفسير، فجاء هذا البحث للوصول إلى الحكم الصحيح فيما يتعلق بمنهجه في التفسير، وما له وما عليه.

ثانيا: رغبتي في تعلم كتاب الله وقراءته منذ كنت طفلا صغيرا، وقد تنامى هذا الحب حتى وصل بي المآل إلى تبيان منهج المفسرين لكتاب الله عز وجل، وخاصة فضيلة الشيخ العلامة المفسِّر محمد علي الصابوني.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلات التالية:

أولا: من هو الشيخ الصابوني؟

ثانيا: ما الكيفية التي رتّب الصابوني تفسيره من خلالها؟

ثالثا: ما منهج الصابوني في تقسيم السور والآيات إلى مقاطع؟

رابعا: ما القيمة العلمية لصفوة التفاسير؟

خامسا: ما مصادر المفسِّر في تفسيره؟

سادسا: ما مدى اعتماد الصابوني على التفسير بالمأثور؟

سابعا: ما مدى اعتماد الصابوني على التفسير بالرأي؟

ثامنا: ما العلوم التي شملها صفوة التفاسير؟

تاسعا: ما منهج الصابوني في تفسير آيات العقيدة؟

عاشرا: ما منهج الصابوني في تفسير آيات الأحكام؟

الحادي عشر: ما الانتقادات الموجهة إلى صفوة التفاسير؟ وما هو موقف الصابوني منها؟

أهداف الدراسة:

تكمن أهداف هذه الدراسة في الأمور التالية:

أولا: توضيح منهج الصابوني في كتابه **(صفوة التفاسير)**، مما يسهل الانتفاع والإفادة من هذا الكتاب.

ثانيا: معرفة الجوانب التي يشملها هذا التفسير.

ثالثا: إبراز شخصية المفسر للقراء والباحثين على أنه مفسر له مكانة مرموقة بين المفسرين، وله شهرة بين الناس.

رابعا: معرفة الجوانب التي تعرض الصابوني للانتقاد بسببها في هذا التفسير، وبيان أسباب الانتقاد ووجهة نظر المفسر.

الدراسات السابقة:

لم أجد في حدود علمي واطلاعي أي دراسة تختص بمنهجية كتاب "صفوة التفاسير" للصابوني، وتحلل محتوياته، وتبرز قيمته العلمية؛ ولكن هناك بعض الكتب التي تحدثت جزئياً عن منهج الصابوني في كتابه صفوة التفاسير، ومنها:

أولا: كتاب التحذير الجديد من مختصرات الصابوني في التفسير، للشيخ محمد جميل زينو، والذي تولى طبعه دار التحف النفائس الدولية، وقد تحدث الكتاب عن الجوانب التي انتقدت على صفوة التفاسير.

ثانيا: كتاب التحذير من مختصرات محمد الصابوني في التفسير، للشيخ بكر أبي زيد، تولى طبعه دار الراية – الرياض.

والكتاب كان أيضا كسابقه، فقد ألفه صاحبه ليرد فيه على فضيلة الشيخ الصابوني، وبالأخص على تفسيره صفوة التفاسير.

منهجية الدراسة:

سأعتمد بإذن الله في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك من خلال ما يلي:

أولا: قراءة كتاب صفوة التفاسير قراءة متأنية مع الوقوف عند كل موضع وتسجيل الملاحظات.

ثانيا: تحليل منهج المفسر في تفسيره، من خلال الوقفات المتأنية، والملاحظات المسجلة من قراءتي لتفسيره.

ثالثا: دراسة الرسائل والكتب التي وجهت انتقادات للصابوني، واستخلاص أسباب الانتقاد، والرد على ما لم يكن صوابا من تلك الانتقادات.

رابعا: التوثيق العلمي لكل معلومة تذكر في الرسالة، وعزو الآيات القرآنية إلى سورها، مع ذكر رقم الآية، وتخريج الأحاديث النبوية ونسبتها الى مصادرها من الكتب الستة إن وُجدت، فإن لم تكن فيها خرّجناها من كتب السنن الأخرى.

خامسا: بيان الأقوال المختلفة عند عرض بعض المسائل الهامة المتنازع فيها، مع بيان الترجيح.

سادسا: عمل فهارس للبحث، تشمل الآيات والأحاديث، والمصادر والمراجع، والموضوعات.

خطة الدراسة:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة، وفصل تمهيدي، وسبعة فصول، وخاتمة شاملة أهم النتائج والتوصيات، وتفريعات الخطة على ما يلي:

المقدمة: وتشمل أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، ومشكلتها، وأهدافها.

الفصل التمهيدي: التعريف بالشيـــخ الصابونـــي، وفيه:

المبحث الأول: حياة الشيخ الصابوني

المبحث الثاني: شيوخ الصابوني وتلاميذه

الفصل الأول: ترتيب الكتاب وقيمتــه العلميّــة، وفيه:

المبحث الأول: الترتيب العام للكتاب

المبحث الثاني: ترتيب تفسير السور والآيات

المبحث الثالث: القيمة العلمية لتفسير الصابوني

الفصل الثاني: مصادر المفسّـــر في كتابه، وفيه:

المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير وعلوم القران

المبحث الثاني: مصادره من كتب العلوم الأخرى

المبحث الثالث: الملامح العامة لطريقته في النقل

الفصل الثالث: منهج المفسر في تفسير السور والآيات، وفيه:

المبحث الأول: منهج الصابوني في التفسير بالمأثور

المبحث الثاني: منهجه في التفسير بالرأي

الفصل الرابع: العلــوم التي شملها التفسيـــر، وفيه:

المبحث الأول: علوم القرآن الكريم

المبحث الثاني: العلوم اللغوية والنحوية والبلاغية في صفوة التفاسير

الفصل الخامس: منهج الصابوني في تفسير آيات العقيدة، وفيه:

المبحث الأول: طريقته في تفسير آيات الصفات

المبحث الثاني: منهج الصابوني في تفسير القضايا الغيبية

المبحث الثالث: موقف الصابوني من أصحاب الفرق المختلفة

الفصل السادس: منهج الصابوني في تفسير آيات الأحكام، وفيه:

المبحث الأول: تعريف الفقه

المبحث الثاني: أصول الفقه في صفوة التفاسير

المبحث الثالث: منهج الصابوني في إيراد الأحكام الفقهية والترجيح بينها

الفصل السابع: الانتقادات الموجهة إلى صفـــوة التفاسيـــر، وفيه:

المبحث الأول: الانتقاد بسبب منهجه في تفسير آيات الصفات

المبحث الثاني: الانتقاد بسبب تخريج الأحاديث النبوية

المبحث الثالث: الانتقاد بسبب العزو والإحالة الى المصادر

المبحث الرابع: الانتقاد بسبب اعتماده على مصادر غير مرغوب فيها

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، وأهم التوصيات التي يوصي بها.

الفصل التمهيدي

التعريف بالشيخ الصابوني[1]

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياة الشيخ الصابوني

المبحث الثاني: شيوخ الصابوني وتلاميذه

المبحث الثالث: آثاره ومؤلفاته

[1] – هذا الفصل كله ملخص مما سمعته من الشيخ الصابوني، يوم الأربعاء، الموافق: التاسع من جمادي الأولى (5)، من سنة (1434هـ)، العشرين من شهر مارس، من العام (2013م)، في منزله الكائن في حي الإسكان في مكة المكرمة، ومن أوراق بخط يد الشيخ الصابوني أعطاها لي، ومن رسالة بعث بها لي ابن الشيخ محمد الصابوني، وقد كان الشيخ صاحب كرم وطيب، شديد التواضع، وأجاب عن كل أسئلتي التي سألته إياها، ولم يتعفف عن شيء منها.

المبحث الأول : حياة الشيــخ الصابــوني

هو الشيخ محمد علي الصابوني، ولد بمدينة حلب الشهباء بسوريا عام (1930م)، تربى الشيخ في بيت علم ودين، وفي أسرة عريقة بالعلم؛ فوالده من علماء حلب الشهباء، وكان قيّم الجامع الأموي (**الجامع الكبير**) في مدينة حلب الشهباء، ومسؤول التدريس والوعظ فيه، وهذا أمر أثر كثيرا على الصابوني من صغره.

وقد ابتدأ الشيخ الصابوني تعليمه على يد والده، فتعلم منه العربية، والفرائض، وعلوم الدين، وكان للشيخ دراسة على كبار علماء سوريا منذ نعومة أظفاره، فهو قد نشأ محبا للعلم، راغبا في تلقيه على الشيوخ الأجلاء كأمثال فضيلة الشيخ محمد نجيب سراج، عالم الشهباء، وفضيلة الشيخ أحمد الشمّاع، والشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ راغب الطبّاخ، والشيخ محمد خياطة (شيخ القرّاء)، وغيرهم ممن تتلمذ على أيديهم الشيخ الصابوني.

وبما أن الشيخ الصابوني محبٌّ للعلم، فكان يرافق ويلازم والده دائماً، فأثر ذلك على تحصيله العلمي، لأن مجالس والده كانت كلها مجالس علم وتدريس.

أضف إلى ذلك أن والده رحمه الله كان يتابع تدريس الشيخ الصابوني طيلة الوقت حتى في المنزل بعد المدرسة، وقد كان والده من كبار العلماء وخاصة في علم المواريث واللغة العربية والعروض، وهي العلوم التي أخذها الشيخ عن والده رحمه الله.

ومما يذكر عن إخوة الشيخ الصابوني: أنهم جميعاً وعلى اختلاف مستوياتهم التعليمية، يجيدون علم المواريث، والعروض، واللغة العربية، نحواً وبلاغة، كلّ ذلك نتيجة تدريس والدهم لهم ومتابعته الدائمة.

بدأ الصابوني حفظ القرآن الكريم وهو في الكتّاب، وأكمل حفظه وهو في المرحلة الثانوية، هذا بالإضافة لدراسته للعديد من العلوم التي تلقّاها على يد كبار العلماء بسوريا ـ والتي كانت تشتهر بعلمائها الكبار ـ.

تلقى الشيخ الصابوني الدراسة النظامية في المدارس الحكومية، ولما حصل على الابتدائية انتسب إلى إعدادية التجارة وثانويتها، فدرس فيها سنة واحدة، ولمّا لم توافق الدراسة فيها ميوله

العلمي ـ لأنهم كانوا يعلمون الطلاب أصول المعاملات الربويّة التي تجري في البنوك ـ هجر الإعدادية التجارية، مع أن ترتيبه فيها كان الأول على زملائه.

انتقل الشيخ بعدها إلى الثانوية الشرعية، التي كانت تسمى (الخسروية) في مدينة حلب الشهباء، وكانت دراسته تجمع بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية التي كانت تدرّس في مدارس وزارة المعارف، ففيها المواد الشرعية كلها (من التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والفرائض...، وغيرها)، إلى جانب (الكيمياء، والفيزياء، والجبر، والهندسة، والتاريخ، والجغرافيا، واللغة الإنجليزية...، وغيرها)، فكانت دراسته جامعة بين العلوم الشرعية، والدراسة العصرية.

بعد أن تخرج الشيخ الصابوني في الثانوية الشرعية بحلب، بُعث إلى الأزهر الشريف بالقاهرة على نفقة وزارة الأوقاف، فحصل على شهادة كلية الشريعة بتفوق عام (1952م)، ثم أتمّ شهادة التخصص فتخرّج عام (1954م) من الأزهر بشهادة (العالمية وتخصص القضاء الشرعي)، وكانت هذه الشهادة أعلى الشهادات العلمية في ذلك العصر، وقد نالها بتفوق وامتياز.

رجع الشيخ بعد دراسته في مصر إلى بلده سوريا، فعيِّن أستاذا لمادة الثقافة الإسلامية في ثانويات حلب، ودور المعلمين، وبقي في التدريس ثماني سنوات، منذ عام (1955م) إلى عام (1963م).

بعد ذلك أُرسل الشيخ إلى المملكة العربية السعودية أستاذا معارا من وزارة التربية والتعليم في سوريا، للتعليم في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وكلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، وقد صارت الكلّيات جزءا من جامعة أم القرى بعد ذلك، فدرّس في الجامعة مدة تزيد عن عشرين عاما، وتخرّج على يديه العديد من أساتذة الجامعة.

ونظرا لنشاط الشيخ العلمي في البحث والتأليف؛ فقد رأت جامعة أم القرى أن تسند إليه تحقيق بعض كتب التراث الإسلامي، فعُيِّن باحثا علميا في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، واشتغل بتحقيق كتاب عظيم في التفسير يسمى (معاني القرآن الكريم) للإمام أبي جعفر النحّاس المتوفى سنة (338هـ)، والمخطوطة نسخة وحيدة في العالم لا يوجد لها ثانية، فقام بتحقيقها، مستعينا بالمراجع الكثيرة بين يديه من كتب التفسير، واللغة، والحديث...، وغيرها، وقد خرج الكتاب في (ستة أجزاء)، طبع باسم جامعة أم القرى بمكة المكرمة – مركز إحياء التراث الإسلامي.

ومازالت جهود الشيخ العلمية ملموسة؛ من خلال العديد من الطلاب الذين درسوا على يديه، ومن خلال مؤلفاته الغنية التي أثرى بها المكتبة الإسلامية، كما كان له جهد واضح في تحقيق العديد من الكتب وإخراجها إلى الناس.

تفرغ بعد ذلك الشيخ الصابوني للتأليف والبحث العلمي، فقام بتأليف العديد من الكتب في عدد من العلوم الشرعية والعربية، وقد تم ترجمة مؤلفاته لعدد من اللغات الأجنبية، مثل: (الإنجليزية، والفرنسية، والتركية...، وغيرها)[1].

ولا يزال الشيخ الصابوني ـ أطال الله عمره، وأحسن عمله ـ إلى الآن في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، بعد أن أمضى فيها (ثمان وعشرين سنة)، ما بين التدريس والتأليف.

وفي هذا المقام، فإني أسطّر أبيات شعر على البحر الوافر، لتكون عنوانا مني على وافر حبي وتقديري لهذا العلم الإمام، الزاهد الصابر، التقي النقي، فأقول:

بلاد الشّـــام فيك الشّيخ شامـة ونجمٌ في الدّجى هديٌ علامة

دعا في الله لا يخشى الملامـــة ولم يخضع لغيـــــر الله هامة

رأيت الشّيـــــخ معطاء كريما سـمـوح الملـتقى ربّي أَدامَـــه

عزيز النفـــس نال العـــزّ دينا على نهـــج التّقى عِلما أقامه

حبـــــاه الله تفسيـــــر الكتـــاب ليرقى فـي العلى بيت الكرامة

هنيئا من أتـــى بحـرا طهـــــورا عميم الخيـر من درر الإمامة

عن الإســـــلام يجـــزيه الإله شفيعا نلتقـــــي يـــوم القيامة

المبحث الثاني: شيوخ الصابوني وتلاميذه

كثير هم شيوخ الصابوني وتلاميذه، نظرا إلى طول حياة الشيخ، وكثرة تلقيه للعلم، وتطوافه في البلدان المختلفة ما بين معلِّم ومتعلم، وقد ذكر الشيخ الصابوني بعض شيوخه وتلاميذه عندما زرته في بيته.

[1] – سيأتي ذكر مؤلفاته في المبحث الثالث من هذا الفصل، ص16.

المطلب الأول: شيوخ الصابوني

كان للشيخ الصابوني شيوخ كثر جاوزوا المائة، فمنهم من حفظ القرآن على يديه، ومنهم من أخذ عنه التفسير، ومنهم من علمه الحديث، ومنهم من تفقه على يديه...، إلا أن الشيخ قد تأثر أكثر ما تأثر بخمسة منهم، وهم:

1- فضيلة الشيخ: محمد نجيب سراج (عالم الشهباء ـ درس على يديه التفسير والحديث).

2- فضيلة الشيخ: أحمد الشمّاع (درس على يديه الفقه الحنفي في الخسروية).

3- فضيلة الشيخ: محمد سعيد الإدلبي (أكبر شيوخه).

4- فضيلة الشيخ: محمد راغب الطباخ (شيخه في التاريخ).

5- فضيلة الشيخ: محمد نجيب خياطة (شيخ القرّاء ـ درس عليه القرآن حفظا، وتفقه على يديه).

وكان للشيخ شيوخ كثيرون، أنقل أسماء بعضهم على لسانه، ومن خلال أوراق بخط يده أعطاها لي في زيارتي له، وأذكرهم ـ مرتبين على حروف المعجم ـ:

- الشيخ: إبراهيم الترمانيني، حضر عليه.
- الشيخ: أحمد القلاّش، درس عليه دروس في علوم مختلفة.
- الشيخ: أمين الله عيروض، درس عليه علم الخطابة.
- الشيخ: عبد الجواد عطّار، تعلّم على يديه تلاوة القرآن الكريم.
- الشيخ: عبد الفتاح أبو غدّة، حضر له دروس من كتاب الأم للشافعي.
- الشيخ: عبد القادر عيسى، حضر عنده دروساً في التصوّف.
- الشيخ: عبد الله الحمّاد، درس عليه النحو.
- الشيخ: عبد الله سراج الدين، أستاذه في الحديث وعلومه.
- الشيخ: عبد الله سلطان (الحفيد) كان مديراً للمدرسة الشرعيّة التي درس فيها الشيخ.
- الشيخ: عبد الوهّاب سكّر، درس عليه الأدب في الثانويّة الشرعيّة.
- الشيخ: محمّد الحكيم، درس عليه البلاغة والأدب في الثانويّة الشرعيّة.
- الشيخ: محمّد الحمّاد، درس عليه في الثانويّة الشرعيّة.
- الشيخ: محمّد النبهان، درس عليه علم التصوّف.

- الشيخ: محمّد إبراهيم السلقيني، شيخه الذي كان يدرس عليه العلوم الشرعيّة.
- الشيخ: محمّد أبو الخير زين العابدين، شيخه في التفسير.
- الشيخ: محمّد أبو النصر الحمصي، حضر عنده دروساً عامة.
- الشيخ: محمّد أسعد عِبَجي، درس عليه النحو والبلاغة في الثانويّة الشرعيّة.
- الشيخ: محمّد بلنكو، أستاذه في الفقه.
- الأستاذ: محمّد صبحي الريحاوي، درس عليه اللغة الإنجليزيّة.

ملاحظة مهمّة: حفظ الشيخ الصابوني القرآن الكريم في الكتّاب في سنّ مبكّرة، عند الشيخ: التاتفي، ثمّ في العثمانيّة عند الشيخ: محمّد المصري، وقد أدرك الشيخ الصابوني، الشيخ عبد الله سراج الدين وهو يختم القرآن عند الشيخ المصري.

المطلب الثاني: تلاميذ الشيخ

تلاميذ الشيخ لا يمكن حصرهم أو التنبؤ بعددهم، نظرا لكثرة دروس الشيخ التعليمية، ولكثرة تطوافه في البلدان يدرّس فيها العلم، ونظرا لكثرة الذين يحضرون هذه الدروس، حتى إن الشيخ الصابوني حدثني أن له في إندونيسيا أكثر من ألف تلميذ تتلمذوا على يديه لمدة تتراوح ما بين أربع إلى عشر سنوات، إلا أن الشيخ الصابوني ذكر لي نماذج من بعض تلاميذه، الذين صار لهم بعد ذلك شأن هام في بلادهم ومجتمعهم، ومن تلاميذه:

1- الدكتور صالح بن حميد: إمام الحرم المكي، ورئيس مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية، درّسه الشيخ أثناء تدريسه في الحرم المكي.
2- الدكتور أحمد الحميد: دكتور في جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية.
3- الدكتور راشد الراجح: مدير جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية.
4- الدكتور أسامة الخياط: إمام المسجد الحرام.
5- الشيخ سيد محمد علوي المالكي: درّسه في الجامعة.

6- أحمد محمد علي الصابوني: ابن الشيخ، وملازمه في كل أموره، وهو المنسق العام لكل أعمال الشيخ، وقد حصل على شهادة الماجستير في الشريعة الإسلامية، وحَضَر كل دروس والده.

7- عصام شحادة (كاتب هذه الرسالة): فقد درست على يديه بعضا من تفسير آيات الأحكام، وجلست معه عدة مرات في منزله، ولما توسم فيّ الخير، أجاز لي أن أدرِّس من كل كتبه، أو أن أنقل منها بلغتي، وأعطاني بعضا من الأوراق العلمية بخط يده.

المبحث الثالث: آثـــاره ومؤلّفاتـــــه

للشيخ مؤلفات عديدة في العلوم الشرعية والعربية، ألّفها في مشواره العلمي الطويل، فكانت كتبه من أهم الكتب في مجالاتها، ولاقت قبولا وانتشارا واسعا بين طلاب العلم في شتى أنحاء العالم الإسلامي، وتُرجم العديد منها إلى لغات مختلفة؛ منها: (التركية، والإنجليزية، والفرنسية، والملاوية، والهوساوية...، وغيرها)، وهذه المؤلفات هي:

1- صفوة التفاسير.

2- المواريث في الشريعة الإسلامية.

3- من كنوز السنة.

4- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام.

5- قبس من نور القرآن الكريم.

6- السنة النبوية قسم من الوحي الإلهي المنزّل.

7- موسوعة الفقه الشرعي الميسر (سلسلة التفقه في الدين).

8- الزواج الإسلامي المبكر سعادة وحصانة.

9- التفسير الواضح الميسر.

10- الهدي النبوي الصحيح في صلاة التراويح.

11- إيجاز البيان في سور القرآن.

12- موقف الشريعة الغرّاء من نكاح المتعة.

13-حركة الأرض ودورانها حقيقة علمية أثبتها القرآن.

14-التبيان في علوم القرآن.

15-عقيدة أهل السنة في ميزان الشرع.

16-النبوة والأنبياء.

17-رسالة الصلاة.

18-المهدي وأشراط الساعة.

19-المقتطف من عيون الشعر.

20-كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول صفوة التفاسير.

21-درة التفاسير (على هامش المصحف).

22-جريمة الربا أخطر الجرائم الدينية والاجتماعية.

23-التبصير بما في رسائل بكر أبو زيد من التزوير.

24-شرح رياض الصالحين.

25-شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول.

26-رسالة في حكم التصوير.

27-معاني القرآن للنحاس، تحقيق.

28-المقتطف من عيون التفاسير للمنصوري.

29-مختصر تفسير ابن كثير.

30-مختصر تفسير الطبري.

31-تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للبروسوي.

32-المنتقى المختار من كتاب الأذكار للنووي.

33-فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري.

34-الشرح الميسّر لصحيح البخاري.

35-الإبداع البياني في القرآن الكريم.

36-صفحات مُشرقة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام.

37-نكاح المتعة في الإسلام حرام.

38-آمنت بالله (الأدلّة العقليّة والنقليّة على صفاء عقيدة التوحيد).

39-الجهاد في الإسلام والخطأ الدارج في مفهومه.

40-الشرح الميسّر لصحيح الإمام مسلم (تحت الطبع).

41-الشرح الميسّر لصحيح الإمام الترمذي (تحت الطبع).

42-الشرح الميسّر لصحيح الإمام أبي داود (تحت التأليف).

43-تفسير الدعوات المباركات في القرآن الكريم.

وللشيخ جهود أخرى في الدعوة غير التأليف، فقد كان له درس يومي في بيت الله الحرام بمكة المكرمة، يُقعِّد فيه للإفتاء في المواسم، وكان له كرسيّ خاص به في الحرم المكي، يُعرف **(بكرسي الشيخ الصابوني)**، وظل حتى وقت قريب.

وكان له درس أسبوعي في التفسير، في أحد مساجد جدة، امتد لفترة تُقارب الثماني سنوات، فسّر خلالها لطلاب العلم أكثر من ثلثي القرآن الكريم، وهي مسجّلة على أشرطة كاسيت، وصُوِّر للشيخ أكثر من (ستمائة حلقة) لبرنامج تفسير القرآن الكريم كاملا، حتى يُعرض في التلفاز، وقد استغرق هذا العمل زهاء السنتين، وقد أتمه ـ حفظه الله ـ في نهاية عام (1419هـ).

الفصل الأول

ترتيب الكتاب وقيمته العلميّة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الترتيب العام للكتاب

المبحث الثاني: ترتيب تفسير السور والآيات

المبحث الثالث: القيمة العلمية لتفسير الصابوني

المبحث الأول: الترتيب العام للكتاب

المسترسل في القراءة في صفوة التفاسير، يرى بكل وضوح منهج مؤلفه فيه، وكيف أن مؤلفه التزم بهذا المنهج من أول كتابه إلى آخره، ويتضح منهج الصابوني في تفسيره من خلال النقاط التالية التي سطرها في مقدمة تفسيره، فقال: "وقد سلكت في طريقي لتفسير الكتاب العزيز الأسلوب الآتي:

أولا: بين يدي السورة ، وهو بيان إجمالي للسورة الكريمة وتوضيح مقاصدها الأساسية.

ثانيا: المناسبة بين الآيات السابقة والآيات اللاحقة.

ثالثا: اللغة مع بيان الاشتقاق اللغوي والشواهد العربية.

رابعا: سبب النزول.

خامسا: التفسير.

سادسا: البلاغة.

سابعا: الفوائد واللطائف"[1].

وسأُفصِّل الكلام عن هذه الأمور في المطالب الآتية:

المطلب الأول: البيان الإجمالي للسورة الكريمة وتوضيح مقاصدها

ابتدأ الصابوني تفسيره لكل سورة، بمقدمة جامعة، تلخص الأهداف الرئيسة للسورة، وتجعل القارئ يغوص في مقاصدها، ويلم بموضوعاتها، وينتقل معها في تدرج متّزن، رابطا كل ذلك بالغرض الأساس للسورة.

والمتتبع لهذه المقدمات يلمس بكل وضوح مدى تشرب المفسر لمنهج صاحب الظلال وتأثره به، حتى إنك لترى منه في بعض الأحيان نقلا حرفيا من مقدمات صاحب الظلال للسور القرآنية في تفسيره، فعندما تقرأ تقديم الصابوني لسورة الأنعام، وتقسيمه للقضايا الكبرى الأساسية لأصول العقيدة والإيمان التي تحدثت عنها السورة، وهي: (قضية الألوهية، وقضية الوحي والرسالة، وقضية البعث والجزاء)، والأساليب التي استخدمها القرآن لعرض تلك القضايا، وهي أسلوبا: (التقرير،

[1] – الصابوني، محمد علي: **صفوة التفاسير**، (مصر، القاهرة، دار الصابوني، ط1 – 1399هـ) 6/1.

والتلقين)[1]؛ فإنك لا تستطيع إلا أن تُسلّم بأن هذه المقدمة هي تلخيص لما جاء في الظلال، وأن العبارات التي ذكرها الصابوني هي عبارات صاحب الظلال[2].

وعند تقديم الصابوني لسورة الأنفال، والمواضيع التي سارت معها السورة، والجو العام الذي نزلت فيه السورة، وهو غزوة بدر وما تبعها من أمور[3]، يلحظ القارئ بكل شفافية أن هذا الكلام كلام صاحب الظلال، وبخاصة ما يتعلق بجو نزول السورة، وربطه ذلك بمشاعر المسلمين[4].

وأما سورة الحجرات، وتقديم الصابوني لها، فكان نقلا حرفيا في بعض الأحيان، خاصة فيما يتعلق بمقام الأدب الرفيع الذي جاءت السورة لتعرضه، قال الصابوني: "ابتدأت السورة الكريمة بالأدب الرفيع الذي أدب الله به المؤمنين، تجاه شريعة الله وأمر رسوله"[5].

وهذا الأمر ـ أي الحديث عن الأدب الرفيع ـ وما تبعها من تفصيلات، هي من لفتات صاحب الظلال، قال سيد قطب: "وأول ما يبرز للنظر عند مطالعة السورة، هو أنها تكاد تستقل بوضع معالم كاملة، لعالم رفيع كريم نظيف سليم، متضمنة القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التي يقوم عليها هذا العالم"[6].

فجملة القول: إن الشيخ الصابوني قد أحسن في تقديمه للسور، وأحسن أيضا في تلخيصه لتقديمات صاحب الظلال، وليس عيبا منه أن يعتمد على عَلَم إمام كسيد قطب، وبخاصة فيما يتعلق بالناحية الأدبية؛ إذ إن سيد قطب كان الرقم الأول في هذا المجال.

وإذا ما أردنا أن نجمل القول في المقدمات التي ابتدأ بها الصابوني تفسيره للسور القرآنية، فإننا نلحظ منهجية كاملة في سرد المقدمات، وفي تلخيصها للسورة المقدّم لها، فكل مقدمة حوت العناصر التالية:

---

[1] – انظر، الصابوني: **صفوة التفاسير**، 247/1.

[2] – انظر مقدمة سورة الأنعام: قطب، سيد إبراهيم الشاذلي: **في ظلال القرآن**، (دار الشروق، ط17، 1412هـ – 1992م)، 1004/2، فما بعدها.

[3] – انظر، الصابوني: **صفوة التفاسير**، 326/1.

[4] – انظر مقدمة سورة الأنفال: سيد قطب: **في ظلال القرآن**، 1429/3.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 241/3.

[6] – سيد قطب: **في ظلال القرآن**، 3335/6.

أولا: لمحة موجزة عن مكان نزول السورة، وعدد آياتها

فالصابوني كان يبدأ تفسير كل سورة بذكر مكان نزولها، وكونها مكية أو مدنية، ليعطي القارئ صورة عامة عن أهم الموضوعات التي تعالجها السورة؛ إذ إنه من المعلوم أن السور المكية بالجملة تعالج مواضيع تتعلق بالعقيدة بشكل عام، والسور المدنية تعالج مواضيع تتعلق بالتشريع[1].

فمن ذلك أنه ابتدأ تفسيره لسورة الفاتحة، بقوله: "هذه السورة الكريمة مكية، وآياتها سبع بالإجماع"[2].

وعند تقديمه لسورة البقرة قال: "سورة البقرة جميعها مدنية بلا خلاف، وهى من أوائل ما نزل، وآياتها (مائتان وثمانون وسبع آيات)"[3][4].

واستمر الصابوني يعرض هذا الأمر في كل سور القرآن، حتى انتهى بسورة الناس، فقال: "مكية وآياتها ست آيات"[5].

ثانيا: محور السورة

الأمر الثاني الذي كان الصابوني يذكره في تقديمه لسور القرآن، هو الغرض الأساس، والموضوع الرئيس الذي تعالجه السورة، وهذا أمر ضروري لمعرفة المناسبة بين الآيات، فقد نقل البقاعي عن الإمام أبي الفضل البجائي المالكي قوله: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات"[6].

---

[1] – انظر، العتر، نور الدين: **علوم القرآن الكريم**، (دمشق، مطبعة الصباح، ط1 – 1414هـ – 1993م)، 60/1 – فما بعدها.

[2] – الصابوني، **صفوة التفاسير**، 8/1.

[3] – هكذا هي في صفوة التفاسير، ويظهر لي أن هذا خطأ من الصابوني، أو أنه ينتهج العدّ البصري؛ إذ أن آيات سورة البقرة كما هو معلوم، وكما هو مسطر في المصاحف : (مائتان وثمانون وست آيات).

[4] – الصابوني، **صفوة التفاسير**، 12/1.

[5] – المصدر السابق، 539/3.

[6] – البقاعي، أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ – 1995م)، 11/1.

وبما أن الصابوني قسم السور إلى مقاطع، وربط بين هذه المقاطع بمناسبات ـ كما سأبيِّن لاحقا ـ، فكان من المناسب التعرف على المقصد الأساس أو المقاصد الرئيسة للسورة؛ حتى يستطيع أن يقسم السورة أولا إلى مقاطع، ثم يربط المقاطع بعضها ببعض.

وهذا ما فعله الصابوني، فكان يذكر في مقدمة كل سورة مقصدها الرئيس الذي جاءت لتعالجه، سواء أكان للسورة مقصد وحيد، أم كانت متنوعة المقاصد والأغراض.

فمن السور التي ذكر لها الصابوني غرضا واحدا، سورة النساء، فقد ذكر لها عدة أغراض، إلا أنه جعل كل هذه الأغراض مصيّرة لتخدم موضوعا واحدا، وهو موضوع النساء، فقال: "سورة النساء إحدى السور المدنية الطويلة، وهي سورة مليئة بالأحكام الشرعية، التي تنظم الشؤون الداخلية والخارجية للمسلمين، وهي تعنى بجانب التشريع كما هو الحال في السور المدنية، وقد تحدثت السورة الكريمة عن أمور هامة تتعلق بالمرأة، والبيت والأسرة، والدولة، والمجتمع، ولكن معظم الأحكام التي وردت فيها كانت تبحث حول موضوع النساء ولهذا سميت "سورة النساء" !!"[1].

ومن ذلك أيضا سورة النور، فقد جعل لها الصابوني موضوعا واحدا، هو الأسرة، فقال: "سورة النور من السور المدنية، التي تتناول الأحكام التشريعية، وتعنى بأمور التشريع، والتوجيه والاخلاق، وتهتم بالقضايا العامة والخاصة التي ينبغي أن يربى عليها المسلمون، أفرادا وجماعات، وقد اشتملت هذه السورة على أحكام هامة وتوجيهات عامة تتعلق بالأسرة، التي هي النواة الأولى لبناء المجتمع الأكبر"[2].

وعند حديث الصابوني عن سورة الشورى التي هي من السور المكية، قال: "هذه السورة الكريمة مكية، وموضوعها نفس موضوع السور المكية التي تعالج أمور العقيدة (الوحدانية، الرسالة، البعث والجزاء) والمحور الذي تدور عليه السورة هو "الوحي والرسالة" وهو الهدف الأساسي للسورة الكريمة"[3].

وهناك سور جعل لها الصابوني أكثر من غرض، فعند ابتدائه بسورة آل عمران قال: "سورة آل عمران من السور المدنية الطويلة، وقد اشتملت هذه السورة الكريمة على ركنين هامين من أركان

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 165/1.

[2] – الصابوني، **صفوة التفاسير**، 244/2.

[3] – المصدر السابق، 171/3.

الدين هما: الأول: ركن العقيدة واقامة الأدلة والبراهين على وحدانية الله جل وعلا، الثاني: التشريع وبخاصة فيما يتعلق بالمغازي والجهاد في سبيل الله"[1].

ومن هذه السور سورة الأحزاب، فقد ذكر لهذه السورة ثلاثة أغراض رئيسة، فقال: "ويمكن أن نُلخِّص المواضيع الكبرى لهذه السورة الكريمة في نقاط ثلاث: أولا: التوجيهات والآداب الإسلامية التي شرعها الخالق جل وعلا لعباده المؤمنين لسعادتهم وراحتهم. ثانيا: الأحكام الإلهية التي تنظم حياة الأسرة والمجتمع تنظيما دقيقا. ثالثا: الحديث عن غزوتَي (الأحزاب، وبني قريظة) بالتفصيل وما فيهما من العبر"[2].

ثالثا: الخطوط العامة في السورة

كان الصابوني يذكر الغرض الرئيس من السورة، ثم يعقب ذلك بالخطوط والملامح العامة في السورة، والتي كانت تُساق من أجل الدلالة على الغرض الأساس في السورة.

والمتتبع لهذه الأغراض التي ذكرها الصابوني في صفوة التفاسير، يرى أنه يسير مع موضوعات السورة في تدرج وانسجام، ووفق ورود هذه المواضيع في السورة، فعند حديثه عن أغراض سورة الإسراء، قال: "تعرضت السورة الكريمة لمعجزة (الإسراء) التي كانت مظهرا من مظاهر التكريم الإلهي، لخاتم الأنبياء والمرسلين، وآية باهرة تدل على قدرة الله جل وعلا في صنع العجائب والغرائب، وتحدثت عن بني إسرائيل، وما كتب الله عليهم من التشرد في الأرض مرتين، بسبب طغيانهم وفسادهم، وعصيانهم لأوامر الله: (وَقَضَيْنَآ إِلَى بَنِى إِسْرَاءِيلَ فِى الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الأٌ رْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً)[3]، وتحدثت عن بعض الآيات الكونية، التي تدل على العظمة والوحدانية، وعن النظام الدقيق الذي يحكم الليل والنهار، ويسير وفق ناموسٍ ثابت لا يتبدل: (وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً)[4]، وتعرضت السورة إلى بعض الآداب الاجتماعية، والأخلاق الفاضلة الكريمة، فحثت

---

[1] – المصدر السابق، 115/1.

[2] – المصدر السابق، 30/3.

[3] – سورة الإسراء، الآية 4.

[4] – سورة الإسراء، الآية 12.

عليها، ودعت إلى التحلي بها، ليكون هناك المجتمع المثالي الفاضل الذي ينشده الإسلام، بدءًا من قوله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ)[1]، وتحدثت عن ضلالات المشركين، حيث نسبوا إلى الله تعالى الصاحبة والولد، والعجيب في أمرهم أنهم يكرهون البنات، ثم ينسبونها إلى العلي الكبير، المنزه عن الشبيه والنظير: (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا)[2]، وتحدثت عن البعث والنشور، والمعاد والجزاء، الذي كثر حوله الجدل، وأقامت الأدلة والبراهين على إمكانه، ثم تحدثت عن القرآن العظيم (معجزة محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة)، وذكرت تعنت المشركين في اقتراحاته حيث طلبوا معجزة أخرى غير القرآن، أن يفجر لهم الأنهار، ويجعل لهم مكة حدائق وبساتين: (وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأٌ رْضِ يَنْبُوعًا)[3]، ثم ختمت السورة بتنزيه الله عن الشريك والولد، وعن صفات النقص والعجز، واتصافه بالعزة والكبرياء: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِىٌّ مَّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا)[4][5]، فكل هذه الأغراض سارت بتدرج، وفق ترتيب الآيات في السورة.

وعند حديثه عن موضوعات سورة الضحى قال: "ابتدأت السورة الكريمة بالقسم على جلالة قدر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأن ربه لم يهجره ولم يبغضه كما زعم المشركون، بل هو عند الله رفيع القدر، عظيم الشأن والمكانة: (وَالضُّحَى، وَالَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى، وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى)[6]، ثم بشرته بالعطاء الجزيل في الآخرة، وما أعدَّه الله تعالى لرسوله من أنواع الكرامات، ومنها الشفاعة العظمى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)[7]، ثم ذكرته بما كان عليه في الصغر، من اليتم، والفقر، والفاقة، والضياع، فآواه ربه وأغناه، وأحاطه بكلاءه وعنايته: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَى)[8]،

---

[1] – سورة الإسراء، الآية 23.

[2] – سورة الإسراء، الآية 40.

[3] – سورة الإسراء، الآية 90.

[4] – سورة الإسراء، الآية 111.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 123/2.

[6] – سورة الضحى، الآيات (1–4).

[7] – سورة الضحى، الآية 5.

[8] – سورة الضحى، الآيات (6–8).

وختمت السورة بتوصيته (صلى الله عليه وسلم) بوصايا ثلاث، مقابل تلك النعم الثلاث، ليعطف على اليتيم، ويرحم المحتاج، ويمسح دمعة البائس المسكين: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّآئِلَ فَلاَ تَنْهَرْ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)[1]، وهو ختم يتناسق فيه جمال اللفظ، مع روعة البيان، في أروع صور الإبداع والجلال"[2].

رابعا: سبب التسمية

لم يترك الصابوني سورة من سور القرآن، إلا وذكر السبب في تسميتها بهذا الاسم ـ إلا السور التي يتضح جليا سبب تسميتها[3]ـ وكان يذكر أحيانا أسماء السورة الأخرى، التوقيفية والاجتهادية، مع بيان وجه التسمية بذلك في بعض الأحيان.

فعند تقديمه لسورة النساء قال: "سميت سورة النساء لكثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلق بهن، بدرجة لم توجد في غيرها من السور، ولذلك أطلق عليها "سورة النساء الكبرى" في مقابلة "سورة النساء الصغرى" التي عرفت في القرآن بسورة الطلاق: (يأأَيُّهَا النَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ)[4]"[5].

وعند حديثه عن سورة يونس قال: "سميت السورة "سورة يونس" لذكر قصته فيها، وما تضمنته من العظة والعبرة برفع العذاب عن قومه حين آمنوا، بعد أن كاد يحلُّ بهم البلاء والعذاب، وهذا من الخصائص التي خصّ الله بها (قوم يونس) لصدق توبتهم وإيمانهم: (فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِى الْحَيَواةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)[6]"[7].

---

[1] – سورة الضحى، الآيات (9–11).

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 498/3.

[3] – كسورة الأنفال، وسورة محمد، وسورة المنافقون، ومعظم قصار السور، إلخ.

[4] – سورة الطلاق، الآية 1.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 165/1.

[6] – سورة يونس، الآية 98.

[7] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 3/2.

ومن السور التي ذكر لها أسماء متعددة، سورة الفاتحة، حيث عدد لها ثمانية أسماء، فقال: "تسمى (الفاتحة، وأم الكتاب، والسبع المثاني، والشافية، والوافية، والكافية، والأساس، والحمد)، وقد عددها العلامة القرطبي[1] وذكر أن لهذه السورة الكريمة اثني عشر اسماً"[2].

خامسا: فضائل السورة

ابتدأ الصابوني كل سورة من سور القرآن بذكر شيء من فضائلها، وبذكر الروايات في ذلك، مع أن أهل العلم ذكروا أن معظم الروايات في فضائل السور ضعيفة أو موضوعة، وقد عنون الإمام القرطبي بابًا في مقدمة تفسيره، أسماه **(باب التنبيه على أحاديث وضعت في فضل سور القرآن وغيره)**، قال فيه: "لا التفات لما وضعه الواضعون واختلقه المختلقون من الأحاديث الكاذبة والأخبار الباطلة في فضل سور القرآن وغير ذلك من فضائل الأعمال"[3].

فهذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ كان الأولى بالشيخ الصابوني أن يتركها، فما صحّ من الروايات فبه ونعمت، ويكفي في فضل سور القرآن أنها كلام رب العالمين، وأن على قراءتها الأجر العظيم، قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ(29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ(30)"[4]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة يعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**"[5].

لكن الصابوني ذكر من الروايات الغث والسمين، واختلطت الروايات عنده بين الصحيح والضعيف، فمن ذلك أنه قال في فضل سورة يس: "قال (صلى الله عليه وسلم): **(إن لكل شيء قلبا**

---

[1] – انظر، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، (القاهرة، دار الشعيب)، 111/1.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 9/1.

[3] – القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، 78/1.

[4] – سورة فاطر، الآيات (29–30).

[5] – رواه الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، بَاب ما جاء فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا من الْقُرْآنِ ما له من الْأَجْرِ، حديث رقم 2910، 175/5، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وقلب القرآن يس، وددت أنها في قلب كل انسان من أمتي)[1]"[2]، مع أن هذا الحديث متفق على ضعفه عند العلماء، بل هو موضوع[3].

ومن ذلك أنه قال في فضائل سورة الواقعة: "عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: **(من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا)**[4]"[5]، مع أن هذه الرواية متفق على أنها ضعيفة، بل بعض طرقها موضوعة[6].

وقد سألت الشيخ الصابوني[7] عن هذه الأحاديث التي ذكرها في تفسيره وهي ضعيفة عند العلماء فقال:

أولا: أنه لم يذكر هذه الأحاديث في الاستدلال على حكم معين، بل ذكرها في الترغيب، وفي فضائل الأعمال، وهذا أمر متساهل فيه عند العلماء.

ثانيا: إن التحقق من صحة الأحاديث، واختيار الصحة، هو عمل المحدِّثين، والصابوني مفسِّر.

---

[1] – أخرجه الترمذي: **سنن الترمذي**، بَاب ما جاء في فَضْلِ يس، حديث رقم 2887، 162/5، وقال: "هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إلا من حديث حُمَيْدِ بن عبد الرحمن وَبِالْبَصْرَةِ لَا يَعْرِفُونَ من حديث قَتَادَةَ إلا من هذا الْوَجْهِ وَهَارُونُ أبو مُحَمَّدٍ شَيْخٌ مَجْهُولٌ حدثنا أبو مُوسَى محمد بن الْمُثَنَّى حدثنا أَحْمَدُ بن سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ حدثنا قُتَيْبَةُ عن حُمَيْدِ بن عبد الرحمن بهذا وفي الْبَاب عن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ولا يَصِحُّ من قِبَلِ إسْنَادِهِ ضَعِيفٌ"، والدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن: **سنن الدارمي**، تحقيق: فواز زمرلي، وخالد العلمي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1 – 1407هـ)، باب في فَضْلِ يس، حديث رقم 3416، 548/2.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 83/3.

[3] – انظر، الألباني، محمد ناصر الدين: **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، أشرف على طباعته: زهير الشاويش، (المكتب الاسلامي، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة)، حديث رقم 1935، 279/1.

[4] – أخرجه القاسم بن سلام، أبو عبيد البغدادي: **فضائل القرآن**، (بلا طبعة ولا دار نشر)، 459/1، وابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري: **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري، (المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387هـ)، 269/5.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 296/3.

[6] – انظر، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، (الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1 – 1415هـ – 1995م)، حديث رقم 289، 457/1.

[7] – في أثناء زيارتي له، يوم الأربعاء الموافق: التاسع من جمادي الأولى (5)، من سنة (1434هـ)، العشرين من شهر مارس، من العام (2013م)، في منزله الكائن في حي الإسكان في مكة المكرمة.

ثالثا: إن الأحاديث التي ذكرها في تفسيره كثيرة جدا، والتحقق منها أمر متعب جدا، ويحتاج إلى وقت طويل، ويجعل الكتاب طويلا جدا، وهذا مخالف لمنهجه في الاختصار.

رابعا: إن هذه الأحاديث اختلف فيها العلماء، فبعض العلماء ضعفها، وبعضهم صحَّحها، وكما أن هذا التفسير للعلماء فهو أيضا للعامة، وما دام أن أحدا من العلماء صحَّحها فلا بأس بذكره للعامة؛ لأن أقوال العلماء بالنسبة إلى العامة دليل شرعي، وأما من ضعّف الحديث من العلماء فله ألا يأخذ به.

المطلب الثاني: المناسبة بين الآيات السابقة واللاحقة

يعتبر علم المناسبات من أشرف العلوم؛ لأنه يتعلق بكتاب الله، وهو علم دقيق يحتاج إلى فهم واضح لمقاصد القرآن الكريم وأهدافه، وتذوق لنظمه وبيانه اِلمعجز، ومعرفة محور السورة الرئيس والهدف الأساس الذي تدور حوله، قال الإمام البقاعي في علم المناسبات: "هو علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن"[1].

وقد اعتبر الإمام البقاعي أن نسبة هذا العلم من علم التفسير، مثل نسبةِ علمِ البيان من علم النحو[2].

والمناسبة بين الآيات، هي: رابط بينها عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه[3].

أو هي كما عرفها الدكتور مصطفى مسلم: "الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"[4].

---

[1] – البقاعي: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، 6/1.

[2] – انظر، مسلم، مصطفى: **مباحث في التفسير الموضوعي**، (دمشق، دار القلم، ط3 – 1421هـ – 2000م)، ص58.

[3] – انظر، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال: **الاتقان في علوم القرآن**، تحقيق: سعيد المندوب، (لبنان، دار الفكر، ط1 – 1416هـ – 1996م)، 273/3.

[4] – مسلم: **مباحث في التفسير الموضوعي**، ص58.

وقد تميز كتاب الصابوني بالاهتمام بالمناسبات، إذ إن الشيخ كان يقسم السورة إلى أقسام، ثم يشرع ـ غالبا إن وجد ـ بذكر المناسبة بين المقاطع بعضها ببعض، فقد اهتم بإظهار المناسبة بين الآية والآية، وبين أجزاء السورة أو بين السورة وسابقتها أو لاحقتها.

وقد سطر الصابوني في مقدمته عند الحديث عن منهجه، أن المناسبة بين الآيات من بين اهتماماته في تفسيره، وسطَّر كل سورة بعناوين متخللة بين المقاطع، أطلق عليها: **(المناسبة بين الآيات)**.

وقد حوى كتاب التفسير للصابوني، المناسبات بأنواعها، فتحدث عن المناسبة بين السور بعضها ببعض، وعن الآيات في السورة الواحدة، كل في موضعه.

فمن النوع الأول، أنه لما أنهى تفسيره لسورة البقرة، وشرع في تفسير سورة آل عمران، ذكر المناسبة بين السورتين في المقدمة فقال: "واذا كانت سورة البقرة قد تناولت الحديث عن (الزمرة الأولى) من أهل الكتاب وهم "اليهود"، وأظهرت حقيقتهم، وكشفت عن نواياهم وخباياهم، وما انطوت عليه نفوسهم من خبث ومكر، فإن سورة آل عمران قد تناولت (الزمرة الثانية) من أهل الكتاب وهم "النصارى" الذين جادلوا في شأن المسيح وزعموا ألوهيته، وكذّبوا برسالة محمد وأنكروا القرآن، وقد تناول الحديث عنهم ما يقرب من نصف السورة الكريمة، وكان فيها الرد على الشبهات التي أثاروها بالحجج الساطعة، والبراهين القاطعة، وبخاصة فيما يتعلق بشأن مريم وعيسى عليه السلام، وجاء ضمن هذا الرد الحاسم بعض الإشارات والتقريعات لليهود، والتحذير للمسلمين من كيد ودسائس أهل الكتاب"[1].

أما النوع الثاني، فكان المسيطر في الكتاب، فقلَّما تجد مقطعا لم يذكر بينه وبين المقطع السابق مناسبة، وهذه المناسبة منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو دقيق، ومنها ما هو منصوص عليه عند العلماء السابقين، ومنها ـ وهو الأغلب ـ ما كان اجتهادًا منه.

فمن الأمور التي قد لا تكون خفية، ولا تحتاج إلى كثير تأمل أو إعمال عقل، ما ذكره عند قوله تعالى: "وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 115/1.

أَقۡرَرۡنَآۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ"[1]، قال: "لما ذكر تعالى خيانة اهل الكتاب بتحريفهم كلام الله عن مواضعه، وتغييرهم أوصاف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الموجودة في كتبهم حتى لا يؤمنوا به، ذكر تعالى هنا ما تقوم به الحجة عليهم، وهو أن الله قد أخذ الميثاق على أنبيائهم أن يؤمنوا بمحمد (صلى الله عليه وسلم) إن أدركوا حياته، وأن يكونوا من أتباعه وأنصاره، فإذا كان الأنبياء قد أخذ عليهم العهد أن يؤمنوا به ويبشروا بمبعثه؛ فكيف يصح من أتباعهم التكذيب برسالته؟ ثم ذكر تعالى أن الإيمان بجميع الرسل شرط لصحة الإيمان، وبين أن الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل الله دينا سواه"[2].

فكونه جل في علاه، كتب عليهم الحجة، لأنه أخذ عليهم الميثاق، أمر ظاهر، بل هو سنة كونية، فالله عز وجل لا يعذب قوما، أو يكتب عليهم معصية؛ إلا بعد أن يأخذ عليهم الحجة، ويبعث فيهم الرسل.

ومن هذا النوع، ما ذكره عند قوله تعالى: (يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ)[3]، قال: "لما ذكر تعالى الوصية عند دنو الأجل وأمر بتقوى الله والسمع والطاعة، أعقبه بذكر اليوم المهول المخيف، وهو يوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين للجزاء والحساب، ثم ذكر المعجزات التي أيد بها عبده ورسوله (عيسى) ومنها المائدة من السماء، وختم السورة الكريمة ببراءة السيد المسيح من دعوى الألوهية، ردا على النصارى الضالين"[4]، فكون البعث والنشور، أمر لاحق للموت، وتابع له؛ أمر بديهي، فالربط بين المقطعين السابقين ظاهر متيسِّر، وغير متعثر.

إلا أن الصابوني، عند ذكره المناسبة في قوله تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا)[5]، أبدع حين قال: "لما جعل تعالى الإيمان والعملَ الصالح أساسا للفوز بالسعادة الأبدية، وبيّن حال المؤمن الذي أراد بعمله الدار الآخرة؛ ذكر هنا طائفة من الأوامر

---

[1] – سورة آل عمران، الآية 81.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 136/1.

[3] – سورة المائدة، الآية 109.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 243/1.

[5] – سورة الإسراء، الآية 23.

والزواجر، التي يقوم عليها بنيان المجتمع الفاضل، ثم ذكر تعالى موقف المشركين المكذبين من هذا القرآن العظيم"[1].

فهذه لفتة جميلة من الصابوني، إذ إن هذا القسم الذي ابتدأ بالأمر ببر الوالدين، والنهي عن عقوقهما، جاء مباشرة بعد الحديث عن أمر عقدي، وهو النهي عن جعل ندا لله عز وجل، فقال سبحانه: (لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا)[2].

فالموضوعان مختلفان نوعا ما، والرابط الظاهري بينهما ما ذكرته الآية (أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا)، قال الشوكاني: "قيل: وجه ذكر الإحسان إلى الوالدين بعد عبادة الله سبحانه أنهما السبب الظاهر في وجود المتولد بينهما وفى جعل الإحسان إلى الأبوين قرينا لتوحيد الله وعبادته من الإعلان بتأكد حقهما والعناية بشأنهما مالا يخفى"[3].

إلا أن الصابوني لفت الأنظار إلى أمر جديد، وهو اتباع الأوامر والنواهي، بعد ذكر المأمورين والمزجورين، وهذه لفته منه تكتب بماء الذهب.

ثم إن الصابوني لم يكن يكتفي أحيانا بذكر مناسبة واحدة، بل كان يذكر أكثر من مناسبة، ومن هذا القبيل، ما ذكره في سورة الحجر، عندما أنهى تفسيره لآيات وصف النار، ووصل إلى قوله تعالى: "إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ"[4]، قال: "لما ذكر تعالى حال الأشقياء من أهل الجحيم؛ أعقبهم بذكر حال السعداء من أهل النعيم، ثم ذكر قصص بعض الرسل مع أقوامهم (لوط، وشعيب، وصالح) تسلية لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليتأسى بهم في الصبر، ثم ذكر الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين، وختم السورة الكريمة، ببشارته عليه السلام بإهلاك أعدائه المستهزئين، وقد حقق تعالى وعده له"[5].

فلم يكتف بذكر المناسبة بين آيات وصف النار، وبين الحديث عن المتقين، بل ربطها أيضا بقصص الأنبياء في السورة، وهذا تفريع جميل منه، وتعداد للمناسبة بين المقاطع فيما بينهما، وبين المقطع الواحد نفسه.

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 127/2.

[2] – سورة الإسراء، الآية 22.

[3] – الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، (بيروت، دار الفكر)، 218/3.

[4] – سورة الحجر، الآية 45.

[5] – الصابوني: **صفوة التفسير**، 96/2.

فالمتتبع لصفوة التفاسير، يرى بكل وضوح، براعة مؤلفه في علم المناسبات، ويلمس الفتوحات الربانية لمؤلفه في هذا الباب، وكما قال الإمام الزركشي: "واعلم أن المناسبةَ علم شريفٌ، تقبلَته العقول، ويعرفُ به قَدر القائل فيما يقول"[1].

المطلب الثالث: اللغة وبيان الاشتقاق (البيان اللغوي والشواهد العربية)

ليس عجبا أن ترى شيخا بمنزلة الصابوني متضلعا في علم اللغة؛ إذ إن معرفة اللغة من العلوم الأساسية التي لابد للمفسر أن يُلِمَ بها، قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[2]، قال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"[3].

وعندما عرّف الإمام الزركشي التفسير؛ ربطه مباشرة بجملة من العلوم، كان أوّلها علم اللغة، فقال: "التفسير: علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات"[4].

ولهذا كان علم اللغة عند الصابوني من أهم العلوم التي سطر بها تفسيره، وجعل لهذا الفن عنوانا ابتدأ به تفسير الآيات.

وقد خصص الصابوني علم اللغة في تفسيره بالمفردات، بينما جعل التراكيب تحت مسمى (البلاغة)[5]، فكان يتناول اللفظة القرآنية التي يظهر فيها جليا علم اللغة، ثم يستشهد على ذلك بالشعر وأقوال العرب.

---

[1] – الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله: **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، دار المعرفة، 1391م)، 35/1.

[2] – سورة يوسف، الآية 2.

[3] – السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، 181/2.

[4] – الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، 13/1.

[5] – لن نتحدث في هذا المبحث عن البلاغة بمفردها، ذلك لأن الأمور التي تناولها الصابوني تحت مسمى البلاغة كثيرة، فمنها التقديم والتأخير، ومنها الأساليب القرآنية، كأسلوب الاستفهام، والتقريع، ومنها الجناس، والطباق...، وغير ذلك من الأساليب، فالجمع بينها في منهج واحد متعذر، من أجل ذلك ارتأينا أن نفرد لكل واحد من هذه الامر في مطلب مستقل، بعد أن نفرد للبلاغة مبحثا مستقلا، ثم نبين منهج الصابوني في كل أمر من هذه الأمور على حدة.

وتناول الصابوني تحت عنوان اللغة قضيتين رئيستين

الأولى: جعلها لغريب القرآن

فسر الصابوني في هذا القسم المفردات التي لابد من بيان المراد منها، ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: "وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ"[1]، قال تحت عنوان (اللغة): "(سفه نفسه): امتهنها واستخف بها، وأصل السفه: الخفة ومنه زمام سفيه أي خفيف، (اصطفيناه): أي جعلناه صافيا من الأدناس، مشتق من الصفوة ومعناه تخير الأصفى، والمراد اصطفاؤه بالرسالة والخلة والإمامة العظمى، (وصى): التوصية: إرشاد الغير إلى ما فيه صلاح وقربة، (شهداء): جمع شاهد أي حاضر، (خلت): مضت وانقرضت"[2]، وهذا كله توضيح لمفردات غريبة.

وعند تفسيره لآيات سورة الإسراء، من قوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ٧١)...، إلى قوله تعالى: (أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا)[3]، قال تحت عنوان اللغة: "(بإمامهم): الإمام في اللغة: كل من يأتم به غيره، سواء كان على هدى أو ضلال، ويطلق الإمام على كتاب الأعمال لأن الإنسان يكون تابعا لكتاب أعماله، يقوده إلى الجنة أو النار، (فتيلا): الفتيل: القشرة التي في شق النواة، ويضرب مثلا للشيء الحقير التافه، ومثله القطمير والنقير، (تركن): تميل، (ليستفزونك): الاستفزاز: الإزعاج بسبب من الأسباب للحمل على الخروج من الوطن وغيره، (وتحويلا): تغييرا وتبديلا، (لدلوك): الدلوك: الغروب يقال دلكت الشمس أى غابت، قال أبو عبيد وابن قتيبة[4]: الدلوك الغروب وأنشد لذي الرومة[5]:

مصابيحُ ليست باللواتي تقودها نجوم ولا بالآفلات الدوالك

---

[1] – سورة البقرة، الآية 130.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 57/1.

[3] – سورة الإسراء، الآيات 71–78.

[4] – انظر، ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي: **لسان العرب**، (بيروت، دار صادر، ط1)، 428/10.

[5] – انظر، ذو الرمة: **ديوان ذي الرمة**، (بلا طبعة ولا دار نشر)، 274/1 .

وقال الأزهري[1]: أصل الدلوك الميل يقال: مالت الشمس للزوال، ومالت للغروب، (غسق): غسَقُ الليل: سواده وظلمته يقال: غسق الليل إذا اشتدت ظلمته"[2].

فكل هذه المفردات غريبة، فسرها الصابوني، واستشهد على ذلك بأقوال أئمة اللغة السابقين؛ وأبيات من الشعر؛ متأسّيا بابن عبّاس القائل: "إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"[3].

وأحيانا كان الصابوني يقتصر في سورة كاملة على شرح الغريب فقط، فمن ذلك ما فسر به مفردات سورة الجمعة، من قوله تعالى: (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١)...، إلى قوله تعالى: (وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ)[4]، قال الصابوني تحت عنوان اللغة: "(الأمِّيِّين): العرب المعاصرين للنبي (صلى الله عليه وسلم) سموا بذلك لاشتهارهم بالأمية وهي عدم القراءة والكتابة، (يزكيهم): من التزكية وهى التطهير من دنس الشرك والمعاصي، (أسفارا): جمع سفر وهو الكتاب الكبير، قال الشاعر[5]:

زوامل للأسفار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباعر

لعمرك ما يدري البعير إذا غدا بأوساقه أو راح ما في الغرائر

(هادوا): تدينوا باليهودية، (انفضوا): تفرقوا وانصرفوا"[6]، فهذه سورة كاملة اقتصر فيها على شرح الغريب، دون أن يتعدى إلى غيره.

الثانية: الصيغ والاشتقاقات والإعراب

فقد كان يذكر أحيانا صيغ المفردات، ليدل على قوة بلاغتها في مكانها، وعلى أن القرآن الكريم استخدم هذه الصيغة لغاية لغوية بليغة.

---

[1] – انظر، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 – 2001م)، 69/10 .

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 136/2.

[3] – الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، 293/1.

[4] – سورة الجمعة، الآيات 1–11.

[5] – القائل هو : مَرْوانُ بنُ أبي حَفْصَةَ، انظر، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **المزهر في علوم اللغة والأدب**، تحقيق: فؤاد منصور، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1418هـ – 1998م)، 267/2.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 349/3.

فمن ذلك، عند تفسيره لقوله تعالى: (هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦)... إلى قوله تعالى: (فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ)[1]، قال: "(هيهات): اسم فعل ماض بمعنى بَعُد، قال الشاعر:

تذكرتُ أياما مَضَين من الصبَا وهيهاتَ هيهاتا إليك رجوعها

(غثاء): الغثاء: العشب إذا يبس، وغُثاء السيل: ما يحمله من الحشيش والقصب اليابس ونحوه، (بعدا): هلاكا، قال الرازي: بعدا وسُحقا ودمارا ونحوها مصادر موضوعة مواضع أفعالها، قال سيبويه: وهي منصوبة بأفعال لا يحسُن إظهارها، ومعنى (بعدا): أي بعدوا بعدا أي هلكوا"[2].

فجمع الصابوني في هذا الموضع بين الاشتقاق والاعراب وشرح الغريب، فعند حديثه عن (هيهات)، ذكر اشتقاقها، وبين أنها اسم فعل ماض، وعند حديثه عن (بعدا)، ذكر قول سيبويه في إعرابها.

ومن ذلك أيضا بيانه لأصل كلمة (كبكبوا) واشتقاقها اللغوي، وعرضه أقوال العلماء في ذلك؛ عند تفسيره لقوله تعالى: (فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ)[3]، قال: "(فكبكبوا): كبكب الشيء: قلب بعضه على بعض، وهو مضاعف من كب وهذا قول الجمهور مثل صر، وصرصر، وقال الزمخشري[4]: الكبكبة: تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها"[5].

وقد يكتفي الصابوني بالنقل عندما تكون المسألة اللغوية المنقولة ذات أصالة لغوية، أو تكون عن شخص ذي باع في اللغة، ومن ذلك ما نقله عن الزمخشري في اختلاف المعنى لبعض الكلمات عند التأنيث، فقال عند تفسيره لقوله تعالى: (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى

---

[1] – سورة المؤمنون، الآيات 39-41.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 232/2.

[3] – سورة الشعراء، الآية 94.

[4] – انظر، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (الكشاف)**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، 327/3.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، /283.

ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ)[1]؛ قال الصابوني: "(السلم): المسالمة والصلح، قال الزمخشري[2]: وهي تؤنث تأنيث ضدها وهي الحرب، قال الشاعر[3]:

السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من أنفاسها جرع"[4].

والصابوني وإن ذكر اشتقاق بعض الكلمات، أو غاص في إعراب بعضها، إنما فعل ذلك لأن ذلك مهم وضروري لمعرفة المعنى، قال الزجاجي: "إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافًا إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها دلالة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة؛ جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني"[5].

وقال ابن جني: " الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى أنَّك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه وشكر سعيدًا أبوه علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ولوكان الكلام شرجًا (نوعًا) واحدًا لاستبهم أحدهما من صاحبه"[6].

وقال الدكتور مازن المبارك: "إن التخلي عن الإعراب في لغة تعتمد حركات الإعراب للتعبير عن المعاني النحوية كاللغة العربية؛ هدم لها وإماتة لمرانتها، وإن في ترك حركات الإعراب إلباسا لكثير من الجمل والتعبيرات لباس الإبهام والغموض... إن كثيرا من الجمل تضيع معانيها بضياع الإعراب فيها، ومن ذا الذي يستطيع أن يقرأ من غير الإعراب ويفهم مثل قولنا: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[7]"[8].

أما الاشتقاقات، فإنها تهدينا إلى معرفة كثير من مفاهيم العرب، ونظارتهم إلى الوجود، وعاداتهم القديمة، وتوحي بفكرة الجماعة وتعاونها وتضامنها في النفوس عن طريق اللغة، وإن اشتراك الألفاظ المنتمية إلى أصل واحد في أصل المعنى، وفي قدر عام منه؛ يسري في جميع مشتقات الأصل الواحد مهما اختلف العصر أو البيئة، يُقابله توارث العرب لمكارم الأخلاق والمثل

---

[1] – سورة الأنفال، الآية 61.

[2] - انظر، الزمخشري: **الكشاف**، 221/2.

[3] – القائل هو : العباس بن مرداس السلمي، انظر، ابن منظور: **لسان العرب**، 3/6.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، /341.

[5] – الزجاجي، أبو القاسم: **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق: مازن المبارك، (بيروت، دار النفائس، ط3 – 1399هـ – 1979م)، 96-105.

[6] – ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١ – 2001م)، 36/1.

[7] – سورة فاطر، الآية 28.

[8] – المبارك، مازن: **نحو وعي لغوي**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2 – 1985م)، ص106.

الخلقية والقيم المعنوية جيلاً بعد جيل، إن وسيلة الارتباط بين أجيال العرب هي الحروف الثابتة والمعنى العام[1].

المطلب الرابع: أسباب النزول

سبب النزول: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، والمعنى أن حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال[2].

ولم يترك الصابوني تفسيره بمعزل عن أسباب النزول، ذلك أن التفسير مرتبط ارتباط عضوي بأسباب النزول، قال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[3].

وقد ذكر الإمام الشاطبي الأدلة التي تجعل العلم بأسباب النزول لازما للمفسر، فقال: معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن والدليل على ذلك أمران[4]:

أحدهما: أن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال حال الخطاب من جهة نفس الخطاب أو المخاطِب أو المخاطَب أو الجميع إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالَين وبحسب مخاطَبين وبحسب غير ذلك.

الوجه الثاني: وهو أن الجهل بأسباب التنزيل مُوقع في الشُّبَه والإشكالات، ومُوردٌ للنصوص الظاهرة مَوْرد الإجمال حتى يقع الاختلاف وذلك مظنة وقوع النزاع.

والصابوني في هذا العلم مجرد ناقل، فقد نقل ما حوته كتب التفسير بالمأثور، أو الكتب التي اهتمت بهذا العلم، مع تقيّده بالتوثيق من الكتب التي نقلت.

---

[1] – انظر، السليم، فرحان: **اللغة العربية ومكانتها بين اللغات**، (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)، 6/1.

[2] – انظر، الزرقاني، محمد عبد العظيم: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (لبنان، دار الفكر. ط1– 1416هـ – 1996م)، 76/1.

[3] – ابن تيمية، أحمد عبد الحليم الحراني: **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، (مكتبة ابن تيمية، ط2)، 339/13.

[4] – انظر، الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي: **الموافقات في أصول الفقه**، تحقيق: عبد الله دراز، (بيروت، دار المعرفة)، 347/3، بتصرف.

ولكن الصابوني ـ وهذا مما أُخذ عليه[1] ـ لم يلتزم بالصحة فيما نقل، بل كان يكتفي بالنقل مع التوثيق، وكأنه اكتفى بالتوثيق لإسقاط الحمل عن رقبته، وكما قيل من أسند فقد أحال، وهو أسند إلى الكتب الناقلة.

ثم إن الصابوني حدثني[2] أن هذه الاحاديث الضعيفة التي رواها إنما رواها لأنها وإن ضعفها بعض العلماء فإن البعض الآخر قد صححها، وهو ليس محدِّثا بل مفسر، فنقل هذه الروايات منه ليس منقصة؛ ما دام أنه اعتمد على الأئمة أصحاب الشأن في هذا التخصص.

لكن هذا الاعتذار ليس مقبولا من الصابوني ـ وهو الإمام العالم ـ عندما تكون الروايات ضعيفة أو موضوعة، ونصوص أهل الاختصاص في ذلك واضحة لكل باحث.

ومن هذه الروايات ما نقله في سبب نزول قوله تعالى: "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ"[3]، قال: "لما افتتح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مكة، ووعد أمته ملك فارس والروم، قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم! هم أعز وأمنع من ذلك، ألم يكفه مكة حتى طمع في ملك فارس والروم فأنزل الله (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ)[4]"[5]، وهذا الحديث موضوع، قال ابن حجر: "لم أجد له إسنادا"[6]، وقال الزيلعي: "غريب"[7].

ومن ذلك ما ذكره سببا لنزول الآية: (وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)[8]، قال الصابوني: "روي أن رجلا يسمى "ثَعْلَبة" جاء الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال يا رسول الله: ادع الله أن يرزقني مالا فقال: ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، فقال: والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقني مالا، لأعطين كل ذي حق حقه، فلم يزل يراجعه حتى دعا له، فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة،

---

[1] – كما سيتبين لنا في الفصل الأخير من هذه الرسالة .

[2] – في زيارتي له في منزله يوم الأربعاء، الموافق: التاسع من جمادي الأولى (5)، من سنة (1434هـ)، العشرين من شهر مارس، من العام (2013م)، بين الظهر والعصر، في منزله الكائن في حي الإسكان في مكة المكرمة.

[3] – سورة آل عمران، الآية 26.

[4] – هذه الرواية متناقلة في كتب التفسير، وليس لها أصلا في كتب الحديث، بل ليس لها إسناد، وقد بحثت لها عن أصل فلم أجد.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 123/1.

[6] – ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني: **الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 – 1418هـ)، ص45.

[7] – الزيلعي، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد: **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، (الرياض، دار ابن خزيمة، ط1 – 1414هـ)، 180/1.

[8] – سورة التوبة، الآية 75.

فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما، ثم نَمَت وكثرت حتى ترك الجمعة والجماعة، فسأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عنه فاخبروه بخبره فقال: يا وَيْح ثَعلبة ثلاثا، فأنزل الله: (وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ) الآية فهلك في خلافة عثمان"[1][2].

هذا الحديث تكلّم فيه جهابذة الحديث ونُقّاده، وبيّنوا زيفه، فمن جهة السند نرى أنّ مداره على علي بن يزيد الألهاني، وهو منكر الحديث جداً، كما قال ابن حبان[3]، وقال البخاري: منكر الحديث، وَقَال أبو حاتم: ضعيف الحديث، أحاديثه منكرة[4]، وقال النسائي: متروك الحديث، وَقَال الحاكم: ذاهب الحديث[5]، وقال الألباني: إسناده ضعيف جداً، والحديث ضعيف جدا[6]، وقد تكلم جهابذة الحديث والنقاد في هذه القصة، وبينوا زيفها.

ثم إن القصة ـ بالإضافة إلى إسنادها ـ مخالفة لقواطع الإسلام، وأصول العقيدة، فباب التوبة لا يغلق، والله يقبل توبة الكافر، وتوبة المرتد[7]، وقد ألف الدكتور عداب الحمش كتابا أسماه **(ثعلبة ابن حاطب الصحابي المفترى عليه)**، رد فيه هذه الرواية سندا ومتنا، وانتصر لهذا الصحابي المفترى عليه.

ومما ينبغي أن يشكر عليه الصابوني في هذا المجال، ما كان ينتقيه في بعض الأحيان من أصح وأقوى الروايات المذكورة في سبب نزول بعض الآيات، وما كان يحقق فيه في بعض الآيات؛ من الروايات التي تُذْكر على أنها سبب نزول لهذه الآية.

---

[1] – أخرجه الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب: **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد السلفي، (الموصل، مكتبة الزهراء، ط2 – 1404هـ – 1983م)، حديث رقم 7873، 218/8.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 369/1.

[3] – ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي: **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، (حلب، دار الوعي، ط1 – 1396هـ)، 110/2.

[4] – انظر، المزي، أبو الحجاج: **تهذيب الكمال**، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1 – 1400هـ – 1980م)، ترجمة رقم 4154، 181/21.

[5] – البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: **التاريخ الكبير**، تحقيق: السيد هاشم الندوي، (دار الفكر)، 301/6.

[6] – انظر، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، (المملكة العربية السعودية، الرياض، دار المعارف، ط1 – 1412هـ – 1992م)، حديث رقم 4081، 78/9.

[7] – انظر، عباس، فضل حسن: **إتقان البرهان في علوم القرآن**، (الأردن، عمان، دار النفائس، ط2 – 1430هـ – 2010م)، 358/1.

فمثلا عند ذكره لقول الله تعالى: (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ)[1]، قال: "روي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كان يدخل على زوجه زينب، رضي الله عنها فيشرب عندها عَسَلا، فاتفقت عائشة وحفصة على أن تقول له كل واحدة إذا دنا منها: أكلت مغافير؟ ـ وهو طعام حلو كريه الريح ـ فلما مر على حفصة قالت له ذلك، ثم دخل على عائشة فقالت له مثل ذلك ـ وكان (صلى الله عليه وسلم) يكره أن توجد منه رائحة كريهة ـ فقال عليه السلام: لا، ولكني شربت عَسَلا عند زينب ولن أعود له وحلف، فنزلت: (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ)"[2][3].

فالصابوني لم يترك هذه الرواية دون تعليق، فقال: "هذه الرواية ذكرت في الصحيحين بأوسع من هذا وهي أصح إسنادا من الأولى[4]، ولكن كونها سببا للنزول مستبعد، والذي يرجح الرواية الأولى أمور: أن مثل تحريم بعض النساء مما يبتغى به مرضاة بعض الزوجات لا شرب العسل أو عدمه، ثانيا: أن الاهتمام بإنزال سورة فيها الوعيد والتهديد لأزواج رسول الله بالطلاق واستبدالهن بنساء خير منهن، وأن الله وملائكته وصالح المؤمنين عون لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، يدل على وجود تنافس بينهن وغيرة بعضهن من بعض، مما أدى إلى إيذاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعلا حتى حرم بعض جواريه إرضاء لهن، واستكتم البعض منهن الأمر فأفشين السر، وهذا يرجح ما ذكرناه وقد قال العلامة ابن كثير: وكون قضية شرب العسل سببا للنزول فيه نظر، والله أعلم"[5].

---

[1] – سورة التحريم، الآية 1.

[2] – أخرجه البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (بيروت، اليمامة، دار ابن كثير، ط3 – 1407هـ – 1987م)، حديث رقم 4964، 2016/5، ومسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، حديث رقم 1474، 1101/2.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 371/3.

[4] – لأن الصابوني ذكر لهذه الآية سببين للنزول، الأولى: روي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يقسم بين نسائه، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في زيارة أبويها فأذن لها، فلما خرجت أرسل إلى جاريته " مارية القبطية " فعاشرها في بيت حفصة، فرجعت فوجدتها في بيتها، فغارت غيرة شديدة، وقالت: أدخلتها بيتي في غيابي، وعاشرتها على فراشي؟ ! ما أراك فعلت هذا إلا لهواني عليك ! فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مسترضيا لها: إني حرمتها علي، وأبشرك بأن أباك عمر، وأبا بكر سيكونان خليفتين بعدي، ولا تخبري بذلك أحدا !! فلما خرج من عندها قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة – وكانتا متصافيتين – وأخبرتها بسر النبي (صلى الله عليه وسلم) فغضب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحلف ألا يدخل على نسائه شهرا واعتزلهن فأنزل الله "**يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك**"، انظر، الصابوني: **صفوة التفاسير**، 370/3.

[5] – المصدر السابق، 371/3.

فمثل هذه المناقشة من الصابوني، رائعة؛ لأنها تدفع توهم التعارض بين روايتين في أسباب النزول، الأولى مشهورة في سبب نزول الآية، والثانية ذكرت في الصحيحين، فمثل هذه المناقشة تدفع الوهم، وترد شبهة التعارض.

والأمر الآخر الذي يمدح عليه الصابوني في تفسيره، أنه لم يقع فيما وقع فيه بعض المفسرين؛ وهو التكلف في البحث عن سبب النزول، فقد ذكر آيات كثيرة دون أن يذكر لها سبب نزول؛ مع أن كتب التفسير قد ذكرت لها أسباب نزول، إلا أن هذه الروايات لم تكن صحيحة.

والأمر الأكثر أهمية؛ أنه كان أحيانا يسير صفحات من التفسير دون أن يذكر سبب نزول واحدا، بل كان ينهي السورة كاملة دون أن يذكر سبب نزول واحدا لهذه السورة، أو لآية من آياتها، كما فعل عند تفسيره لسورة الملك، حتى نهاية سورة المزمل، فقد سار كمًّا من الصفحات دون أن يذكر سبب نزول واحدا[1].

المطلب الخامس: التفسير

اتبع الصابوني في تفسيره أسلوب التفسير الإجمالي، حتى إنه ذكر في مقدمة تفسيره أنه يسعى إلى كتابة تفسير مختصر، فقال: "وقد أسميت كتابي (صفوة التفاسير) وذلك لأنه جامع لعيون ما في التفاسير الكبيرة المفصلة، مع الاختصار والترتيب ، والوضوح والبيان، وكُلِّيْ أمل أن يكون اسمه مطابقا لمسماه، وأن تستفيد منه الأمة الإسلامية، بما يوضح لها السبيل الأقوم، والصراط المستقيم"[2].

إن التفسير الإجمالي للقرآن الكريم، تفسير يقوم على الإجمال والإيجاز والاختصار، قال الشيخ الدهشان: "هو تفسير لمعاني الآيات الكريمة بطريقة موجزة مجملة مختصرة، بعيدا عن الإسهاب والتفصيل في المعاني الثانوية للآيات، مع التركيز على المقاصد والأهداف والمفاهيم القرآنية العامة"[3].

---

[1] – انظر، المصدر السابق، 3/377 – 422.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 6/1.

[3] – اللوح، عبد السلام حمدان، والدهشان، عبد الكريم حمدي: **مباحث في التفسير الموضوعي "نظرية وتطبيق"**، (بلا دار نشر)، ص5.

أما التفسير التحليلي، فقد ذكره الدكتور صلاح الخالدي في حديثه عن أنواع تفاسير القرآن، وسماه التفسير التفصيلي، ووصفه بأنه: "التفسير الذي يسير فيه المفسر مع سور القرآن سورة سورة، ومع آياته آية آية، ويتوسع في تفسيرها وتأويلها، ويفصل في كلامه، ويستطرد، ويعرض موضوعات ومباحث ومسائل عديدة"[1].

والتفسير الإجمالي هو المنهج المطّرد في كل الكتاب، ففي كل سورة، كان الصابوني يذكر تفسيرها الاجمالي، مقسما الآيات إلى جمل، مقتصرا في ذلك على التفسير الظاهر للجمل، دون الغوص في أعماقها.

فالصابوني انتهج في تفسيره، التفسير الإجمالي بصبغة التحليلي، فكان يقسم السورة إلى آيات، ويجزِّء الآيات إلى جمل وتراكيب، ثم يبدأ بتفسير كل جملة على حدة تفسيرا ظاهرا، يدل عليه لفظ الآية.

فمثلا، عند تفسيره للآية (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[2]، قام بتجزيء الآية إلى أقسام، ثم بدأ تفسيرها بقوله: "(يسألونك عن الأهلة): أي يسألونك يا محمد عن الهلال، لِمَ يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يَعْظُم ويستدير، ثم ينقص ويدِقّ حتى يعود كما كان؟ (قل هي مواقيت للناس والحج) أي فقل لهم إنها أوقات لعباداتكم، ومعالم تعرفون بها مواعيد الصوم والحج والزكاة، (وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها)، أي ليس البر بدخولكم المنازل من ظهورها كما كنتم تفعلون في الجاهلية، (ولكن البر من اتقى) أي ولكن العمل الصالح الذي يقربكم من الله في اجتناب محارم الله، (وأتوا البيوت من أبوابها) ادخلوها كعادة الناس من الأبواب، (واتقوا الله لعلكم تفلحون) أي اتقوا الله لتسعدوا وتظفروا برضاه"[3].

فهذا تفسير تحليلي ابتداء، لكنه لم يتوسع في ذكر دلالات الآية، بل اكتفى بذكر ما تدل عليه ظاهر الآية، مع عدم الغفلة عن متعلقات الآية من أسباب نزول، أو تخصيص، أو تقييد.

---

[1] – الخالدي، صلاح عبد الفتاح: **التفسير والتأويل في القرآن الكريم**، (عمان، دار النفائس، ط1 – 1997م)، ص13.

[2] – سورة البقرة، الآية 189.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 76/1.

وعند تفسيره لقوله تعالى: (وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ)[1].

قال: "(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) أي لا تدعو أهل الكتاب إلى الإسلام، وتناقشوهم في أمر الدين، إلا بالطريقة الحسنى كالدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه وبيناته، (إلا الذين ظلموا منهم) أي إلا من كان ظالما محاربا لكم، مجاهدا في عداوتكم، فجادلوهم بالغلظة والعدة، قال الإمام الفخر[2]: إن المشرك لما جاء بالمنكر الفظيع، كان اللائق أن يجادل بالأخشن، ويبالغ في توهين شبهه وتهجين مذهبه، وأما أهل الكتاب فإنهم آمنوا بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، إلا الاعتراف بالنبي عليه السلام، فلمقابلة إحسانهم يجادَلون بالأحسن، إلا الذين ظلموا منهم بإثبات الولد لله، والقول بثالث ثلاثة، فإنهم يجادلون بالأخشن من تهجين مقالتهم، وتبيين جهالتهم، (وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) أي وقولوا لهم: آمنا بالقرآن الذي أنزل إلينا، وبالتوراة والإنجيل التي أنزلت إليكم، قال أبو هريرة: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **(لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم)**[3]، (وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) أي ربنا وربكم واحد، لا شريك له في الألوهية، ونحن له مطيعون، مستسلمون لحكمه وأمره"[4].

فهذا التفسير، وإن كان تفسيرا إجماليا، إلا أن فيه نوعا من التفصيل، فقول الفخر الرازي تفصيل لمعنى المجادلة، وبيان لوقتها وكيفيتها، وهذا خارج عن ظاهر الآية.

والصابوني، وإن كان قد استطرد أحيانا في تفسيره، ليخرج قليلا عن تفسيره الإجمالي، ويغوص قليلا ـ من غير توسع ـ في بعض دلالات الآيات، إلا أن السمت العام للكتاب لم يخرج عن التفسير الإجمالي، حتى إنه كان يعنون التفسير بقوله: "التفسير الإجمالي للآيات"، والكتاب كله شاهد على ذلك.

---

[1] – سورة العنكبوت، الآية 46.

[2] – انظر، الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي: **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1421 هـ – 2000م)، 66/25.

[3] – البخاري: **صحيح البخاري**، باب "قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا"، حديث رقم: 4215، 1630/6.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 340/1-341.

المطلب السادس: الفوائد واللطائف

زيّن الصابوني تفسيره بلمسات تربوية وفنيّة وفكريّة واجتماعية وغيرها، وقد جعل ذلك كله تحت عنوان: (الفوائد واللطائف)، وقد لمس خلالها عددا من القضايا:

أولا: قضايا لغوية بلاغية

من القضايا الكبرى التي تناولها الصابوني في فوائده، بلاغة القرآن الكريم، ومن ذلك ما ذكره عند التعبير القرآني لتحريم الخمر بلفظ (فاجتنبوه)[1] فقال: " التعبير بقوله تعالى: (فاجتنبوه)، نص في التحريم، ولكنه أبلغ في النهي والتحريم من لفظ "حرم" لأن معناه البعد عنه بالكلية، فهو مثل قوله تعالى: (ولا تقربوا الزنى)[2]؛ لأن القرب منه اذا كان حراما، فيكون الفعل محرما من باب اولى، وكذلك هنا"[3].

ومن ذلك ما ذكره عن الفرق بين الحَكم والحاكم، في قول الله تعالى: (أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا)[4]، قال الصابوني: "الحكم أبلغ من الحاكم وأدل على الرسوخ، لأنه لا يطلق إلا على العادل، وعلى من تكرر منه الحَكَم بخلاف الحاكم، فالله هو الحكم العدل"[5].

ومن ذلك أيضا حديثه عن لفظ البشر، فقال: "لفظ البَشَر يطلق على الواحد والجمع، فمن إطلاقه على الواحد: (فتمثل لها بشرا سويا)[6]، و: (أنؤمن لبشرين مثلنا)[7]، ومن إطلاقه على الجمع: (فإما ترين من البشر أحدا)[8]، و: (وما هي إلا ذكرى للبشر)[9] أفاده صاحب الكشاف"[10].

---

[1] – سورة المائدة، الآية 90.

[2] – سورة الإسراء، الآية 32.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 239/1.

[4] – سورة الأنعام، الآية 114.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 276/1.

[6] – سورة مريم، الآية 17.

[7] – سورة المؤمنون، الآية 47.

[8] – سورة مريم، الآية 26.

[9] – سورة المدثر، الآية 31.

[10] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 235/2.

ثانيا: قواعد قرآنية عامة

حاول الصابوني أن يُسطِّر بعض القواعد المتعلقة بالقرآن الكريم، فمن ذلك تعليله لتكرار بعض الآيات، فعند حديثه عن الآية (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[1]، قال: "تكرر ورود هذه الآية: (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)، قال أبو حيان[2]: ولا تأتي الجملة إلا عقب ارتكاب معصية، فتجيء متضمنة وعيدا، ومُعْلمة أن الله لا يترك أمرهم سدى"[3].

وعند حديثه عن الخطاب القرآني في سورة النساء، متمثلا في الآية الأولى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبٗا)[4]، قال: "الأغلب أنه إذا كان الخطاب بـ: (يا أيها الناس)، أعقب بدلائل الوحدانية والربوبية مثل: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم)[5]، و: (يا أيها الناس إن وعد الله حق)[6]، وإذا كان الخطاب للمؤمنين أعقب بذكر النعم كما هنا"[7].

ثالثا: روايات وقصص من الواقع

من الأمور التي كان الصابوني يذكرها ليدل بها على رأيه، أو يدل بها على أمر معين؛ ما ذكره ليبين حكم الشارع عند سماع صوت الرعد، فقال: "روي عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان إذا سمع صوت الرعد يقول: **(سبحان من يسبح الرعد بحمده،**

---

[1] – سورة البقرة، الآية 140.

[2] – انظر، أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي: **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وزكريا عبد المجيد النوقي، وأحمد النجولي الجمل، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1422هـ – 2001م)، 433/1.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 60/1.

[4] – سورة النساء، الآية 1.

[5] – سورة البقرة، الآية 21.

[6] – سورة فاطر، الآية 5.

[7] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 168/1.

والملائكة من خيفته، وهو على كل شيء قدير)[1] وكان أبو هريرة يقول: من قالها فأصابته صاعقة فعليّ ديته"[2].

ومن ذلك ما ذكر لإثبات المجاز، فقال: "ذكر أن شخصا ممن ينكر المجاز والاستعارة في القرآن الكريم جاء إلى شيخٍ فاضل عالم، منكراً عليه دعوى المجاز ـ وكان ذلك السائل المنكِر أعمى ـ فقال له الشيخ ما تقول في قوله تعالى: (وَمَن كَانَ فِى هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِى الأٌّ خِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً)[3]، هل المراد بالعمى الحقيقة وهو "عمى البصر"؟، أم المراد به المجاز "عمى البصيرة"؟ فبهت السائل وانقطعت حجته"[4].

ومن ذلك ما ذكره في نهاية سورة المجادلة، فقال: "روى الإمام أحمد عن أبي الطفيل أن نافع ابن عبد الحارث لقى عمر بن الخطاب بعسفان ـ وكان عمر استعمله على مكة ـ فقال عمر: من استخلفتَ على أهل الوادي؟ فقال: استخلفت عليهم ابن أبزى فقال: ومن ابن أبزى؟ فقال: رجل من موالينا، فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟ فقال يا أمير المؤمنين: إنه قارئ لكتاب الله، عالم بالفرائض، قاض، فقال عمر رضي الله عنه: أما إن نبيكم (صلى الله عليه وسلم) قال: **(إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين)**[5] وهذا إشادة بفضل العلم والعلماء"[6].

رابعا: لفتات تربوية

لم يغفل الصابوني عن هذا الجانب في تفسيره، بل كان كثيرا ما يستخلص اللفتات التربوية من الآيات القرآنية، فمن ذلك ما ذكره للدلالة على عفة يوسف عليه السلام، فقال: "أثنى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على يوسف الصديق في كرمه وصبره وحلمه فقال: **(لو لبثتُ في السجن ما لبثَ يوسفُ لأجبتُ الداعي)**[7] وكفى بهذا برهانا على عفة يوسف ونزاهته عليه السلام"[8].

---

[1] – أخرجه الإمام مالك، أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي: **موطأ الإمام مالك**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (مصر، دار إحياء التراث العربي)، باب الْقَوْلِ إذا سَمِعْتَ الرَّعْدَ، حديث رقم 1801، 992/2.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 74/2.

[3] – سورة الإسراء، الآية 72.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 139/2.

[5] – أخرجه الإمام مسلم: **صحيح مسلم**، حديث رقم 817، 559/1.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 327/3.

[7] – أخرجه البخاري: **صحيح البخاري**، حديث رقم 6591، 2567/6، ومسلم: **صحيح مسلم**، حديث رقم 151، 133/1.

[8] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 61/2.

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند قول الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)[1]، قال الصابوني: "التعبير بقوله تعالى: (فاسعوا إلى ذكر الله) فيه لطيفة، وهي أنه ينبغي للمسلم أن يقوم إلى صلاة الجمعة بعزيمة وهمة، وجِدٍّ ونشاط، لأن لفظ السعي يفيد الجد والعزم، ولهذا قال الحسن البصري[2]: والله ما هو سعى على الأقدام، ولكنه سعى بالنية، والقلوب، والخشوع"[3].

خامسا: لفتات إيمانية

كان الصابوني يستخلص من بعض الآيات القرآنية لمسات إيمانية، ليشد بها القارئ، ويهذب بها روحه، ومن ذلك ما ذكره عند الآية: (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)[4]، فقال: "قوله تعالى: (حسبنا الله ونعم الوكيل)، هي الكلمة التي قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، فنجاه الله منها، وجعلها بردا وسلاما عليه !! قال السيوطي في الإكليل[5]: يستحب قول هذه الكلمة عند الغم والأمور العظيمة"[6].

ومن ذلك أيضا ما ذكره عن حكمة الإسراء إلى بيت المقدس، فقال: "الحكمة في إسرائه إلى بيت المقدس، ثم عروجه من بيت المقدس إلى السموات العلى، أنه مجمع أرواح الأنبياء، وموطن تنزل الوحي الإلهي على الرسل الكرام، ولما كانت هذه الرحلة (رحلة تكريم) لسيد الأنبياء، أراد تعالى أن يشرفهم بزيارته، ولهذا صلى الرسول بهم إماما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"[7].

---

[1] – سورة الجمعة، الآية 9.

[2] – انظر، الشوكاني: **فتح القدير**، 227/5.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 353/3.

[4] – سورة آل عمران، الآية 173.

[5] – انظر، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإكليل في استنباط التنزيل**، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1– 1401هـ – 1981م)، 74/1.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 158/1.

[7] – المصدر السابق، 127/2.

المبحث الثاني: ترتيب تفسير السور والآيات

المطلب الأول: تقسيم السور إلى مقاطع

أولا: تقسيم السورة

التزم الصابوني في تفسيره، بتقسيم السور إلى مقاطع، متبعا في ذلك المنهج المتّبع في التفسير الموضوعي، وقد فسّره الدكتور عبد الحي الفرماوي بقوله: "التفسير الموضوعي اصطلاحٌ مستحدث، أطلقه العلماء المعاصرون على: جمع الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد، التي اشتركت في موضوعٍ ما، وترتيبها حسب النزول ـ ما أمكن ذلك ـ مع الوقوف على أسباب نزولها، ثم تناولها بالشرح والبيان والتعليق والاستنباط، وإفرادها بالدرس المنهجي الموضوعي، الذي يُجلِّيها من جميع نواحيها وجهاتها، ووزنها بميزان العلم الصحيح، الذي يبين الباحث معه الموضوع على حقيقته، ويجعله يدرك هدفه بسهولةٍ ويسر، ويحيط به إحاطة تامة، تمكنه من فهم أبعاده، والذود عن حياضه"[1]، وقال الدكتور عبد المنعم القصّاص: "التفسير الموضوعي هو تقسيمُ آيات القرآن الكريم إلى مجموعات كل مجموعة منها تندرج تحت عنوان يشملها جميعاً، فهذه الآيات المتفرقة تكوِّن بحثاً مستقلاً متميزاً عن غيره ذات موضوع واحد وهدف واحد"[2]. فهذا العمل ـ أي تقسيم السورة إلى مقاطع ـ هو جزء أصيل من التفسير الموضوعي.

والمتتبع لتقسيمات السور في تفسير الصابوني؛ يرى اجتهاد مؤلفه فيه، فالتقسيم الذي سار عليه للسور انفرد به[3]، فلم يسبقه أحد في ذلك.

فمثلا قسّم الصابوني سورة الأنفال إلى أربعة مقاطع، عرض محور السورة من خلالها، وفسر السورة في ضوء هذه المقاطع[4].

---

[1] – الفرماوي، عبد الحي: **البداية في التفسير الموضوعي** "**دراسة منهجية موضوعية**"، (مطبعة الحضارة العربية، ط2 – 1397هـ–1977م)، ص 52.

[2] – القصاص، عبد المنعم علي إبراهيم: **دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، (القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية، ط 1 – 1411هـ–1990م)، ص 27.

[3] – لا نقصد هنا حقيقة التقسيم، بل قصدنا تقسيمه لكل سورة على حدى، فهو لم يقلد أحدا من العلماء في تقسيماته للسور، بل قسّم كل سورة تقسيما خاصا انفرد به.

[4] – انظر، الصابوني: **صفوة التفاسير**، 326/1.

بينما نجد الشيخ سعيد حوى قد قسم السورة إلى **(قسمين)**، القسم الأول: يتألف من مقدمة، ومقطعين، والقسم الثاني: يتألف من مقطعين وخاتمة للسورة، ثم سار على ذلك في عرض السورة وفق هذين القسمين[1].

وأما الدكتور مصطفى مسلم، فكان يحب التفصيل أكثر من سابقيه، فقسم السورة إلى **(أحد عشر مقطعا)**، ثم وزع الآيات على هذه المقاطع وبدأ بعرض السورة عرضا موضوعيا[2].

وعند تفسير الصابوني لسورة الحجر؛ عرضها في مقطعين[3]، بينما عرضها صاحب الظلال في خمسة مقاطع[4]، وقسّمها سعيد حوى إلى ستة مقاطع[5]، وقسمها الشوكاني إلى سبعة مقاطع[6]، وقسّمها الدكتور مصطفى مسلم إلى خمسة مقاطع[7].

وقسّم الصابوني سورة الأحقاف إلى مقطعين[8]، بينما نجد أن هذه السورة عند صاحب الظلال

تدور في خمسة مقاطع[9]، وعند صاحب الأساس في ثلاثة مقاطع[10]، وعند الإمام الشوكاني في خمسة مقاطع[11]، وعند الدكتور مصطفى مسلم في أربعة مقاطع[12].

والحقيقة إن جهود العلماء السابقة وغيرهم جهود مشكورة، إلا أنها محض اجتهاد، وتذوق للنص القرآني وتشرّبه، ولو لم يكن اجتهادا لما تنوعت تقاسيمهم للسورة التنوع السابق، فدل اختلافهم في التقسيم إلى أن منطلقهم فيه هو الاجتهاد، ولكل مجتهد نصيب.

---

[1] – انظر، سعيد حوى: **الأساس في التفسير**، (دار السلام، ط1 – 1405هـ – 1985م)، 2111/4.

[2] – انظر، مسلم: **التفسير الموضوعي للسور القرآنية**، 136/3 – فما بعدها.

[3] – انظر، الصابوني: **صفوة التفاسير**، 92/2.

[4] – انظر، سيد قطب: **في ظلال القرآن**، 2121/4.

[5] – انظر، سعيد حوى: **الأساس في التفسير**، 2860/6.

[6] – انظر، الشوكاني: **فتح القدير**، 150/3.

[7] – مسلم: **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، 93/4.

[8] – انظر، الصابوني: **صفوة التفاسير**، 213/3.

[9] – لنظر، سيد قطب: **في ظلال القرآن**، 2351/6.

[10] – انظر، سعيد حوى: **الأساس في التفسير**، 5241/9.

[11] – انظر، الشوكاني: **فتح القدير**، 16/5.

[12] – مسلم: **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، 177/7.

وهذه التقسيمات من الصابوني، اختارها بعد تأمله وتفكره في كتاب الله عز وجل، وتشربه للسور القرآنية، ومعايشته للأحداث والموضوعات التي جمعتها السورة، ومن خلال إدراكه للمحور الرئيس في السورة، وهذا أمر كفيل بإبراز مكانة الصابوني في التفسير.

ثانيا: منهجه في التقسيم

اتبع الصابوني في تفسيره منهج الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، فكان يتناول كل سورة قرآنية مستقلة عن غيرها من السور، فيجعل منها وحدة موضوعية متكاملة مهما تعددت القضايا المطروحة فيها، وذلك بالبحث عن الهدف الأساسي في السورة الواحدة بما يمثل محورها الرئيس ثم يربط بين قضايا السورة ومقاطعها من جهة ثم بينها وبين محور السورة من جهة أخرى بما يثبت صحة محورها وتناسبه مع قضايا السورة، ويُعد علم المناسبات هو الأسلوب البارز والأداة الفاعلة للربط والسبك لتظهر بذلك وحدة السورة الموضوعية المتناسقة رغم كثرة قضاياها وموضوعاتها الفرعية والجزئية، وهو هو عين التفسير الموضوعي[1].

وقد التزم الصابوني في تقسيمه للسور، أن يكون كل مقطع يندرج تحت غرض معين من أغراض السورة، وهذا استكمالا منه لمعنى التفسير الموضوعي، قال الدكتور عبد الستار سعيد: "هو علمٌ يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنىً أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، وبشروط مخصوصة، لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع"[2].

فمثلا من عند تقسيم الصابوني لسورة المائدة، قسمها إلى تسعة مقاطع، جعل كل قسم منها في موضوع معين[3]، فالقسم الأول في الشرائع من الاحكام، والثاني بيان إنعام الله تعالى على

---

[1] – انظر، القصاص: **دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ص30، والخالدي، صلاح عبد الفتاح: **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، (الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1 – 1418هـ – 1997م)، ص56.

[2] – السعيد، عبد الستار: **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، (دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط 2 – 1411هـ –1991م)، ص 20.

[3] – كان الصابوني يذكر عنوان المقطع، عند ربطه بين المقاطع بالمناسبات، فكان يذكر عنوان المقطع الأول، ثم ينتقل إلى المقطع الثاني ويذكر عنوانه، ومن هنا أخذنا عناوين المقاطع التي قسم بها الصابوني سور القرآن الكريم.

المؤمنين بالهداية للإسلام، والثالث في ذكر قصة ابني آدم تشبيها لبني إسرائيل بابن آدم القاتل، وهكذا، وربط بين هذه المقاطع بمناسبات[1].

وعند تقسيمه لسورة المؤمنون جعلها في أربعة مقاطع، عنون الاول بدلائل التوحيد على الخلق، والثاني في الأمثلة على مصير المكذبين وما نالهم من العذاب، والثالث في الحث على اجتناب طرق أهل الضلال والزيغ، والمقطع الأخير في بيان أسباب الزيغ والطغيان، وربط بين هذه المقاطع بمناسبات[2].

وكان الصابوني أحيانا يدرج تحت الغرض الواحد أكثر من مقطع، فبعض الموضوعات الطويلة يمكن أن تقسّم إلى أكثر من مقطع، كما يمكن جمع أكثر من موضوع في مقطع واحد حسب الطول والقصر، إلا أن كل مقطع كان مفهوم المعنى بذاته، مكتمل المعنى بربطه ببقية المقاطع، تام المعنى في السورة كلها، وكل هذا تجده في تفسير الصابوني.

المطلب الثاني: طريقته في تفسير أجزاء الآية الواحدة

بعد أن كان الصابوني يقسم السورة إلى مقاطع، كان يجزّئ الآية إلى جمل وتراكيب، ويفسر كل جزء على حدة، بأسلوب قريب من طبيعة التفسير التحليلي أو التجزيئي، يقول الدكتور صلاح الخالدي: "ووجه تسمية التفسير الموضعي بالتجزيئي، أن المفسر يقوم بتجزيء الآية، وتقسيمها إلى عدة جمل، ثم يتكلم على جملها جملة جملة، وقد يتكلم على كلماتها كلمة كلمة"[3].

وهذا الأمر هو المنهج الفعلي للصابوني في تفسيره، فبعد أن قسم السورة القرآنية إلى مواضع، أفرد كل موضوع على حدة، وجزّء آياته، وفسّر كل جزء تفسيرا إجماليا يتماشى مع منهج الاختصار الذي سار عليه مؤلف الكتاب.

فمثلا بعد أن قسم الصابوني سورة يوسف إلى خمسة مقاطع، شرع بتفسيرها مقطعا مقطعا، فابتدأ بالمقطع الأول، فقال: "(الر): إشارة إلى الإعجاز، فمن هذه الحروف وأمثالها تتألف آيات الكتاب المعجز، (تِلْكَ ءايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ)[4]: أي تلك الآيات التي أنزلت إليك أيها الرسول هي

---

[1] – انظر، الصابوني: **صفوة التفاسير**، 211/1.

[2] – انظر، المصدر السابق، 229/2.

[3] – الخالدي: **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، ص41.

[4] – سورة يوسف، الآية 1.

آيات الكتاب المعجز في بيانه، الساطع في حججه وبراهينه، الواضح في معانيه، الذي لا تشتبه حقائقه، ولا تلتبس دقائقه، (إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا): أي أنزلناه بلغة العرب كتابا عربيا مؤلفا من هذه الأحرف العربية، (لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[1]: أي لكى تعقلوا وتدركوا أن الذي يصنع من الكلمات العادية في هذا الكتاب المعجز، ليس بشرا، وإنما هو إله قدير، وهذا الكلام وحي منزل من رب العالمين...،"[2].

وهذا الأمر عين التفسير التجزيئي، إذ أنه جزّء الآية الأولى ـ على قصرها ـ إلى جزأين، وجزّء الآية الثانية إلى جزأين كذلك، وهذا هو التفسير التجزيئي.

وعند تفسيره لسورة النصر، جعل السورة كلها مقطعا واحدا، إلا أنه جزّء المقطع إلى آيات، وجزّء بعض الآيات إلى أكثر من قسم، وفسر آية تفسيرا إجماليا مستقلا بكيانه عن القسم الآخر، مرتبطا به بمعناه، فقال: "(إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ): الخطاب لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) يذكره ربه بالنعمة والفضل عليه وعلى سائر المؤمنين، والمعنى: إذا نصرك الله يا محمد على أعدائك، وفتح عليك مكة (أم القرى) والإخبار بفتح مكة قبل وقوعه، إخبار بالغيب، فهو من أعلام النبوة، قال القرطبي: "إذا" بمعنى قد أي قد جاء نصر الله لأن نزولها بعد الفتح، (وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً): أي ورأيت العرب يدخلون في الإسلام، جماعات جماعات، من غير حرب ولا قتال، لأنه بعد فتح مكة صارت العرب تأتي من أقطار الأرض طائعة، قال ابن كثير: إن أحياء العرب كانت تنتظر فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة، دخلوا في دين الله أفواجا، فلم تمض سنتان حتى استوثقت جزيرة العرب إيمانا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ):أي فسبح ربك وعظمه بحمده على هذه النعم، وأشكره على ما أولاك من النصر على الأعداء، وفتح البلاد، وإسلام العباد، (وَاسْتَغْفِرْهُ): أي أطلب منه المغفرة لك ولأمتك، (إِنَّهُ كَانَ تَوابَا): أي إنه جل وعلا كثير التوبة، عظيم الرحمة بعباده المؤمنين"[3].

---

[1] – سورة يوسف، الآية 2.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 47/2.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 532/3.

فالصابوني فسّر آيات السورة كل آية على حدة، وقسّم الآية الثالثة إلى قسمين، فسّر كل قسم بمعزل عن سابقه، وإن كان بالجملة معانيها مرتبطة.

المبحث الثالث: القيمة العلمية لتفسير الصابوني

لا يخلو جهد من ثمار، فكيف إذا كان هذا الجهد تفسيرا لكلام رب العالمين، وكتاب (صفوة التفاسير) للصابوني من كتب التفسير المهمة، كتبه مستعينا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، رابطا ذلك بالواقع المُعاش.

وهو تفسير ليس بالطويل الصعب القراءة، ولا بالقصير قليل الفائدة، وإنما بين هذا وذاك، وقد حوى من الفوائد الكثير، وبيان ذلك في المطلبين التاليين.

المطلب الأول: القيمة العلمية لتفسير الصابوني من خلال الكتاب

تبرز القيمة العلمية لصفوة التفاسير من خلال النقاط التالية:

أولا: إنه كتاب اختص بأفضل العلوم على الإطلاق

ألا وهو **(علم التفسير)**، لارتباطه بأهم الكتب على الإطلاق، ألا وهو كتاب الله عز وجل **(القرآن الكريم)**، قال الإمام السيوطي: "أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات، وأجل العلوم الثلاثة الشرعية"[1].

فعلم تفسير القرآن من أجلِّ العلوم، لأنه كاشف عن معاني القرآن الكريم وعظمته، قال إياس ابن معاوية: "مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره، كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح، فتداخلتهم روعة لا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب"[2].

---

[1] – السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، 465/4.

[2] – القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، 26/1.

ثانيا: إنه كتاب تفسير قائم على الاختصار والإيجاز

وهذه مزية عظيمة لهذا الكتاب، نظراً لأهمية الإيجاز في اللغة العربية، ومكانته في كتاب الله عز وجل القائم على الإيجاز، فمن شأن العرب الإيجاز، والاكتفاء بالقليل عن الكثير إذا كان ما بقي دالا على المعنى[1].

فعلم الإيجاز علم عظيم لا يستطيع أي واحد الخوض فيه، بل ينبغي لمن أراد الغوص فيه أن يكون عالما بكثير من العلوم المتعلقة باللغة، وقد عرّف الجاحظ الايجاز بقوله: "الإيجاز ليس يُعنَى به قلَّةُ عددِ الحروفِ واللفظ...، وإنَّمَا ينبغي له أن يحذف بقدرِ ما لا يكون سبباً لإغلاقه، ولا يردِّد وهو يَكتفي في الإفهام بشِطره، فَما فضَل عن المقدار فهو الخطل"[2].

والمتتبع لتفسير الصابوني، يرى أنه تفسير قائم على الإيجاز، وقد ذكر ذلك في مقدمة تفسيره فقال: "وقد أسميت كتابي "صفوة التفاسير" وذلك لأنه جامع لعيون ما في التفاسير الكبيرة المفصلة، مع الاختصار والترتيب ، والوضوح والبيان"[3].

ثالثا: إنه كتاب تفسير جمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والاجتهاد

التفسير المأثور: هو ما جاء في القرآن الكريم نفسه، أو ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن أصحابه رضي الله تعالى عنهم، بيانا لمراد الله تعالى من كتابه[4]، وسيأتي تفصيل ذلك في مكان آخر من هذه الرسالة[5].

والتفسير بالرأي: هو صرف الآية إلى معنى محتملٍ، موافق لما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط[6]، وسوف يأتي تفصيل ذلك في مكان آخر من الرسالة[7].

---

[1] – انظر، الفراهيدي، الخليل بن أحمد: **الجمل في النحو**، تحقيق: فخر الدين قباوة، (ط5 – 1416هـ – 1995م)، 248/1.

[2] – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **كتاب الحيوان**، تحقيق: أبو عثمان عمرو بن بحر، (لبنان، بيروت، دار الجيل، 1416هـ – 1996م)، 91/1.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 6/1.

4– انظر، الزرقاني: **مناهل العرفان**، 12/2، والذهبي، محمد حسين: **التفسير والمفسرون**، (مصر، مكتبة وهبة، ط8 – 1424هـ – 2003م)، 152/1.

[5] – انظر المبحث الأول من الفصل الثالث من هذه الرسالة، ص 76.

[6] – البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: **معالم التنزيل**، تحقيق: محمد النمر، وعثمان جمعة، وسليمان الحرش، (دار طيبة، ط4 – 1417هـ – 1997م)، 46/1.

[7] - انظر المبحث الثاني من الفصل الثالث من هذه الرسالة، ص 101.

و"صفوة التفاسير" حوى الكثير من الروايات المرفوعة[1]، والموقوفة[2]، والمقطوعة[3]، وهذه كلها من التفسير بالمأثور، وحوى أيضا الكثير من التوجيهات، والاجتهادات، والترجيحات؛ والتي تصب في علم التفسير بالرأي والاجتهاد.

رابعا: إنه حوى الكثير من العلوم المتعلقة بالتفسير

فصفوة التفاسير ميدان لعلوم البلاغة واللغة والنحو، وعلوم القرآن على تنوعها، وعلوم الحديث بكافة أشكاله، ويمكن إجمال هذه العلوم بما يلي:

علوم القرآن

علوم القرآن من العلوم التي لابد لكل مفسر من الإحاطة بها، وتشتمل على (**علم القراءات، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم المكي والمني، وعلم المحكم والمتشابه، وعلم القصص القرآني...، وغيرها**)[4].

وفي صفوة التفاسير من هذه العلوم الكثير، وسيُفرد لكل نوع من هذه العلوم عنوان مستقل للبحث فيه بإذن الله تعالى.

الفقه وعلومه

علوم الفقه من العلوم المهمة في التفسير، وبخاصة في تفسير الآيات المتعلقة بالأحكام، فعلى المفسر أن تكون عنده دراية بعلوم أصول الفقه، ليتمكن من كيفية استنباط الأحكام، وكيفية الاستدلال به[5].

---

[1] – هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم، من قول، أو فعل، أو تقرير أو صفة، انظر، الجديع، عبد الله بن يوسف: **تحرير علوم الحديث**، (لبنان، بيروت، مؤسسة الريان، ط3 – 1428هـ – 2007م)، 27/1.

[2] – هو ما أضيف إلى الصحابي من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، انظر، الجديع: **تحرير علوم الحديث**، 39/1.

[3] – هو ما أضيف إلى التابعي من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، انظر، الجديع: **تحرير علوم الحديث**، 39/1.

[4] – الذهبي: **التفسير والمفسرون**، 266/1.

[5] – الذهبي: **التفسير والمفسرون**، 277/1.

وقد برزت علوم الفقه وأصوله في صفوة التفاسير، فلم يترك آية من آيات الأحكام إلا وعرض الأحكام الشرعية التي تناولها، مع الحرص على الاختصار، وعدم التوسع في ذكر المذاهب، وسيأتي الكلام في هذا الموضوع بتوسع أكبر، في فصل مستقل من هذه الدراسة بإذن الله تعالى[1].

علوم اللغة

تعتبر اللغة العربية من أهم الأدوات التي يجب على المتدبر للقرآن الكريم أن يتقنها، وهذه العلوم تشمل **(علم النحو، وعلم الصرف، وعلم الاشتقاق، وعلم المفردات، وعلم المعاني، وعلم البديع، وعلم البيان)**، قال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"[2].

وعلوم اللغة بشتى أنواعها واضحة في تفسير الصابوني، وقد تقدّم ذكر بعضها، وسيأتي ما تبقى من ذلك في مكانه من هذه الدراسة بإذن الله[3].

علم الواقع

كثير ممن يفسر القرآن يكرر مسائل ومباحث سابقة، قد قُتلت بحثاً، أو لا وجود لها في الواقع، ويتركون بحث المشكلات المعاصرة في ضوء القرآن الكريم، إما عجزًا أو تهاوناً وكسلاً، أو غير ذلك[4]، لكن الصابوني تجاوز ذلك من خلال الفوائد واللطائف التي أبرقها في تفسيره، ومن خلال اللفتات التربوية والإيمانية التي أطلقها، حتى إنه دوَّن في مقدمته أنه حريص على ذلك، فقال: "فإن من واجب العلماء اليوم أن يبذلوا جهدهم لتيسير فهمه على الناس، بأسلوب واضح، وبيان ناصع، لا حشو فيه ولا تطويل، ولا تعقيد ولا تكلف، وأن يبرزوا ما في القران من روعة

---

[1] – انظر الفصل السادس من هذه الرسالة، ص 193.

[2]– السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، 181/2.

[3] – انظر المبحث الثاني من الفصل الرابع من هذه الرسالة، ص 147.

[4] – انظر، الرومي، فهد بن عبد الرحمن: **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، (السعودية، مؤسسة الرسالة، ط3 – 1418هـ – 1997م)، 1160/3.

الإعجاز والبيان، بما يتفق وروح العصر الحديث، ويلبي حاجة الشباب المثقف، المتعطش الى التزود من علوم ومعارف القران الكريم"[1].

خامسا: سهولة عرضه وتقديمه للناس

تميز صفوة التفسير بأسلوبه السهل الجميل، وترتيبه المريح، فقد عنون مؤلفه فيه بعناوين تُسَهِّل على القارئ الوصول إلى بغيته، كما أنه جزّأ السور إلى آيات حسب المواضيع، واختار فيه مؤلفه أسهل العبارات، وأوجز التفاسير، كل هذا بغية تقريب التفسير إلى العامة، وهذا أمر مهم، قال الذهبي: "ينبغي على المفسر أن يكون صاحب ثقافة واسعة في مختلف جوانب الثقافة، كالعلوم الاجتماعية، والعقلية، والكونية، والنفسية، والسياسية، والاقتصادية، والفكرية، ويحاول تفسير آيات القرآن المتعلقة بهذه الموضوعات تفسيراً علمياً عصرياً، وبأسلوب يتناسب ومقتضيات العصر، مع ربط هذه الآيات بواقع الأمة[2].

فكثير من العامة إذا ما أراد أن يعرف تفسير آية من كتاب الله عز وجل، فإنه لا يستطيع فهمها من خلال كتب التفسير القديمة، فاللغة، والأسلوب، والشكل، والطريقة...، تختلف عن أبناء هذا العصر.

والقرآن الكريم لم ينزل ليفهمه العلماء وحدهم، بل ليفهمه العامة والعلماء، وهذا ما أراده الصابوني من تفسيره، ودل على ذلك قوله: "وقد أسميت كتابي "صفوة التفاسير" وذلك لأنه جامع لعيون ما في التفاسير الكبيرة المفصلة، مع الاختصار والترتيب، والوضوح والبيان، وكُلِّي أمل أن يكون اسمه مطابقا لمُسمَّاه، وأن تستفيد منه الأمة الإسلامية، بما يوضح لها السبيل الأقوم، والصراط المستقيم"[3].

وها هو الصابوني يبيِّن الدافع إلى تأليفه هذا التفسير، فيقول في مقدمته: "واذا كان المسلم قد اضطرته الدنيا ليشغل وقته في تحصيل معاشه، وضاقت ايامه عن الرجوع الى التفاسير الكبيرة، التي خدم بها اسلافنا ـ رضوان الله عليهم ـ كتاب الله تعالى، تبيانا وتفصيلا لآياته، وإظهارا لبلاغته، وإيضاحا لإعجازه، وإبرازا لما حواه الكتاب المجيد من تشريع وتهذيب، وأحكام وأخلاق،

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 6/1.

[2] – الذهبي: **التفسير والمفسرون**، 267/1.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 6/1.

وتربية وتوجيه؛ فإن من واجب العلماء اليوم أن يبذلوا جهدهم لتيسير فهمه على الناس، بأسلوب واضح، وبيان ناصع، لا حشو فيه ولا تطويل، ولا تعقيد ولا تكلف، وان يبرزوا ما في القران من روعة الإعجاز والبيان، بما يتفق وروح العصر الحديث، ويلبي حاجة الشباب المثقف، المتعطش إلى التزود من علوم ومعارف القران الكريم"[1].

ثم إن الصابوني أقدم على تفسير كتاب الله عز وجل؛ لقناعته أن أحدا لم يكتب تفسيرا وفق ما ترتضيه العامة، ويتفق ومتطلبات العصر، فقال: "ولم أجد تفسيرا لكتاب الله عز وجل ـ على ما وصفت ـ رغم الحاجة اليه، وسؤال الناس عنه، ورغبتهم فيه، فعزمت على القيام بهذا العمل، رغم ما فيه من مشقة وتعب، واحتياجه لوقت لا يتاح في هذا الزمان، مستعينا بالله الكريم، متوكلا عليه؛ سائلا إياه أن يعينني على إتمام هذا الواجب، وأن يوفقني لإخراجه بشكل يليق بكتاب الله تعالى، يعين المسلم على فهم آيات القران، والتزوّد من بيانه، ما يزيده إيمانا ويقينا، ويدفعه الى العمل الجادّ الموفق الى مرضاة الربّ جل وعلا"[2].

المطلب الثاني: القيمة العلمية للكتاب من خلال اراء العلماء

كما أن صفوة التفاسير انتشر واشتهر بين الناس، فقد لقي قبولا أيضا من العلماء، فتعهدوه بالدراسة، والبحث، والتنقيح، والتلخيص، والتدريس، وقد أثنى على صفوة التفاسير عدد من العلماء، كما نرى في أول الكتاب، وكل تلك التقديمات كانت تمتدح الكتاب، وتوصي بقراءته، وتبارك لمؤلفه على هذا المجهود الضخم.

ومن الذين امتدحوا هذا الكتاب الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ، فقد قال في هذا التفسير: "فإن الثقافة القرآنية تحتاج إلى قلم سهل العبارة، فياض الأداء، بعيد عن المصطلحات الفنية، والمناقشات الفلسفية، همه الأكبر إبراز السياق السماوي، والوصول به إلى نفوس الجماهير دون تكلف أو التواء، وقد نجح فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني في تحقيق هذه الغاية، إذ يسر تفسير الكتاب العزيز، وجمع في تفسيره جُملا من أقوال الأئمة تتضمن خلاصات علمية وأدبية جعلته غنيا بالحقائق والحكم النافعة، وقد لاحظنا أن الشيخ محمد علي الصابوني قرن في تفسيره بين كثير من مأثورات السلف واجتهادات الخلف، أي إنه جمع بين المنقول والمعقول ـ كما يقولون ـ

[1] – المصدر السابق، 6/1.

[2] – المصدر السابق، 6/1.

فيستطيع القارئ أن يرى أمامه اللونين معا، وأن ينتفع بخير ما في الطريقتين، كما لاحظنا أن التفاسير الأخرى قد تجنح إلى أحد الطرفين، فإما إيجاز شديد، أو إطناب لا يطيقه العصر، ولكن الشيخ محمد علي الصابوني ـ جزاه الله خيرا ـ استطاع أن يتوسط في مسلكه العلمي، فأفاد وأجمل، كما ابتعد عن الشطط الذي وقع فيه البعض حين جازف بذكر نظريات علمية، أو أحاديث نبوية لا بد في سوقها من التثبت والتمحيص"[1].

وأما شيخ الأزهر ـ الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله ـ، فقد أشاد بحسن اختصار الصابوني، وحسن انتقائه لأحسن الأقوال وألخصها، فقال: "أطلعني الأخ الأستاذ محمد علي الصابوني على شيء من كتابه الجديد " صفوة التفاسير " وهو كتاب تحرى فيه المؤلف ذكر أصح الآراء في تفسير كتاب الله تعالى مع الاختصار والسهولة، واذا كان اختيار المرء قطعة من عقله، فانه لا شك ان المؤلف وفق توفيقا كبيرا في الاختيار من امهات كتب التفسير التي رجع اليها على علم وبصيرة"[2].

وأما الدكتور عبد الله بن حميد[3]، فقد أشاد بأسلوب الكتاب، وطريقة مؤلفه فيه، فقال: "فقد أجاد المؤلف وأفاد فيما سمعته من كتابه جزاه الله خيرا، كما اجتهد في جمعه واختار أصح الأقوال وأرجحها في تفسير كتاب الله، وجمع في هذا التفسير بين المأثور والمعقول، بأسلوب واضح، وطريقة حديثة سهلة، يذكر بين يدي السورة خلاصة للمقاصد الأساسية لها، يوضح معاني الكلمات وبيان اشتقاقها، والمناسبة بين الآيات السابقة والآيات اللّاحقة، ويبين السبب الذي نزلت من أجله الآيات، يبدأ بتفسير الآيات دون وجوه الإعراب، ويذكر الفوائد التي لها علاقة بالآيات والمستنبطة منها، ويوضح بيان الصور البيانية والنكات البلاغية"[4].

وهذا الشيخ أبو الحسن الندوي[5]يقول في التفسير وصاحبه: "مال كثير من المؤلفين في كل عصر إلى الانتقاء من هذه الكتب الموسوعية، واختيار أقرب الأقوال وأقواها، فكانت لهذه الكتب فائدة عظيمة، وفضل كبير على طلبة العلم، وكان هذا العصر من أحوج العصور الى هذا الأسلوب من التأليف لقصر الوقت وضعف الهمم وتشتت الاذهان، لذلك كان صديقنا الفاضل

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 5/1.

[2] – المصدر السابق، 3/1.

[3] – رئيس مجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية، والرئيس العام للإشراف الديني على المسجد الحرام.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 3/1.

[5] – رئيس ندوة العلماء بلكنهو الهند.

فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني موفقا كل التوفيق في وضع كتابه " صفوة التفاسير " فقد وفر على طلبة علم التفسير وقتا طويلا واخذ بيدهم الى ما هو عصارة دراسته وخلاصة التفاسير، لا يقدر على ذلك الا من توسعت دراسته وسلم ذوقه وحسنت ممارسته لفن التدريس، فاستحق بذلك شكر طلبة العلم والمشتغلين بفن التفسير جزاه الله خيرا وأثابه وتقبل عمله"[1].

وقد أوصى فضيلة الدكتور راشد بن راجح الرشيد[2] بطباعة هذا الكتاب، ونشره، حتى تعم الفائدة، ويحصل الخير، فقال: "لقد اطلعت على كتاب " صفوة التفاسير " لفضيلة الاستاذ محمد علي الصابوني وقرأت بعض صفحاته فألفيته كتابا ثمينا حوى خلاصة ما قاله أئمة المفسرين ليسهل فهمه على طلبة العلم بأسلوب مبسط وعبارات ميسرة وايضاحات جيدة مع العناية بالجوانب اللغوية والبيانية، فهو بذلك كتاب جيد يستحق الطبع والنشر لتعم الفائدة"[3].

وينبغي الإشارة إلى أن الشيخ ابن باز رحمه الله ـ على الخلاف الذي ينشر ويتداول بين أهل العلم بينه وبين الشيخ، خاصة في مسألة تفسير آيات الصفات ـ قد امتدح الكتاب، وأثنى عليه خيرا، فقد أخبرني أحمد الصابوني[4] ـ ابن الشيخ محمد الصابوني ـ: "أن الشيخ ابن باز قد امتدح الكتاب، وأوصى طلبته بقراءته والمطالعة فيه، وامتدح المؤلف وأثنى على علمه".

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 4/1.

[2] – عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 5/1.

[4] – في زيارتي له في منزله يوم الأربعاء، الموافق: التاسع من جمادي الأولى (5)، من سنة (1434هـ)، العشرين من شهر مارس، من العام (2013م)، بين الظهر والعصر، في منزله الكائن في حي الإسكان في مكة المكرمة.

الفصل الثاني

مصادر المفسر في كتابه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن

المبحث الثاني: مصادره من كتب العلوم الأخرى

المبحث الثالث: الملامح العامة لطريقته في النقل

المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير وعلوم القران

ينقل الصابوني في تفسيره عمن سبقه سواء كان من المفسرين، أو المحدّثين، أو من علماء اللغة، وامتاز في ذلك بالأمانة في نقله من التفاسير[1].

ومن خلال الدراسة والتتبع لما جاء في صفوة التفاسير؛ وجدت أن المفسر قد اعتمد على مراجع ومصادر عديدة ومتنوعة، وغالبيتها من الأصول المعتمدة والمتقدِّمة، وفي القليل النادر على بعض المراجع المتأخرة.

المطلب الأول: مصادره من كتب التفسير وعلوم القران

كان مصدر الصابوني الأول في تفسيره ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار، ثم الصحابة رضوان الله عليهم، كعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وغيرهم، ثم ما روي عن التابعين كمجاهد، وعكرمة، ثم نراه ينقل عن العديد من كتب التفسير التي تميزت بالقدم في الغالب، وفي طليعتها جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، والكشاف للزمخشري، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وفتح القدير للشوكاني، والتفسير الكبير للرازي، وأنوار التنزيل للبيضاوي، وتفسير الجلالين، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، وغيرها من كتب التفسير.

كما نقل عن بعض الحواشي المتعلقة بكتب التفسير السابقة (كحاشية الصاوي، وحاشية الجمل) على الجلالين، (وحاشية زادة، وحاشية الشهاب) على البيضاوي، وغيرها من الحواشي.

ونجد الصابوني ينقل عن بعض كتب التفسير الحديثة، كتفسير الظلال لسيد قطب، ومحاسن التأويل للقاسمي، وتفسير جزء تبارك للشيخ عبد القادر المغربي، وغيرها.

المطلب الثاني: مصادره من كتب علوم القرآن الكريم

اهتم الصابوني في تفسيره بعلوم القرآن، وهذا أمر بديهي؛ نظرا لارتباط علوم القرآن بالتفسير، بل إن بعض آيات القرآن لا يمكن تفسيرها، ما لم نقف على ما يتعلق فيها من مسائل تندرج ضمن

[1] – نقصد بذلك: نقله من أقوال أصحاب التفاسير، أما أقوال الأئمة السابقين من الصحابة والتابعين، فكان غالبا لا يوثّق.

علوم القرآن، وقد نوّع الصابوني المصادر التي كان يعزو إليها في المسائل المتعلقة بعلوم القرآن، وهذه المصادر على النحو التالي:

أولا: مصادره في أسباب النزول

عنون الصابوني في تفسيره عنوانا أسماه (أسباب النزول)، ذكر فيه أسباب النزول للآيات التي لها سبب نزول، وكان يعزو ذلك إلى مصادره.

وقد اعتمد الصابوني في ذلك على الروايات التي نقلتها كتب السنّة، فكان يذكر روايات في أسباب النزول، ويعزوها إلى الكتب التي أخرجتها، كما فعل عند ذكره لسبب نزول الآية: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذالِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾[1]، قال الصابوني: "عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت الآية (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ...)، الآية"[2]، ثم عزا ذلك إلى البخاري[3].

أما الكتب التي اعتمد عليها كثيرا في ذكر أسباب النزول؛ فكانت كتاب أسباب النزول للواحدي، وكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، وإن كان اعتماده على الأول أكثر، ونقل الصابوني ما نقلته كتب التفسير من أسباب نزول لبعض الآيات، خاصة تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، وغيرها من الكتب.

ثانيا: مصادره في بقية علوم القرآن

نوّع الصابوني مصادره في علوم القرآن، فقد أخذ من (مقدمة ابن تيمية في التفسير)، كما أنه اعتمد بشكل كبير على كتاب (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي، وكتاب زاد المسير لابن الجوزي، وكان كثيرا ما يحيل في علوم القرآن إلى كتابه في هذا العلم، وهو التبيان في علوم القرآن.

---

[1] – سورة مريم، الآية 64.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 170/2.

[3] – انظر، البخاري: **صحيح البخاري**، حديث رقم 3046، 1177/3 .

وينبغي العلم، أن الصابوني كان كثيرا ما ينقل علوم القرآن من كتب التفسير نفسها، خاصة في الأمور المعتمدة على الرواية كالعام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، وغيرها من علوم القرآن.

المبحث الثاني: مصادره من كتب العلوم الأخرى

المطلب الأول: مصادره من كتب الحديث وعلومه

بلغت الروايات التي ذكرها الصابوني في تفسيره عددا كبيرا، وكان ينقل هذه الروايات من كتب الحديث النبوي الشريف، وقد حدثني[1] الشيخ أنه كان يعتمد أولا في تفسيره على روايات الصحيحين (صحيح البخاري، وصحيح مسلم)، فإن لم يجد فمن كتب السنن (النسائي، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة)، فإن لم يجد، فكان يروي من غيرها.

وقد تتبعت كتب الحديث التي كان الشيخ الصابوني يعزو رواياته إليها، فوجدت أن النصيب الأكبر كان للكتب الستة، ثم من بعدها كان اعتماده على غيرها من كتب الحديث، فمن الكتب التي نقل عنها الصابوني في تفسيره، سنن البيهقي، ومسند البزار، والمعجم الكبير للطبراني، وكثيرا ما كان يعزو الروايات إلى الدر المنثور للسيوطي.

المطلب الثاني: مصادره من كتب الفقه الإسلامي

الجانب الفقهي في صفوة التفاسير مختصر جدا، وقد توسع الصابوني في تفصيل آيات الأحكام في كتابه الآخر **(تفسير آيات الأحكام)**، فلم يكن الصابوني في صفوة التفاسير يفصِّل في أدلة المذاهب، ولا في الخلافات الفقهية كثيرا، بل كان يذكر رأي الجمهور في أغلب المسائل الفقهية التي تحدثت عنها الآيات.

وقد كان الصابوني كثيرا ما يرجع إلى كتب التفسير لبيان الخلافات الفقهية، خاصة تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، وتفسير القرطبي، وقد رجع الصابوني أيضا إلى كتاب إعلام الموقعين

[1] – خلال زيارتي له في منزله يوم الأربعاء، الموافق: التاسع من جمادي الأولى (5)، من سنة (1434هـ)، العشرين من شهر مارس، من العام (2013م)، في منزله الكائن في حي الإسكان في مكة المكرمة.

عن رب العالمين لابن القيم، وكتاب الموافقات للشاطبي، إلا أن غالب نقله عن الأئمة لم يكن يوثقه من كتب الفقه الأصول، وإن وثقه فمن كتب التفسير، خاصة الثلاثة التي ذكرتها.

المطلب الثالث: مصادره من كتب اللغة

نقل الصابوني كثيرا من كتب اللغة، فمن المصادر ما نقل عنها معاني للمفردات، واشتقاقاتها، وتصريفاتها، ومن المصادر ما نقل عنها أنواع البلاغة المختلفة.

أولا: كتب معاني المفردات

نقل الصابوني معاني المفردات من كتب اللغة المعتمدة كالتهذيب في اللغة للأزهري، ولسان العرب لابن منظور، ومختار الصِّحاح للرازي، والمصباح المنير للفيومي، والمعجم الوسيط.

كما إن الصابوني نقل معاني المفردات من الكتب المختصة بمفردات القرآن، كمفردات القرآن للراغب الأصفهاني، وغيره.

ثانيا: كتب البلاغة

من الكتب التي اعتمد عليها الصابوني كثيرا في موضوع البلاغة القرآنية، كتاب نهج البلاغة للشريف الرضي، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفراء، وغريب القرآن لابن قتيبة، وغيرها من الكتب.

كما نقل الصابوني البلاغة القرآنية من كتب التفسير، خاصة كتب التفسير المشهورة باللغة؛ كتفسير الكشاف للزمخشري، وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية، وأسرار التنزيل للبيضاوي، والحواشي التي عليها.

المبحث الثالث: الملامح العامة لطريقته في النقل

يمكن تلخيص أبرز الملامح العامة لطريقة الصابوني في النقل عن مصادره فيما يلي

أولا: أكثر الصابوني من إيراد النقول في صفوة التفاسير، ونوّع في مراجعه حتى زادت عن المائتين، واشتملت صنفين من المراجع:(كتب السنة، وكتب التفسير المفردة).

ثانيا: غالب ما نقله الصابوني كان من المصادر القديمة، وقلّ نقله عن كتب التفسير الحديثة.

ثالثا: اختلفت مصادره من حيث كثرة أو قلة النقل عنها، وذلك حسب الموضوع المنقول، مع مراعاته لمنهجه في الاختصار والإيجاز.

رابعا: حرص الصابوني على عزو الأقوال والنقول إلى أصحابها، رغم كثرتها وتعدد مصادرها، إلا أنه لم يلتزم بتوثيق التفسير المأثور الذي ينقله، فكان ينقل عن أئمة المفسرين من الصحابة والتابعين وأتباعهم دون أن يوثق ذلك، فعند حديث الصابوني عن معنى (عسى) في قول الله تعالى: (عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُودًا)[1]، قال الصابوني: "قال المفسرون: و(عسى) في كلام الله للتحقيق، لأنه وعد كريم وهو لا يتخلّف ولهذا قال ابن عباس[2]: (عسى) من الله واجبة أي تفيد القطع"[3]، ولم يوثق قول ابن عباس هذا.

خامسا: كان للصابوني مراجع هامة في كل علم، وكان يقدم المرجع الأصلي على بقية المصادر.

---

[1] – سورة الإسراء، الآية 79.

[2] – انظر، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **تفسير الطبري**، (بيروت، دار الكتب العلمية)، 143/15.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 138/2.

الفصل الثالث

منهج المفسر في تفسير السور والآيات

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج الصابوني في التفسير بالمأثور

المبحث الثاني: منهجه في التفسير بالرأي

المبحث الأول : منهج الصابوني في التفسير بالمأثور

المطلب الأول: التعريف بالتفسير المأثور

تعددت تعريفات العلماء لهذا المصطلح، واختلفوا في حدوده وما يشمله من الأقوال المنقولة في التفسير، لكن الأقوى من بين جملة التعاريف، والمستقر عليه عند العلماء أن التفسير بالمأثور: هو التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول من تفسير القرآن بالقرآن أو بالسُّنَّة؛ لأنها جاءت مبيِّنة لكتاب الله، أو بما رُوِي عن الصحابة؛ لأنهم أعلم الناس بكتاب الله، أو بما قاله كبار التابعين؛ لأنهم تلقوا ذلك غالبًا عن الصحابة[1].

وقد اهتم الصابوني في تفسيره بالتفسير بالمأثور، ولن نكون مبالغين لو قلنا إنه أكثر من التفسير بالمأثور، حتى كان له الدرجة الأولى في الاعتماد في تفسيره، فهو يعتمد على التفسير بالرواية، فيفسر القرآن بالقرآن، أو بالأحاديث النبوية، أو يذكر الآثار المروية عن الصحابة والتابعين.

ولا يعني هذا أنه أغفل غيره، وإلا فقد كثر فيه الاستنباط والاجتهاد، وذكر الآراء الفقهية والخلافات، فهو وإن فسر بالأثر فإنه التزمه حينما يكون للآية تفسير به؛ وإلا فإنه يفسر بما يملي عليه النص، وما يفهم بأدوات الفهم ومناسبات النصوص.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن

يفسر الصابوني الآية بعبارة مختصرة، ثم يردفها بآية من كتاب الله عز وجل، وقد يذكر عدة آيات في تفسير الآية، وكأنه يجمع بين الآيات المتشابهة والمتماثلة في المعنى، والمتحدة في الموضوع، فتأتي الآيات المتناسبة في مكان واحد، وقد قال ابن كثير في معرض حديثه عن أحسن طرق التفسير: "إن أصح الطرق في ذلك، أن يفسر القرآن بالقرآن فما أُجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر"[2].

---

[1] – القطان، مناع بن خليل: **مباحث في علوم القرآن**، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3 – 1421هـ – 2000م)، ص39–40.

[2] – ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء: **تفسير القرآن العظيم، والمشهور بتفسير ابن كثير**، (بيروت، دار الفكر، 1401هـ)، 4/1.

وهذه الطريقة في التفسير تناقلها المفسرون من بعد ابن كثير، ويعد هذا الفعل تأصيلا لمنهج ابن تيمية في التفسير الذي بينه في مقدمته، فقال: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك، أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر"[1].

والصابوني في تفسيره القرآن بالقرآن، يقدم خدمة للباحثين والدارسين، حيث يضع لبنة أساسية في العلم التفسيري المعاصر، الذي يسمى: التفسير الموضوعي، ومن الأمثلة على ذلك عند تفسيره قول الله تعالى: (وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الأٌّ خِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا)[2]، قال الصابوني: "أي ومن أراد بعمله أجر الآخرة أعطيناه الأجر كاملا، مع ما قسمنا له من الدنيا كقوله: (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الأٌّ خِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ)"[3][4]، فالصابوني فسر الآية ابتداء، ثم أردفها بآية أخرى تأكيدا منه على هذا التفسير.

ومن ذلك أيضا تفسيره لقول الله تعالى: (وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوساً)[5]، قال الصابوني: "أي وإذا أنعمنا على الإنسان بأنواع النعم: من (صحة، وأمن، وغنى)، أعرض عن طاعة الله وعبادته، وابتعد عن ربه غرورا وكبرا، (وإذا مسه الشر كان يئوسا)، أي وإذا أصابته الشدائد والمصائب، أصبح يائسا قانطا من رحمة الله، والآية تمثيل لطغيان الإنسان، فإن أصابته النعمة بطر وتكبر، وإن أصابته الشدة أيس وقنط، كقوله سبحانه: (إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً)"[6][7].

والأمثلة في ذلك كثيرة، إلا أننا نكتفي بهذا المثال ليكون شاهدا على ما أسلفنا، وليدل على براعة الصابوني في ربط كتاب الله بعضه ببعض، وفي عزو الآيات ذات الموضوع الواحد بعضها ببعض.

---

[1] – ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم: **مقدمة في أصول التفسير**، تحقيق: عدنان زرزور، (بلا دار نشر، ط2 – 1392هـ – 1972م)، ص93.

[2] – سورة آل عمران، الآية 145.

[3] – سورة الشورى، الآية 20.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 149/1.

[5] – سورة الإسراء، الآية 83.

[6] – سورة المعارج، الآية 19.

[7] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 138/2.

المطلب الثالث: تفسير القرآن الكريم بالحديث

أكثر الصابوني من الاستدلال بالأحاديث في تفسيره، فهو يذكر الأحاديث المتعلقة بالآيات، إما تفسيرا، أو بيانا لسبب نزول، أو تخصيصا، أو تقييدا، ليوضح به الآية التي يفسرها، وقد قال ابن تيمية في معرض حديثه عن أحسن طرق التفسير: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك، أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك، فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ: كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن "[1].

ومثال تفسير القرآن بالسنة ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَآءِ)[2]، قال: "أي كذبوا بآياتنا مع وضوحها، واستكبروا عن الإيمان بها، والعمل بمقتضاها، (لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَآءِ) أي لا يصعد لهم عمل صالح إلى السماء، كقوله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ)[3]، قال ابن عباس[4]: لا يرفع لهم منها عمل صالح، ولا دعاء، وقيل: لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء إذا قبضت أرواحهم، ويؤيده حديث: **(إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا يجيئه ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فيخرج منها كأنتن ريح جيفة، فلا يمر على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له)**[5]"[6].

فالصابوني في هذا المثال جمع بين ثلاثة أنواع من التفسير، ففسر القرآن بالقرآن عند تفسيره لصعود العمل، ثم فسر القرآن بأقوال الصحابة عندما أشار إلى قول ابن عباس في عدم رفع أعمالهم، ثم ختمها بتفسير الآية بقول الصادق المصدوق عليه السلام، وهذا من أجلِّ التفاسير وأقومها.

---

[1] – ابن تيمية: **مقدمة في أصول التفسير**، ص93.

[2] – سورة الأعراف، الآية 40.

[3] – سورة فاطر، الآية 10.

[4] – انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 214/2.

[5] – أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (مصر، مؤسسة قرطبة)، حديث رقم 18557، 287/4، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 294/1.

ومن ذلك أيضا تفسيره لقول الله تعالى: (أُوْلَائِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأايَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً)[1]، قال: "أي كفروا بالقرآن وبالبعث والنشور، فبطلت أعمالهم، (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا)، أي ليس لهم عند الله قيمة ولا وزن، ولا قدر ولا منزلة، وفي الحديث: **(يُؤتى بالرجل الطويل الأكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة)**"[2][3]، فهذا استشفاف من فهمه للآية وربطه لها بالسنة.

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند قول الله تعالى: (إِلاَّ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَائِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ)[4]، قال الصابوني: "أي إلا من تاب في الدنيا التوبة النصوح، وأحسن عمله، (فَأُوْلَائِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ)، أي يكرمهم الله في الآخرة فيجعل مكان السيئات حسنات، وفي الحديث: **(إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر أهل النار خروجا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا كذا وكذا فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئا، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب: قد عملت أشياء لا أراها ههنا، قال: فضحك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى بدت نواجذه)**"[5][6].

ويندرج تحت هذا القسم، تفسير القرآن بأسباب النزول، حيث يفسر الآية بما جاء فيها من روايات تبين سبب نزولها، وهي من أهم الأمور التي يجب الوقوف عليها في معرفة مراد الآية، قال ابن تيمية: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[7].

---

[1] سورة الكهف، الآية 105.

[2] – أخرجه البخاري: **صحيح البخاري**، حديث رقم 4452، 1759/4، ومسلم: **صحيح مسلم**، كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حديث رقم 2785، 2147/4.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 163/2.

[4] – سورة الفرقان، الآية 70.

[5] – أخرجه الإمام مسلم: **صحيح مسلم**، حديث رقم 190، 177/1.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 276/2.

[7] – ابن تيمية: **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير**، 339/13.

وقد طبق الصابوني ذلك في ثنايا التفسير، ومن ذلك أنه ذكر الأقوال في سبب نزول الآية: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَيَواةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِى قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ...)[1]، فذكر في سبب نزولها روايتين[2]:

الرواية الأولى: أن الأخنس بن شريق أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فأظهر له الإسلام وحلف أنه يحبه، وكان منافقا حسن العلانية خبيث الباطن، ثم خرج من عند النبي (صلى الله عليه وسلم) فمر بزرع لقوم من المسلمين وحُمُر، فأحرق الزرع وقتل الحُمُر، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآيات: (ومن الناس من يعجبك قوله...)الآية إلى قوله: (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِى الأٌ رْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ)[3] الآية.

الرواية الثانية: أن صهيبا الرومي لما أراد الهجرة إلى المدينة المنورة لحقه نفر من قريش من المشركين ليردُّوه، فنزل عن راحلته ونثر ما في كنانته وأخذ قوسه ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلا، وأيم الله لا تَصِلُون إليّ حتى أرمي بما في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم، قالوا: جئتنا صعلوكا لا تملك شيئا وأنت الآن ذو مال كثير!! فقال: أرأيتم إن دللتكم على مالي تُخْلون سبيلي؟ قالوا: نعم، فدلهم على ماله بمكة، فلما قدم المدينة دخل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال له (صلى الله عليه وسلم): (ربح البيع صهيب، ربح البيع صهيب)، وأنزل الله عز وجل فيه (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)[4] الآية.

فهذا العمل من الصابوني، هو صلب التفسير بالمأثور، فذِكْر روايات أسباب النزول يعين على فهم الآية، ويجعل القارئ يحيا ما حياه أهلها وقت نزولها، ويعايش الأجواء التي كانت وقت نزولها، وقد فصلنا في هذا الموضوع سابقا.

---

[1] – سورة البقرة، الآية 204.

[2] – انظر، الصابوني: **صفوة التفاسير**، 81/1.

[3] – أخرجه الطبري: **تفسير الطبري**، 312/2، وابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي: **تفسير القرآن (تفسير ابن أبي حاتم)**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (صيدا، المكتبة العلمية)، 364/2.

[4] – أخرجه الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري: **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1411هـ – 1990م)، حديث رقم 5700، 450/3.

وإذا كان الصابوني مهتما بتفسير القرآن الكريم بالحديث النبوي الشريف، فإنه لم يكن حاطب ليل، بل كان أحيانا يمحّص بعض الروايات، ويناقشها، ويرجح بعضها على بعض، ويرد بعضها بالآخر.

فمن ذلك ما حققه في مناقشته لحديث الغرانيق عند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِىٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِىأُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[1]، فبعد أن فسر الآية وذكر أقوال العلماء في تفسيرها، قال: "هذا أصح ما قيل في تفسير الآية، وهو اختيار المُحقِّقين من المفسرين، وأما قصة الغرانيق التي أولع بذكرها بعض المفسرين؛ فهي باطلة مردودة، وهي أن الرسول عليه السلام قرأ سورة: (والنجم إذا هوى) بمحضر من المشركين والمسلمين فلما بلغ: (أَفَرَءَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى)[2] ألقى الشيطان على لسانه: **(تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى)**[3] ففرح بذلك المشركون، ولما انتهى من السورة سجد وسجد معه المشركون...، قال ابن العربي[4]: إن جميع ما ورد في هذه القصة باطل لا أصل له، وقال ابن إسحاق[5]: هي من وضع الزنادقة، وقال البيهقي[6]: رواتها مطعون فيهم، وقال ابن كثير[7]: ذَكَر كثير من المفسرين قصة الغرانيق، وهي روايات مرسلات ومنقطعات لا تصح، وقال القاضي عياض[8]: هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه أحد بسند متصل سليم، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون، المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم، أقول: مما يدل على بطلان

---

[1] – سورة الحج، الآية 52.

[2] – سورة النجم، الآية 19.

[3] – أخرجه الطبري: **تفسير الطبري**، 189/17، والطبراني: **المعجم الكبير**، حديث رقم 8316، 34/9، والبزار، أبو بكر أحمد بن عمر: **البحر الزاخر (مسند البزار)**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (المدينة، مكتبة العلوم والحكم، وبيروت، مؤسسة علوم القرآن، ط1 – 1409هـ)، حديث رقم 5096، 296/11.

[4] – انظر، ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله: **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر)، 303/3.

[5] – انظر، ابن إسحاق، أبو عبد الله محمد بن سعد البصري الزهري: **الطبقات الكبرى**، (لبنان، بيروت، دار صادر)، 205/1.

[6] – النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد القمي: **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عمران، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1– 1416هـ – 1996م)، 90/5.

[7] – انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 230/3.

[8] – انظر، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محيي الدين الخطيب، (بيروت، دار المعرفة)، 439/8.

القصة قوله تعالى في نفس السورة: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى)[1]، فكيف نطق المعصوم بمثل هذا الذى يزعمونه ! سبحانك هذا بهتان عظيم"[2]، فمثل هذا العمل من الصابوني، يجعل القارئ يلمس براعة المؤلف في التفسير المأثور.

المطلب الرابع: تفسير القرآن بأقوال الصحابة

المسألة الأولى: التعريف بالصحابي

الصحابي هو: من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين[3]، وأطلق بعضهم لفظ الصحبة على مجرد الرؤية ولو ساعة من نهار، قال الإمام علي بن المديني: الصحابي من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه ولو ساعة من نهار[4].

إلا أن التعريف المتفق عليه، هو ما عرّفه الإمام أحمد، فقال: كل من صحبه سنةً أو شهراً أو يوماً أو ساعةً أو رآه له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه[5].

المسألة الثانية: حجية قول الصحابي

اختلفت أنظار العلماء في قولهم بحجية قول الصحابي، فمنهم من رفضها، والأكثر على حجيتها، ولن نطيل الحديث في أدلة المانعين، ذلك أن الموضوع طويل ولن يسعه بضع صفحات نوجزه فيه، لككنا سوف نثبت رأينا في ذلك فنقول:

إن قول الصحابي في تفسير كتاب الله عز وجل مقدَّم على غيره، نظرا لمكانتهم من النبي صلى الله عليه وسلم، ومعايشتهم التنزيل، ويكفي في ذلك قول الله عز وجل: (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ

---

[1] – سورة النجم، الآية 3.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 223/2.

[3] – البخاري: **صحيح البخاري**، 188/4.

[4] – السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن: **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط1 – 1403هـ)، 86/3.

[5] – انظر، العلائي، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي: **تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شرف الصحبة**، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، (المملكة العربية السعودية، الرياض، دار العاصمة، ط1 – 1410هـ)، ص30.

أَنَابَ إِلَيَّ)[1]، قال ابن كثير: "يعني المؤمنين"[2]، وقال البغوي: "أي دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه"[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: "**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**"[4]، قال إبراهيم النخعي: "لو بلغني أنهم ـ يعنى الصحابة ـ لم يجاوزوا بالوضوء ظفراً لما جاوزته به، وكفى بنا على قوم إزراءً أن نخالف أعمالهم"[5]، وقال الشعبي: عَلَيْك بِآثَارِ من سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَك الناس[6].

والأخذ بقول الصحابي هو رأي الجمهور الأئمة، قال ابن القيم: "وأئمة الإسلام كلهم على قبول قول الصحابي"[7].

المسألة الثالثة: منهج الصابوني في ذلك

كان الصابوني يذكر قول الصحابي في تفسير الآيات، ويلجأ إلى ذلك إذا لم يجد في الآية ما يفسرها من آية أخرى، أو حديث نبوي، ومثال ذلك في تفسيره لقوله تعالى: (وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ)[8]، قال الصابوني: "أي ولا متسترات بالزنى مع أخدانهن، قال ابن عباس[9]: الخدن: هو الصديق للمرأة يزني بها سرا، فنهى الله تعالى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن"[10].

---

[1] – سورة لقمان، الآية 15.

[2] – ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 446/3.

[3] – البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: **تفسير البغوي**، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، (بيروت، دار المعرفة)، 492/3.

[4] – أخرجه الإمام أحمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم 17184، 126/4، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهده، وأخرجه ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: **سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار الفكر)، بَاب اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، حديث رقم 42، 15/1.

[5] – ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي: **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (بيروت، دار الجيل، 1973م)، 151/4.

[6] – انظر، المصدر السابق، 152/4.

[7] – المصدر السابق، 123/4.

[8] – سورة النساء، الآية 25.

[9] – انظر، أبو حيان: **البحر المحيط**، 232/3.

[10] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 175/1.

ومن ذلك ما ذكره من رأي ابن عباس في تفسير قول الله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)[1]، قال الصابوني: "هذا جواب لكلمتهم الشنيعة، وبيان للسبب الموجب لإمهالهم، أي إنهم مستحقون للعذاب؛ ولكنه تعالى لا يعذبهم وأنت فيهم إكراما لك يا محمد، فقد جرت سنة الله وحكمته ألا يعذب أمة ونبيها بين ظهرانيها، قال ابن عباس[2]: لم تعذب أمة قط ونبيها فيها، والمراد بالعذاب عذاب الاستئصال، (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)، أي وما كان الله ليعذب هؤلاء الكفار وفيهم مؤمنون يستغفرون الله، وهو إشارة إلى استغفار من بقي بين أظهرهم من المسلمين المستضعفين، قال ابن عباس[3]: كان فيهم أمانان: نبي الله (صلى الله عليه وسلم)، والاستغفار، أما النبي فقد مضى، وأما الاستغفار فهو باق الى يوم القيامة"[4].

ومن هذا النوع أيضا تفسيره لمعنى الفحشاء في قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْى يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[5]، قال الصابوني: "أي ينهى عن كل قبيح من قول أو فعل أو عمل، قال ابن مسعود[6]: هذه أجمعُ آية في القرآن لخير يمتثل، ولشر يُجتنب، والفحشاءُ: كل ما تناهى قبحُه، كالزنى، والشرك، والمنكرُ: كل ما تنكره الفطرة، والبغيُ: هو الظلم وتجاوز الحق والعدل"[7].

المطلب الخامس: تفسير القرآن بأقوال التابعين وأئمة السلف

المسألة الأولى: من هو التابعي؟

التابعي: هو من صحب صحابيا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يكتفى فيه بمجرد اللقي، بخلاف الصحابي مع النبي صلى الله عليه وسلم، لشرف منزلة النبي صلى الله عليه

---

[1]– سورة الأنفال، الآية 33.

[2] – انظر، أبو حيان: **البحر المحيط**، 483/4.

[3] – انظر، الطبري: **تفسير الطبري**، 235/9.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 334/1.

[5] – سورة النحل، الآية 90.

[6] – انظر، الطبري: **تفسير الطبري**، 163/14.

[7] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 116/2.

وسلم، فالاجتماع به يؤثر في النور القلبي أضعاف ما يؤثره الاجتماع الطويل بالصحابي وغيره من الأخيار[1].

المسألة الثانية: حجية قول التابعي في التفسير

أخذ التابعين تفسير القرآن الكريم عن الصحابة رضوان الله عنهم، وإن قولهم في التفسير معتبرٌ، وهو حجة إذا ما أجمعوا على أمر معين أو تفسير واحد، وقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوالهم، واشتهر عدد منهم بالتفسير لأنهم أخذوه عن جهابذة مفسري الصحابة كابن عباس، وابن مسعود، وغيرهم.

إن رأي الجمهور في قول التابعي، أنه ليس بحجة، قال أبو حنيفة: "ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعينين، وما جاءنا عن أصحابه رحمهم الله اخترنا منه ولم نخرج عن قولهم، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال"[2]، وقال ابن تيمية: "قال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير ـ يعنى أنها لا تكون حجة على غيرهم مما خالفهم ـ وهذا صحيح، أما اذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو اقوال الصحابة في ذلك"[3].

هذا من حيث العمل به، أما من حيث القيمة العلمية فإن قولهم معتبر، بل ومقدم على غيرهم ممن جاء بعدهم، نظرا لمرافقتهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذهم التفسير عنهم، وقد قال عليه السلام: **(خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)**[4]، فالتابعون مشمولون بالخيرية بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[1] – انظر، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، (الرياض، مكتبة الرياض الحديثة)، 234/2.

[2] – ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري: **الانتقاء في فضائل الثلاث الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم**، (بيروت، دار الكتب العلمية)، 144/1.

[3] – ابن تيمية: **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير**، 370/13.

[4] – البخاري: **صحيح البخاري**، حديث رقم 6317، 2463/6.

المسألة الثالثة: منهج الصابوني في ذلك

كان الصابوني يذكر ما يأتي في الآية من روايات متناقلة عن أئمة التابعين وأتباعهم ومن جاء بعدهم، خاصة من اشتهر منهم بالتفسير كمجاهد وعكرمة وطاووس وعطاء، وغيرهم من أعلام وأئمة التابعين في التفسير.

ومما نقل عنهم ما جاء في تفسير قول الله عز وجل: (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذالِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ)[1]، قال الصابوني في تفسير هذه الآية: "بدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه بنيامين، قال المفسرون: هذا من تمام الحيلة ودفع التهمة، فإنهم لما ادعوا البراءة قالوا لهم: لا بد من تفتيش أوعيتكم واحداً واحداً، فانطلقوا بهم إلى يوسف فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء (بنيامين) قال قتادة: ذُكر لنا أنه كان لا يفتح متاعاً ولا ينظر وعاءً إلا استغفر الله مما قذفهم به، حتى بقي أخوه ـ وكان أصغرَ القوم ـ فقال: ما أظُنُّ هذا أخذ شيئا فقالوا: والله لا نتركُك حتى تنظر في رَحله، فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا، فلما فتحوا متاعه وجدوا الصُواع فيه فذلك قوله تعالى: (ثم استخرجها من وعاء أخيه): أي استخرج الصُواع من متاع أخيه (بنيامين)، فلما أخرجها منه نكس الإخوة رءوسَهم من الحياء، وأقبلوا عليه يلومونه ويقولون له: فضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل، (كذلك كدنا ليوسف): أي كذلك صنعنا ودبرنا ليوسف وألهمناه الحيلة ليستبقي أخاه عنده، (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملِك): أي ما كان ليوسف أن يأخذ أخاه في دين ملك مصر، لأن جزاء السارق عنده أن يُضرب ويُغرم ضعفَ ما سرَق (إلا أن يشاء الله): أي الا بمشيئته تعالى وإذنه، وقد دلت الآية على أن تلك الحيلة كانت بتعليم الله وإلهامه له، (نرفع درجات مَن نشاء): أي نرفع بالعلم منازل من نشاء من عبادنا كما رفعنا يوسف، (وفوق كل ذي علم عليم): أي فوق كل عالم من هو أعلم منه حتى ينتهي الى ذي العلم البالغ وهو (رب العالمين)، قال الحسن[2]: ليس عالم إلا فوقهَ عالم حتى ينتهي العلم إلى الله، وقال ابن عباس[3]: الله العليم الخبير فوق كل عالم"[4].

---

[1] – سورة يوسف، الآية 76.

[2] – انظر، الطبري: **تفسير الطبري**، 27/13.

[3] – انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 486/2.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 63/2.

فما نقله الصابوني في تفسير من هذه الآية من أقوال أئمة التابعين (قتادة، والحسن)، يعد من قبيل تفسير القرآن بأقوال التابعين، وكللها الصابوني بربطه بتفسير الصحابة.

ومن الأمثلة على هذا النوع، ما نقله من قول مجاهد في تفسير قول الله تعالى: (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ)[1]، قال الصابوني: "أي ويدخلهم الجنة دار النعيم بيَّنها لهم، بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي إليه، قال مجاهد[2]: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا، وفي الحديث الشريف: **(والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة، أهدى منه بمنزله الذي كان في الدنيا)**"[3][4].

وفي هذا النوع يمكن أن يُدرج ما نقله الصابوني عن كتب التفسير القديمة، كتفسير الطبري، وابن كثير، وابن الجوزي، وغيرهم، فقد زيّن بها كتابه، وأكثر من النقل منها، والشواهد في تفسير الصابوني كثيرة، ومنها ما نقله من أقوال العلماء، عند تفسيره لقول الله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)[5]، قال الصابوني تعقيبا على هذه الآية: "أي ليس له تعالى مثيل ولا نظير، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، والغرض: تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، والكاف هنا لتأكيد النفي أي ليس مثله شيء، قال ابن قتيبة[6]: العرب تقيم المثل مقام النفس، فتقول: مثلي لا يقال له هذا أي أنه لا يقال لي هذا، ومعنى الآية ليس كالله جل وعلا شيء وقال القرطبي[7]: والذي يعتقد في هذا الباب أن الله ـ جل اسمه ـ في عظمته وكبريائه، وملكوته، وحسنى أسمائه، لا يشبه شيئا من مخلوقاته، ولا يشبه به أحد، وما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق، فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي، إذ صفات القديم ـ عز وجل ـ بخلاف صفات المخلوق، إذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض والأغراض، وهو تعالى منزه عن ذلك، وقد قال بعض

---

[1] – سورة محمد، الآية 6.

[2] – انظر، الطبري: **تفسير الطبري**، 44/26.

[3] – أخرجه البخاري: **صحيح البخاري**، حديث رقم 2308، 361/2.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 224/3.

[5] – سورة الشورى، الآية 11.

[6] – انظر، الشوكاني: **فتح القدير**، 528/4.

[7] – انظر، القرطبي: **تفسير القرطبي**، 8/16.

المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات، ولا معطلة من الصفات، وزاد الواسطي[1] فقال: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، وهذا مذهب أهل الحق، أهل السنة والجماعة"[2].

فهذه النقول تعتبر من التفسير بالمأثور عن التابعين، نظرا لإمامة الذين نقل عنهم، ونظرا لتقدمهم في الزمن، والأمثلة من هذا النوع كثيرة في صفوة التفاسير.

المطلب السادس: موقفه من التفسير بالإسرائيليات

المسألة الأولى: المعنى اللغوي للإسرائيليات

الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي[3].

وإسرائيل: هو يعقوب عليه السلام، أي: عبد الله، وبنو إسرائيل هم: أبناء يعقوب، ومن تناسلوا منهم فيما بعد[4].

المسألة الثانية: المعنى الاصطلاحي للإسرائيليات

الإسرائيليات كمصطلح لم يتحدث عنه المتقدمون، وإنما تحدث عنه عدد من الباحثين المحدثين[5]، وقد استخدم العلماء مصطلح "الإسرائيليات" للحديث عن كل معلومة أو قصة، أو رواية رواية ترجع جذورها إلى أهل الكتاب، قال الذهبي: "الإسرائيليات في اصطلاحهم تدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني، أو غيرهما"[6].

وقد توسع بعض العلماء في إطلاق الإسرائيليات، حتى شمل كل ما ينقل عن غير المسلمين، وكل ما قذف حول الدين من شبهات، قال الذهبي: "يستعمل علماء التفسير والحديث ـ مصطلح

---

[1] – انظر، المصدر السابق، 9/16.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 173/3.

[3] – انظر، الذهبي، محمد حسين: **الإسرائيليات في التفسير والحديث**، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط4 – 1990م)، ص13.

[4] – انظر، أبو شهبة، محمد بن محمد: **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، (مكتبة السنة، ط4)، ص11.

[5] – نعناعة، رمزي: **الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير**، (دمشق، دار القلم، وبيروت، دار الضياء، ط1 – 1390هـ – 1970م)، ص73.

[6] – الذهبي: **الإسرائيليات في التفسير والحديث**، ص13.

الإسرائيليات ـ ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القَصص اليهودي، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما، بل وكل ما نقل عن أهل الملل والأديان الأخرى، وما دسه أعداء الإسلام ممن تظاهروا بالدخول فيه على اختلاف أجناسهم وأهدافهم، بل توسع بعض المفسرين والمحدِّثين فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم، وإنما هي أخبار من صنع أعداء الإسلام، صنعوها بخبث نية، وسوء طوية، ثم دسوها على التفسير والحديث، ليفسدوا بها عقائد المسلمين، كقصة الغرانيق، وقصة زينب بنت جحش، وزواج الرسول منها"[1].

المسألة الثالثة: أقسام الإسرائيليات

اختلفت الروايات الإسرائيلية من حيث النوع والمعنى، وحتى المغزى، ويمكن تقسيم الروايات الإسرائيلية بالجملة إلى أقسام ثلاثة[2]:

القسم الأول: مُوافق لما في الشريعة الإسلامية

وهذا القسم صحيح، وتجوز روايته، قال ابن تيمية: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح"[3]، وقال أبو شهبة: "والقرآن هو الكتاب المهيمن، والشاهد على الكتب السماوية قبله، فما وافقه فهو حق وصدق، وما خالفه فهو باطل وكذب، وهذا القسم صحيح، وفيما عندنا غُنية عنه، ولكن يجوز ذكره وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم"[4].

وهذا القسم هو مقصود حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**"[5]، قال ابن حجر: "أي، لا ضيق عليكم في الحديث عنهم، لأنه كان تقدم منه صلى الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم،

---

[1] – المصدر السابق، 13–14.

[2] – ذكر هذا الأقسام ابن تيمية في: **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير**، 366/13، وذكرها ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**، 5/1، وغيرهم، بل كل من تحدث عن الإسرائيليات.

[3] – ابن تيمية: **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية**، 366/13.

[4] – ابو شهبة: **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، ص135.

[5] – البخاري: **صحيح البخاري**، 3 /1275، حديث رقم: 3274، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار"[1].

ومثال هذا النوع ما أخرجه البخاري عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**تَكُونُ الْأَرْضُ يوم الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بيده كما يَكْفَأُ أحدكم خُبْزَتَهُ في السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، فَأَتَى رَجُلٌ من الْيَهُودِ فقال: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يا أَبَا الْقَاسِمِ، ألا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يوم الْقِيَامَةِ؟ قال: بَلَى، قال: تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فَنَظَرَ النبي صلى الله عليه وسلم إلَيْنَا ثُمَّ ضَحِكَ حتى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قال: ألا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قال إِدَامُهُمْ بالأم وَنُونٌ قالوا وما هذا قال ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ من زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا**"[2].

القسم الثاني: مُخالف لما في الشريعة الإسلامية

وهذا النوع لا تجوز روايته، إذ قد علم صراحة أنه مكذوب؛ لمخالفته الصدق الذي بين أيدينا، وهذا القسم هو مقصود حديث ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: "**يا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَكِتَابُكُمْ الذي أُنْزِلَ على نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم أَحْدَثُ الْأَخْبَارِ بِاللَّهِ تقرؤونه لم يُشَبْ وقد حَدَّثَكُمْ الله أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا ما كَتَبَ الله وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمْ الْكِتَابَ فَقَالُوا: هو من عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَفَلَا يَنْهَاكُمْ ما جَاءَكُمْ من الْعِلْمِ عن مُسَاءَلَتِهِمْ؟ ولا والله ما رَأَيْنَا منهم رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عن الذي أُنْزِلَ عَلَيْكُم**"[3].

---

[1] – ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، 498/6.

[2] – البخاري: **صحيح البخاري**، 2389/5، حديث رقم: 6155، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة.

[3] – البخاري: **صحيح البخاري**، 953/2، حديث رقم: 2539، باب لَا يُسْأَلُ أَهْلُ الشِّرْكِ عن الشَّهَادَةِ وَغَيْرِهَا وقال الشَّعْبِيُّ لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ أَهْلِ الْمِلَلِ بَعْضِهِمْ على بَعْضٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ) وقال أبو هُرَيْرَةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ولا تُكَذِّبُوهُمْ وَ (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وما أُنْزِلَ) الْآيَةَ.

القسم الثالث: دال على أمر مسكوت عنه في الشريعة الإسلامية

وهذا النوع تجوز روايته، لكن دون تصديق ولا تكذيب، قال ابن تيمية: "ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ـ يعني الموافق لشرعنا ـ ولا من هذا القبيل ـ يعني المخالف لشرعنا ـ فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته"[1].

والحكمة من التوقف في مثل هذا النوع، فلا نصدقه ولا نكذبه؛ هو وجود الاحتمال، فربما كذبناه وهو في الحقيقة صدق، وربما صدقناه وهو في الحقيقة غير ذلك، قال أبو شهبة: "ما هو مسكوت عنه، لا من هذا ولا من ذاك، فلا نؤمن به، ولا نكذبه؛ لاحتمال أن يكون حقا فنكذبه، أو باطلا فنصدقه، ويجوز حكايته"[2].

وهذا النوع هو مراد النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه قال: كان أَهْلُ الْكِتَابِ يقرؤون التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "**لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ولا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا** (آمَنَّا بِاللَّهِ وما أُنْزِلَ إِلَيْنَا) **الْآيَةَ**"[3]، قال ابن حجر: "أي، إذا كان ما يخبرونكم به، محتملا لئلا يكون في نفس الأمر صدقا فتكذبوه، أو كذبا فتصدقوه، فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه"[4].

وأمثلة هذا النوع كثيرة، وقد ذكر منها ابن كثير جملة في مقدمة تفسيره فقال: "مثل أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز"[5].

---

[1] – ابن تيمية: **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير**، 366/13.

[2] – أبو شهبة: **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، ص136.

[3] – البخاري: **صحيح البخاري**، باب "قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا"، حديث رقم: 4215، 1630/6.

[4] – ابن حجر: **فتح الباري**، 170/8.

[5] – ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 5/1.

المسألة الرابعة: موقف الصابوني من الإسرائيليات في تفسيره

كان الصابوني مقلا جدا في نقل الروايات الإسرائيلية في تفسيره، وهذا هو منهج المفسرين المعاصرين، فالروايات الإسرائيلية في كتب التفسير الحديثة أقل بكثير منها في كتب التفسير القديمة[1].

وقد سألت[2] الشيخ الصابوني عن موقفه من الإسرائيليات، وعن ذكره لها في تفسيره، فأخبرني أنه حريص على الابتعاد عنها، وأن الإسرائيليات مما ابتُلي بها التفسير، فهو حريص على ألا يذكرها في تفسيره، وإن ذكرها فإنما يذكرها للرد عليها.

فالصابوني من المفسرين الذين ابتعدوا قدر الإمكان عن الروايات الإسرائيلية، خاصة الروايات التي خالفت الشرع، أو الروايات التي يتضح زيفها وكذبها، فكل ما خالف شرعنا فهو مردود مكذوب، ولا يمكن أن يكون مصدره وحي أو حق، سواء أكان هذا الأمر من الإسرائيليات أم من غيرها، سواء أكان مشهورا أم غير ذلك.

وقد سطّر الصابوني موقفه من الروايات الإسرائيلية في تفسيره، عند تفسيره لقول الله عز وجل: (إِنَّ هَذَآ أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ)[3]، فذكر تفسيرها، ثم عقب ذلك بأن نفّر من الروايات الإسرائيلية التي تناقلتها كتب المفسّرين في ذلك، فقال: "وقع بعض المفسرين في خطأ فاحش حين نقلوا بعض الأقوال الواهية في تفاسيرهم اعتمادا على ما جاء عند أهل الكتاب من غير تحقيق ولا تمحيص، مما لم يصح سنده ولا يجوز اعتماده، لأنه من القصص الاسرائيلية التي تتنافى مع العقيدة الاسلامية في "عصمة الأنبياء"، من هذه الأباطيل المدسوسة ما روي من أمر عشقه لزوجة قائد جيشه وخلاصتها: أن داود كان يمشي على سطح داره فنظر إلى امرأة تستحم فأعجبته وعشقها، وكانت زوجة أحد قواده ويسمى " أوريا " فأراد أن يتخلص منه ليتزوج بها، فأرسله في إحدى المعارك وحمله الراية وأمره بالتقدم فانتصر، فأرسله مرارا ليتخلص منه حتى قتل فتزوجها، ما هنالك من الكذب والبهتان، قال

---

[1] – انظر، نعناعة: **الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير**، ص218.

[2] – خلال زيارتي له في منزله يوم الأربعاء، الموافق: التاسع من جمادي الأولى (5)، من سنة (1434هـ)، العشرين من شهر مارس، من العام (2013م)، في منزله الكائن في حي الإسكان في مكة المكرمة.

[3] – سورة ص، الآية 23.

ابن كثير: وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصصا وأخبارا أكثرها إسرائيليات، ومنها ما هو مكذوب لا محالة، تركنا ايرادها في كتابنا قصدا، اكتفاء بمجرد تلاوة القصة من القرآن الكريم، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم، وقال البيضاوي[1]: وما قيل إنه أرسل "أوريا" مرارا إلى الحرب، وأمره أن يتقدم حتى قتل فتزوجها داود، فزور وافتراء، ولذلك قال علي رضى الله عنه: من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة، وهو حد الفرية على الأنبياء، والصحيح في موضوع هذه القصة ما ذكره المحققون من أئمة التفسير وعلمائه الأعلام، وبيان هذه القصة أن داود عليه السلام كان يخصص بعض وقته لتصريف شؤون الملك، وللقضاء بين الناس، ويخصص البعض الاخر للخلوة والعبادة، وترتيل الزبور تسبيحا لله في المحراب، وكان إذا دخل المحراب للعبادة والخلوة لم يدخل إليه أحد حتى يخرج هو إلى الناس، و في ذات يوم فوجئ بشخصين يتسوران المحراب الذى يتعبد فيه، ففزع منهما واضمر في نفسه أن يبطش بهما، فبادرا يطمئنانه أنهما خصمان اختلفا في أمر بينهما، وبدأ أحدهما فعرض خصومته كما قصها القرآن الكريم في آياته البينات. والقضية كما عرضها أحد الخصمين تحمل ظلما صارخا مثيرا لا يحتمل التأويل، ومن ثم اندفع داود يقضى على إثر سماعه لهذه المظلمة الصارخة، ولم يوجه إلى الخصم الآخر حديثا، ولم يطلب إليه بيانا، ولم يسمع له حجة، ولكنه مضى يحكم بقوله: "لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه"، إلى آخر الآيات فعاتبه الله على ذلك ونبهه إلى ضرورة تثبت القاضي من حكمه، وسماعه للخصم الاخر، أما ما قاله البعض اعتمادا على بعض الروايات الاسرائيلية مما ذكرناه وحذرنا منه، فإنه لا يصح بالنسبة إلى عوام المسلمين وجهلة الفساق، فما بالك بالأنبياء بل بخواص الأنبياء " فليتدبر هذا من له عقل سليم ودين قويم، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم"[2].

وعند تفسيره لقول الله تعالى: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ)[3]، عاتب بعض المفسرين الذين نقلوا عن أهل الكتاب أباطيلهم، فقال: " أشار ابن كثير[4] إلى ما ذكره

---

[1] – انظر، البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)**، (بيروت، دار الفكر)، 43/5.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 118/3.

[3] – سورة ص، الآية 34.

[4] – انظر، ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، 35/4.

بعض المغرمين بالروايات الضعيفة، والحكايات الإسرائيلية المصطنعة، حول فتنة سليمان التي أشار إليها القرآن الكريم هذه الاشارة الخاطفة: (ولقد فتنا سليمان)، ومن أغربها وأنكرها ما رواه ابن أبى حاتم[1] أن سليمان عليه السلام أراد أن يدخل الخلاء، فأعطى الجرادة ـ زوجته ـ خاتمه، وكانت أحب نسائه إليه فجاءها الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي فظنته سليمان فأعطته إياه، فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين...، إلخ وكل هذه الروايات خرافات وأباطيل ردها المحققون من العلماء كابن كثير، والفخر الرازي والبيضاوي والنسفي وغيرهم"[2].

إلا أن الصابوني ـ مع شدة تحذيره منها ـ قد ذكر بعض الروايات الإسرائيلية، خاصة من النوع الذي سكت عنه الشارع، فمن ذلك ما ذكره في تفسير قول الله تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِى إِسْرَاءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً)[3]، قال: "أي وأمرنا موسى بأن يأخذ اثنى عشر نقيبا ـ والنقيب كبير القوم القائم بأمورهم ـ من كل سبط نقيب، يكون كفيلا على قومه بالوفاء بالعهد توثقة عليهم، قال المفسرون: لما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون، أمرهم الله تعالى بالسير إلى "أريحاء" بأرض الشام، كان يسكنها الكنعانيون الجبابرة، وقال لهم: إني كتبتها لكم دارا وقرارا، فجاهدوا من فيها فإني ناصركم، وأمر موسى بأن يأخذ من كل سبط نقيبا، فاختار النقباء وسار بهم، فلما دنا من أرض كنعنان بعثهم يتجسسون الأخبار، فرأوا قوما أجسامهم عظيمة، ولهم قوة وشوكة، فهابوهم ورجعوا وحدثوا قومهم، وكان موسى قد نهاهم أن يتحدثوا بما يرون، فنكثوا الميثاق وتحدثوا إلا اثنين منهم، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة"[4]، فهذه القصة من القصص المنقولة عن أهل الكتاب.

ومن ذلك أيضا تفسيره لقول الله عز وجل: (فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَى)[5]، قال: "أي فلما ألقاها صارت في الحال حية عظيمة، تنتقل وتتحرك في غاية السرعة، قال ابن عباس[6]: انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر، فلما رآه يبتلع كل شيء، خافه ونفر منه وولى هاربا قال

---

[1] – انظر، ابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**، 3241/10.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 122/3.

[3] – سورة المائدة، الآية 12.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 216/1.

[5] – سورة طه، الآية 20.

[6] – انظر، القرطبي: **تفسير القرطبي**، 190/11.

المفسرون: لما رأى هذا الامر العجيب الهائل، لحقه ما يلحق البشر عند رؤية الاهوال والمخاوف، لا سيما هذا الامر الذي يذهب بالعقول، وإنما أظهر له هذه الآية وقت المناجاة، تأنيسا له بهذه المعجزة الهائلة، حتى لا يفزع إذا ألقاها عند فرعون، لأنه يكون قد تدرب وتعود"[1].

فقول ابن عباس هذا إنما هو مما أخذه عن أهل الكتاب، إذ ليس في شرعنا أي تفصيل في ذلك، غير أنها صارت ثعبانا عظيما.

ومما يلاحظ أن هذه الأمثلة التي ذكرناها، والتي لم نذكرها وأوردها الصابوني في تفسيره دون أن يعلق عليها؛ ليس لها أي أثر في ديننا، فلا يضر في ذلك إيرادها في كتب التفسير، ولا يضر أنه علّق عليها أو لم يعلق.

والحقّ، أن الصابوني كان كثيرا ما يردّ الروايات الإسرائيلية ويناقشها، ويظهر ذلك جليا في بيانه معنى الهم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاأَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[2]، كيف أنه رد كثيرا من تلك القصص، ونقّى تفسيره منها، فقال: "(ولقد همَّت به): أي همت بمخالطته عن عزم وقصد وتصميم، عزما جازما على الفاحشة، لا يصرفها عنها صارف، وقصدت إجباره على مطاوعتها بالقوة، بعد أن استحكمت من تغليق الأبواب، ودعوته إلى الإسراع، مما اضطره إلى الهرب إلى الباب، (وهمَّ بها): أي حدثته نفسُه بالنزول عند رغبتها (حديث نفس)، دون عزم وقصد، فبين الهمين فرق كبير، قال الإمام الفخر[3]: الهم خطور الشيء بالبال أو ميل الطبع، كالصائم في الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسه على الميل إليه وطلب شربه، ولكن يمنعه دينه عنه، (لولا أن رأى برهان ربه): جوابه محذوف أي لولا حفظ الله ورعايتُه ليوسف، وعصمتُه له، لخالطها وأمضي ما حدثته نفسه به، ولكن الله عصمه بالحفظ والتأييد فلم يحصل منه شيء البتة، قال في البحر[4]: نسب بعضُهم ليوسف ما لا يجوز نسبه لآحاد الفُساق، والذي أختاره أن "يوسف" عليه السلام لم يقع منه همّ البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: قارفتَ الذنبَ لولا أن عصمك الله، وكقول العرب: أنتَ ظالم إن فعلتَ؛ وتقديره: إن فعلتَ فأنتَ ظالم،

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 180/2.

[2] – سورة يوسف، الآية 24.

[3] – انظر، الرازي: **التفسير الكبير**، 92/18.

[4] – انظر، أبو حيان: **البحر المحيط**، 294/5.

وكذلك هنا التقدير: لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، ولكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهم، وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك؛ لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضُها بعضا، مع كونها قادحة في بعض فُساق الملل، فضلا عن المقطوع لهم بالعصمة وقال أبو السعود[1]: إن همه بها بمعنى ميله إليها بمقتضى الطبيعة البشرية، ميلا جبليا، لا أنه قصدها قصدا اختياريا، ألا يرى إلى ما سبق من استعصامه المنبىء عن كمال كراهيته له ونفرته عنه، وحكمه بعدم إفلاح الظالمين، وهل هو إلا تسجيل باستحالة صدور الهم منه تسجيلا محكما؟ وما قيل: إنه حل الهميان، وجلس مجلس الختان، فإنما هي خرافات وأباطيل، تمجها الآذان، وتردها العقول والأذهان"[2].

فالصابوني عدل عن ذكر الروايات الإسرائيلية في همّ يوسف عليه السلام، بل وردّ على بعضها، كما أنه عدل عن الروايات الإسرائيلية في أي برهان من الله رأى؛ مع أن كتب التفسير مليئة بمثل هذه القصص.

المطلب السابع: مدى اعتماده على التفسير بالمأثور

اهتم الصابوني في تفسيره بالتفسير المأثور، ونوّع من أنواعه، ففسر القرآن الكريم بعض آياته ببعض، وفسّرها مرّة أخرى بالحديث النبوي، وفسّر آيات غيرها بأقوال الصحابة أو التابعين، وجمع مرات بين الأنواع كلها.

وقد ذكر الصابوني في مقدمته، أنه لم يكن يفسّر آية من كتاب الله عز وجل، ما لم يقف على تفسير العلماء لها؛ بما في ذلك ما أُثر وروي من روايات في تفسيرها، فقال في مقدمة التفسير: "وقد مكثت في تأليف هذا التفسير خمس سنوات ، أواصل فيه الليل بالنهار ، وما كنت اكتب شيئا حتى اقرأ ما كتبه المفسرون في أمهات كتب التفسير الموثوقة ، مع التحري الدقيق لأصح الأقوال وأرجحها"[3].

---

[1] – انظر، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: **إرشاء العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبو السعود)**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، 266/4.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 52/2.

[3] – المصدر السابق، 7/1.

ويتضح تشرُّب الصابوني للتفسير المأثور، ومدى اهتمامه به، أنه كان كثيرا ما يفسر الآيات بما ورد من روايات في تفسيرها، وإن كان لا يذكر في تفسيرها أن هذا مما أثر في تفسيرها.

فمن ذلك تفسيره لقول الله عز وجل: (غَيْرِ الْمَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ وَلَاْ الْضَّاْلِّيْن)[1]، قال الصابوني: "أي لا تجعلنا يا أله من زمرة أعدائك الحائدين عن الصراط المستقيم السالكين غير المنهج القويم، من اليهود المغضوب عليهم، أو النصارى الضالين، الذين ضلوا عن شريعتك القدسية، فاستحقوا الغضب واللعنة الأبدية"[2].

ومعلوم أن تفسير المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى، تفسير مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث عن رسول الله عليه وسلم أنه قال: "**إن الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ وإن الضَّالِّينَ النَّصَارَى**"[3]، فهذا تفسير مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن الصابوني ذكره على تفسير مجمل للآية ولم يبين أن هذا من التفسير المأثور.

ومن ذلك أيضا، أنه كان كثيرا ما يرد بعض التفاسير المنحرفة، بما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك ما قاله عند تفسير قول الله عز وجل: (وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ)[4]، قال: "أي امسحوا رؤوسكم، واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين، أي معهما، قال الزمخشري[5]: وفائدة المجيء بالغاية (إلى الكعبين) لدفع ظن من يحسبها ممسوحة، لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة، وفي الحديث: "**ويل للأعقاب من النار**"[6]، وهذا الحديث يرد على الإمامية الذين يقولون بأن الرجلين فرضهما المسح لا الغسل، والآية صريحة لأنها جاءت بالنصب (وأرجلَكم)، فهي معطوفة على المغسول، وجيء بالمسح بين المغسولات لإفادة الترتيب"[7].

---

[1] – سورة الفاتحة، الآية 7.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 10/1.

[3] – أخرجه الإمام أحمد بن حنبل: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم 19381، 123/32، والحديث طويل، وهذه الجملة هي جزء منه.

[4] – سورة المائدة، الآية 6.

[5] – انظر، الزمخشري: **الكشاف**، 654/1.

[6] – أخرجه البخاري: **صحيح البخاري**، بَاب من رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْعِلْمِ، حديث رقم 60، 33/1، ومسلم: **صحيح مسلم**، بَاب وُجُوبِ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ بِكَمَالِهِمَا، حديث رقم 240، 213/1.

[7] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 214/1.

وأحيانا كان الصابوني يدعِّم رأيه، أو أحد الأقوال في تفسير آية من كتاب الله عز وجلّ؛ بما جاء فيها من روايات، فمن ذلك ما رجح فيه رأي الجمهور في تفسير قول الله عز وجل: (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً)[1]، قال في تفسيرها: "أي أعمال الخير تبقى ثمرتها أبد الآباد، فهي خير ما يؤمِّله الإنسان ويرجوه عند الله، قال ابن عباس: الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس، وعنه أيضا أنها كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة وفي الحديث: **(سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله اكبر، من الباقيات الصالحات)**"[2][3]، ثم بعد ذلك أكمل تفسير بقية المقطع، حتى إذا فرغ من ذلك عنون عنوانا أسماه (تنبيه) قال فيه: "الجمهور على أن الباقيات الصالحات من الكلمات المأثور فضلها:**(سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)**، وقد ورد بذلك حديث تقدم ذكره، وروى الترمذي: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: **(لقيتُ إبراهيم ليلةَ أُسري بي فقال يا محمد: أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله اكبر)**"[4][5].

المبحث الثاني: منهجه في التفسير بالرأي

المطلب الأول: التفسير بالرأي وما يتعلق به

المسألة الأول: المقصود بالتفسير بالرأي

المراد بالرأي هنا (الاجتهاد)، وعليه فالتفسير بالرأي، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلة ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر[6].

---

[1] – سورة الكهف، الآية 45.

[2] – أخرجه الإمام أحمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم 11731، 75/3، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 153/2.

[4] – أخرجه الترمذي: **سنن الترمذي**، حديث رقم 3462، 510/5، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ من هذا الْوَجْهِ.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 154/2.

[6] – انظر، الذهبي: **التفسير والمفسرون**، 41/4.

المسألة الثانية: أنواع التفسير بالرأي

التفسير بالرأي نوعان، نوع ممدوح ملحق بالتفسير بالمأثور ومكمِّل له، ونوع آخر مذموم بعيد عن التفسير بالمأثور.

والممدوح هو: التفسير المبني على المعرفة الكافية بالعلوم اللغوية، والقواعد الشرعية، والأصولية، وعلم السننِ والأحاديث، ولا يعارض نقلاً صحيحاً، ولا عقلاً سليماً، ولا علماً يقيناً ثابتاً مستقراً، مع بذل غاية الوسع في البحث والاجتهاد والمبالغة في تحري الحق والصواب، وتجريد النفس من الهوى والاستحسان بغير دليل، ومع مراقبة الله غاية المراقبة في كل ما يقول[1].

وهذا النوع جائز لموافقته كلام العرب ومناحيهم في القول، مع موافقته الكتاب والسنة، ومراعاة سائر شروط التفسير[2].

والمذموم هو: أيّ تفسير لا يقوم على موافقة العربية، وينافي النصوص الشرعية، ولا يكون مفسره مستوفيا لشروط المفسّر[3].

وهذا النوع غير جائز التفسير به، وعليه تُحمل النصوص الشرعية الناهية عن التفسير بالرأي، وإليه تُصرف أقوال العلماء المانعين للتفسير بالرأي[4].

المطلب الثاني: صفوة التفاسير بين نوعي التفسير بالرأي

نظرا لاعتماد الصابوني على الإيجاز والاختصار في تفسيره، واستشفافا مما سلف من قوة اعتماد الصابوني على التفسير بالمأثور؛ فإن صفوة التفاسير منزَّه عن النوع الثاني من التفسير بالرأي، بل إن الكتاب مليء بالرد على التفاسير القائمة على مجرد الرأي، أو التفاسير المنحرفة لبعض الآيات، ومن ذلك ما ذكرناه سابقا من مناقشته لقصة الغرانيق، حيث فسّر قول الله عز وجل: (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِىٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِىأُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[5]، بأن قال: "أي ألقى الشيطان فيما

---

[1] – انظر، أبو شهبة: **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، ص177.

[2] – الذهبي: **التفسير والمفسرون**، 44/4.

[3] – انظر، السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، 180/2–182، وانظر فيه تعريفات العلماء للتفسير بالرأي المذموم.

[4] – انظر، الذهبي: **التفسير والمفسرون**، 44/4.

[5] – سورة الحج، الآية 52.

يشتهيه ويتمناه بعض الوساوس التي توجب اشتغاله بالدنيا، كما قال عليه السلام **(إنه ليُغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة)**[1]، قال الفراء[2]: تمنى إذا حدث نفسه، وفي البخاري[3]: قال ابن عباس: (إلا إذا تمني ألقى الشيطان في أمنيته) إلا إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه، فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته، ويقال: أمنيته: قراءته، قال النحاس[4]: وهذا من أحسن ما قيل في الآية وأجَلّه، ومعنى الآية: وما أرسلنا رسولا ولا نبيا فحدث نفسه بشيء، وتمنى لأمته الهداية والإيمان؛ إلا ألقى الشيطان الوساوس والعقبات في طريقه؛ بتزيين الكفر لقومه وإلقائه في نفوسهم مخالفة لأمر الرسول، وكأن الآية تسلية للرسول (صلى الله عليه وسلم) تقول له: لا تحزن يا محمد على معاداة قومك لك فهذه سنة المرسلين، هذا أصح ما قيل في تفسير الآية وهو اختيار المحققين من المفسرين"[5].

فبعد أن انتقى الصابوني هذه الآراء في تفسير الآية، ذكر في الهامش قصة الغرانيق، وتعقبها بالرد، وهذا يبرز براعته في نقل أصح الأقوال في تفسير الآية، ويدل على أن المفسر هذّب تفسيره من الآراء الباطلة.

أما النوع الآخر من التفسير بالرأي، فهو مربط اعتماد الصابوني في تفسيره، خاصة فيما ذكره تحت عنوان (الفوائد واللطائف)، أو في الآيات التي لم يرد فيها تفسير مأثور، والتي كان لابد للوقوف على تفسيرها من الاجتهاد وإعمال الرأي، والعقل، والفكر.

فمن ذلك تفسيره لقول الله عز وجل: (وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ)[6]، فقد أعمل رأيه في توجيه الآية وأقوال العلماء، فقال: "(إن) نافية بمعنى (ما)، أي ولقد مكنا عادا في الذي لم

---

[1] – الثابت الصحيح من الحديث أنه كان يستغفر مائة مرة لا سبعين، قال صلى الله عليه وسلم: " **إنه ليُغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم مائة مرة**"، أخرجه الإمام مسلم: **صحيح مسلم**، بَاب اسْتِحْبَابِ الِاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِكْثَارِ منه، حديث رقم 2702، 2075/4، وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار الفكر)، بَاب في الِاسْتِغْفَارِ، حديث رقم 1515، 84/2، والإمام أحمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم 17881، 212/4.

[2] – انظر، القرطبي: **تفسير القرطبي**، 85/12.

[3] – انظر، البخاري: **صحيح البخاري**، باب تفسير سُورَةُ الْحَجِّ، 1767/4.

[4] – انظر، القرطبي: **تفسير القرطبي**، 85/12.

[5] الصابوني: **صفوة التفاسير**، 223/2.

[6] – سورة الأحقاف، الآية 26.

نمكنكم فيه يا أهل مكة، من القوة، والسعة، وطول الأعمار، وهو خطاب لكفار مكة على وجه التهديد، وذهب بعض المفسرين إلى أن (إن) زائدة، والمعنى ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه أي في مثل الذي مكناكم فيه، والأول أرجح، لأن المقصود أنهم كانوا أقوى منكم ومع ذلك ما نجوا من عقاب الله فكيف يكون حالكم؟ وإنما لم يؤت ب (ما) فيقال: فيما ما مكناكم فيه، دفعا لثقل التكرار"[1].

فالصابوني أعمل عقله في تفسير هذه الآية، مستخدما اللغة، وموجها أقوال العلماء، مستعينا بذلك على بيان مقصود الشارع من الآية من خلال السياق.

ومن ذلك أيضا إعمال عقله في ترجيح قول على قول، والاستعانة بالدليل على الترجيح، عند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً)[2]، قال: "أي ويهديكم تعالى إلى الطريق القويم، الموصل إلى جنات النعيم، بجهادكم وإخلاصكم، قال الإمام الفخر[3]: والآية للإشارة إلى أن ما أعطاهم من الفتح والمغانم؛ ليس هو كل الثواب، بل الجزاء أمامهم، وإنما هو شيء عاجل، عجله لهم لينتفعوا به، ولتكون آية لمن بعدهم من المؤمنين، تدل على صدق وعد الله في وصول ما وعدهم به كما وصل إليكم، وما ذكره ابن كثير[4] هو الراجح وهو اختيار الطبري وأبي حيان، وهو منقول عن قتادة والحسن، ويؤيده أن الله تعالى قال: (لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا)، وهذا يدل على تقدم محاولة لفتحها وهو منطبق على (فتح مكة)، وقيل إن المراد: فتح فارس والروم، وقيل هوازن في حنين، وما ذكرناه أرجح والله أعلم"[5].

والذي يقرأ صفوة التفاسير، يرى أن عقل الصابوني يتجلى بوضوح لمن يقرأ تفسيره، فهو يغوص في الآيات غوصا، ويسبح في معانيها، ويسرح في فلائها، مع مراعاته لكل المسلمات التي لابد لكل مفسر أو أي تفسير من الالتزام بها.

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 219/3.

[2] – سورة الفتح، الآية 20.

[3] – انظر، الرازي: **التفسير الكبير**، 83/28.

[4] – أي بسبب انقيادكم لأمره، واتباعكم طاعته، وموافقتكم رسوله صلى الله عليه وسلم، انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 129/4.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 236/3.

المطلب الثالث: طريقته في نقل الآراء واختيارها

انتهج الصابوني في تفسيره نهج الانتقاء، فقال في مقدمة تفسيره: "وما كنت اكتب شيئا حتى اقرأ ما كتبه المفسرون في أمهات كتب التفسير الموثوقة ، مع التحري الدقيق لأصح الاقوال وارجحها"[1]، فلم يكن ينقل كل الآراء في تفسير الآية، بل كان ينقل أصحها وأصوبها، ويدل على ذلك أنه لم ينقل الأقوال الكثيرة التي تناقلتها كتب التفسير في معنى قول الله عز وجل: (اهدنا الصراط المستقيم)[2]، والتي تربوا على خمسة أقوال كلها ذات وجاهة[3]، بل نرى الصابوني يكتفى بنقل أقوى هذه الأقوال، فيقول: "أي دُلَّنا وأرشدنا يا رب إلى طريقك الحق ودينك المستقيم، وثبِّتنا على الإسلام الذي بعثت به أنبياءك ورسلك، وأرسلت به خاتم المرسلين، واجعلنا ممن سلك طريق المقربين"[4].

ويظهر جليا في صفوة التفاسير، أن الصابوني لم يكن يهمل الأقوال ذات الوجاهة في تفسير الآية، بل كان يجمع بين الأقوال، ويوجه الآية وجها يقتضي إعمال الأقوال القوية المنقولة في معنى الآية، فمن ذلك تفسيره لقول الله عز وجل: (وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا)[5]، قال الصابوني: "أي ولا يكشفن زينتهن للأجانب إلا ما ظهر منها بدون قصد ولا نية سيئة، قال ابن كثير[6]: أي لا يظهرن شيئا من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه، كما قال ابن مسعود[7]: الزينة زينتان: فزينة لا يراها إلا الزوج: الخاتم والسوار، وزينة يراها الأجانب وهي الظاهر من الثياب، وقيل: المراد به الوجه والكفان فإنهما ليسا بعورة، قال البيضاوي[8]: والأظهر أن هذا في الصلاة لا في النظر، فإن كل بدن الحرة عورة، لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة، كالمعالجة وتحمل الشهادة"[9].

---

[1] – المصدر السابق، 7/1.

[2] – سورة الفاتحة، الآية 6.

[3] – انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 27/1.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 9/1.

[5] – سورة النور، الآية 31.

[6] – انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 284/3.

[7] – انظر، أبو السعود: **تفسير أبي السعود**، 170/6.

[8] – انظر، البيضاوي: **تفسير البيضاوي**، 183/4.

[9] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 252/2.

فترجيحه أن الزينة زينتان، زينة ظاهرة للجميع وهي الثياب، وزينة للزوج فقط وهي السوار والوجه والكفان، إعمال لقول ابن عباس في أن معنى الآية الوجه والكفان، وقول ابن مسعود في أنها الثياب، وبقية الأقوال في الآية[1].

ويدخل في هذا الباب أيضا ـ أي التفسير بالرأي ونقل الآراء ـ ما نقل الصابوني عند تفسيره لبعض الآيات من حمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، والناسخ على المنسوخ، إذ أن ذلك يدخل في التفسير بالرأي وترجيح الأقوال، وسوف نتحدث عن ذلك في مكانه عند الحديث عن كل قسم من هذه الأقسام على حدة.

المطلب الرابع: طريقته في الترجيع بين الآراء

امتدح العلماء منهج الصابوني في الترجيح بين الآراء، واختيار أدق الأقوال وأصحها، ويتضح ذلك من خلال تقديم فضيلة الشيخ (عبد الحليم محمود) شيخ الأزهر سابقا، فقد امتدح الكتاب فقال: "هو كتاب تحرى فيه المؤلف ذكر أصح الآراء في تفسير كتاب الله تعالى مع الاختصار والسهولة، واذا كان اختيار المرء قطعة من عقله، فانه لا شك ان المؤلف وفق توفيقا كبيرا في الاختيار من امهات كتب التفسير التي رجع اليها على علم وبصيرة"[2].

فهذا الكلام من شيخ الأزهر، يكشف عن مدى ضلوع الصابوني في التفسير بالرأي، ويدل على أن المؤلف كان حريصا على تحري أقوى الأقوال وأرجحها، ومن ذلك ترجيح الصابوني لآراء العلماء في تفسير قول الله عز وجل: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)[3]، فقال: "للمفسرين في هذه الآية قولان: أحدهما أن الله لما خلق ادم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم فأقروا وشهدوا بذلك، وقد روي هذا المعنى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) من طرق كثيرة وقال به جماعة من الصحابة، والثاني: أن هذا من باب التمثيل والتخييل والمعنى أنه سبحانه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم

---

[1] – انظر، الطبري: **تفسير الطبري**، 117/18، فقد نقل الطبري معظم الأقوال المنقولة في معنى (إلا ما ظهر منها)، وعزى كل قول إلى صاحبه.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 3/1.

[3] – سورة الأعراف، الآية 172.

وبصائرهم، فكأنه أشهدهم على أنفسهم، وهذا الرأي اختاره الزمخشري وأبو حيان وأبو السعود، والأول أصح وأرجح"[1].

فصنيع الصابوني هذا في ترجيح الرأي الأول ورد الثاني؛ يدل على أن المؤلف أعمل عقله في النصوص المنقولة واتبع الدليل، وهذا العمل هو عين التفسير بالرأي المحمود.

ومن ذلك أيضا ترجيح قول على آخر، من خلال توجيه الآية التوجيه السديد، كما فعل عند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ)[2]، قال الصابوني: "أي وترهبون به آخرين غيرهم، قال ابن زيد[3]: هم المنافقون، وقال مجاهد[4]: هم اليهود من بني قريظة، والأول أصح لقوله: (لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) أي لا تعلمون ما هم عليه من النفاق، ولكن الله يعلمهم"[5].

ثم إن الصابوني كثيرا ما كان ينقل الآراء في تفسير الآية، ثم يفسّر الآية على تلك الأقوال، ثم يرجح الرأي الصواب، الذي تقتضيه السليقة، ويتماشى مع السياق، فمن ذلك تفسيره لقول الله عز وجل: (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)[6]، قال الصابوني: "أي الله وحده كافيك، وكافي أتباعك، فلا تحتاجون معه إلى أحد، وقال الحسن البصري: المعنى حسبك أي كافيك الله والمؤمنون، والقول الأول معناه: حسبك الله وحده وحسب أتباعك، وقد اختاره الزمخشري ونصره ابن القيم في مقدمة (زاد المعاد) بأدلة مقنعة، والقول الثاني معناه: يكفيك الله والمؤمنون الذين معك، روي عن مجاهد والحسن البصري واختاره السيوطي والمحلي في تفسير الجلالين، والأول أرجح، والله أعلم"[7].

فالصابوني رجّح الرأي الأول بعد أن فسّر الآية على القولين، وبعد أن سمى العلماء الذين يدعمون كل قول، ثم رجّح الرأي الأكثر تمشّيا مع الآية وموقعها.

وكان الصابوني في كثير من الأحيان، يدعم رأيه في ترجيح قول على آخر، من خلال نقل كلام بعض العلماء في ذلك، فمن هذا القبيل ترجيحه أن البطشة الكبرى هي القيامة، فقال في

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 320/1.

[2] – سورة الأنفال، الآية 60.

[3] – انظر، الطبري: **تفسير الطبري**، 32/10.

[4] – انظر، ابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**، 1723/5.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 340/1.

[6] – سورة الأنفال، الآية 64.

[7] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 342/1.

تفسير قول الله تعالى: (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ)[1]، قال: "أي واذكر يوم نبطش بالكفار بطشتنا الكبرى انتقاما منهم، والبطش: الأخذ بقوة وشدة، قال ابن مسعود[2]: (البطشة الكبرى) يوم بدر، وقال ابن عباس[3]: هي يوم القيامة، قال ابن كثير[4]: والظاهر أن ذلك يوم القيامة، وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضا، وقال الرازي: القول الثاني أصح، لأن يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي يوصف به هذا الوصف العظيم، ولأن الانتقام التام إنما يحصل يوم القيامة، ولما وصف بكونها (كبرى) وجب أن تكون أعظم أنواع البطش على الإطلاق، وذلك إنما يكون في القيامة"[5].

المطلب الخامس: التفسير العلمي في صفوة التفاسير

من الأمور التي أدخلها الصابوني في تفسيره، والتي تندرج ضمن التفسير بالرأي، هي التفسير العلمي لبعض الآيات، ذلك أن القرآن الكريم تحدث في كثير من الآيات عن أمور علمية، والتي أبدع الصابوني في تجليتها، أو نقل معلوماتها.

والتفسير العلمي: هو تفسير الآيات تفسيرًا علميًّا، وفق قواعد العلم الحديث، وبيان المضامين العلمية للآيات، وفق مقررات وتحليلات العلم الحديث[6]، قال الدكتور صلاح الخالدي: "التفسير العلمي: هو النظر في الآيات ذات المضامين العلمية من الزاوية العلمية، وتفسيرها تفسيرًا علميًّا، وذلك بالاستعانة بالعلوم والمعارف والمكتشفات الحديثة في توسيع مدلولها وتقدير معناها"[7].

وإذا كان الدكتور صلاح الخالدي قد عرف التفسير العلمي على أنه تفسير الآيات ذات المضامين والإشارات العلمية، وفق دلالاتها، فإن الدكتور الذهبي قد نحى منحى آخر، إذ جعل التفسير العلمي حاكما للاصطلاحات العلمية التي وردت في القرآن الكريم، قال الدكتور الذهبي:

---

[1] – سورة الدخان، الآية 16.

[2] – انظر، الطبري: **تفسير الطبري**، 116/25.

[3] – انظر، الطبري: **تفسير الطبري**، 117/25.

[4] – انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 139/4.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 199/3.

[6] – انظر، الخالدي، صلاح عبد الفتاح: **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، (دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ط3 – 1429هـ – 2008م)، ص566.

[7] – الخالدي، صلاح عبد الفتاح: **البيان في إعجاز القرآن**، (عمان، دار عمان)، ص267.

"التفسير العلمي: هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها"[1].

ويمكن أن نجمع بين التفسيرين فنقول: التفسير العلمي هو استخدام العلم الحديث، القائم على الحقائق الثابتة، في بيان معاني الآيات القرآنية، وتوسيع مدلولاتها.

والتفسير العلمي يختلف عن الإعجاز العلمي؛ لأن الإعجاز لا يكون إلا فيما تحقق ثبوته، ولذلك يعَرَّف الإعجاز العلمي بأنه: إخبار القرآن الكريم، أو السنة النبوية، بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيراً، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهكذا يظهر اشتمال القرآن، أو الحديث على الحقيقة الكونية، التي يؤول إليها معنى الآية أو الحديث، ويشاهد الناس مصداقها في الكون، فيستقر عندها التفسير، ويعلم بها التأويل[2].

والتفسير العلمي للقرآن الكريم هو جزء لا يتجزء عن التفسير بالرأي؛ ذلك لأن المفسر يجتهد، ويعمل عقله، ويفكر في الآيات القرآنية، ليربط بينها وبين المصطلحات العلمية، قال الدكتور فهد الرومي: "المراد بالتفسير العلمي: هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية، ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز للقرآن يدل على مصدره، وصلاحيته لكل زمان ومكان"[3].

وصفوة التفاسير قد اشتمل على الكثير من الامور العلمية المستلهمة من الآيات القرآنية، فلا تكاد تخلوا آية من مسألة علمية إلا وجلّاها، وفصّل فيها، باختصار غير مخل، وتفصيل غير مطول، وبما يوافق تفسير الآيات.

فمثلا عند تفسير الصابوني لقول الله عز وجل: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)[4]، قال:

---

[1] – الذهبي: **التفسير والمفسرون**، 349/2.

[2] – انظر، الزنداني، عبد المجيد بن عزيز: **تأصيل الإعجاز العلمي**، (المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، مطبوعات هيئة الإعجاز العلمي)، ص15.

[3] – الرومي، فهد بن عبد الرحمن: **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، (السعودية، مؤسسة الرسالة، ط3 – 1418هـ – 1997م)، ص549.

[4] – سورة المؤمنون، الآية 12.

"(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين): اللام جواب قسم، أي والله لقد خلقنا جنس الإنسان من صفوة وخلاصة استلت من الطين، قال ابن عباس[1]: هو (آدم) عليه السلام، لأنه انسل من الطين، (ثم جعلناه نطفة): أي ثم جعلنا ذرية آدم وبنيه، منيا ينطف من أصلاب الرجال، (في قرار مكين): أي في مستقر متمكن هو الرحم، (ثم خلقنا النطفة علقة): أي ثم صيرنا هذه النطفة ـ وهي الماء الدافق ـ دما جامداً يشبه العلقة، (فخلقنا العلقة مضغة): أي جعلنا ذلك الدم الجامد مضغة، أي قطعة لحم لا شكل فيها ولا تخطيط، (فخلقنا المضغة عظاما): أي صيرنا قطعة اللحم عظاما صلبة لتكون عمودا للبدن، (فكسونا العظام لحما): أي سترنا تلك العظام باللحم، فجعلناه كالكسوة لها، (ثم أنشأناه خلقا آخر): أي ثم بعد تلك الأطوار نفخنا فيه الروح فصيرناه خلقا آخر، في أحسن تقويم، قال الرازي[2]: أي جعلناه خلقا مباينا للخلق الأول، حيث صار إنسانا وكان جمادا، وناطقا وكان أبكم، وسميعا وكان أصم، وبصيراً وكان أكمه، وأودع كل عضو من أعضائه عجائب فطرة، وغرائب حكمة، لا يحيط بها وصف الواصفين"[3].

وهذا تفسير علمي لا يكون إلا من إنسان وقف على حقائق العلم، وتابع مراحل خلق الله عز وجل للإنسان، إذ أن تفسير القرار المكين على أنه مستقر متمكن هو الرحم، وتفسير العلقة على أنها دما جامداً، وتفسير المضغة على أنها قطعة لحم لا شكل فيها ولا تخطيط، هو تفسير ناشئ عن حقائق علمية أثبتها الطب الحديث.

ويظهر التفسير العلمي في صفوة التفاسير من خلال تفسير الصابوني لقول الله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ)[4]، قال الصابوني: "(ألم تر أن الله يزجي سحابا): أي يسوق بقدرته السحاب إلى حيث يشاء، (ثم يؤلف بينه): أي يجمعه بعد تفرقه، (ثم يجعله ركاما): أي يجعله كثيفا متراكما بعضه فوق بعض، (فترى الودق يخرج من خلاله): أي فترى المطر يخرج

---

[1] – هذا القول ليس لابن عباس، وإنما هو قول مجاهد وقتادة، وإنما يرى ابن عباس أنها بمعنى: من صفوة الماء، انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 241/3.

[2] – انظر، الرازي: **التفسير الكبير**، 75/23.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 230/2.

[4] – سورة النور، الآية 43.

من بين السحاب الكثيف، (وينزل من السماء من جبال فيها من برد): أي وينزل من السحاب الذي هو كأمثال الجبال بردا"[1].

وهذا أيضا تفسير علمي للآية، إذ أن مسألة التكاثف، والتراكم، ونزول المطر من السحاب المشبع الكثيف فقط، وكون البرد في السماء كأمثال الجبال فعلا، لا مثالا على الكثرة كما كانت تفسّر، هذه كلها أمور علمية، أفسر عنها العلم الحديث.

وقد رد الصابوني في تفسيره على بعض الأمور العلمية التي كانت شائعة في الماضي، وكانت آيات الله عز وجل تفسر وفقها، ثم أنبأ العلم الحديث عن خطئها، بل وأثبت عكسها، وكان الاكتشاف الجديد أدق لتفسير الآيات، وأنسب لكتاب الله عز وجل.

فمن ذلك تفسير الصابوني لقول الله عز وجل: (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُّسَمًّى)[2]، فقد ردّ الصابوني على كل من قال بأن الشمس والقمر ثابتين لا يتحركن، فقال: "كان المظنون أن الشمس ثابتة في موضعها، ولكن أثبت العلم الحديث أنها تجري في اتجاه واحد في الفضاء الكوني الهائل، بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلا في الثانية، والله الخبير العليم يخبر بسيرها وجريانها: (وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا)[3]، وحين نتصور أن حجم هذه الشمس يبلغ مليون ضعف حجم أرضنا هذه، وأن هذه الكتلة الهائلة تتحرك وتجري في الفضاء، لا يسندها شيء إلا هو، ندرك طرفا من صفة القدرة التي تصرف هذا الوجود عن قوة وعن علم"[4].

ولما بلغ قوله تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)، قال: "والدوران بانتظام، وبحساب دقيق، هو تقدير الإله العزيز في ملكه، العليم بخلقه"[5].

ويستمر الصابوني في حديثه عن القمر ومنازله، وذلك في خضم تفسيره لقول الله عز وجل: (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرجُونِ الْقَدِيمِ)[6]، قال الصابوني: "أي والقمر قدرنا مسيره

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 257/2-258.

[2] – سورة فاطر، الآية 13.

[3] – سورة يس، الآية 38.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 73/3.

[5] – المصدر السابق، 90/3.

[6] – سورة يس، الآية 39.

في منازل، يسير فيها لمعرفة الشهور، وهي ثمانية وعشرون منزلا في ثمانية وعشرين ليلة، ينزل كل ليلة في واحد منها، لا يتخطاها ولا يتعداها، فإذا كان في آخر منازله دق واستقوس"[1].

والآيات العلمية في تفسير الله عز وجل كثيرة، وتجليتها في صفوة التفاسير هو أيضا كذلك، فالحق نقول: إن الصابوني لم يترك علما تحدث فيه القرآن الكريم إلا وتحدث فيه، من غير إسهاب أو تفصيل، بل بما يتوافق ومنهجه في الاختصار.

المطلب السادس: مدى اعتماده على التفسير بالرأي

اهتم الصابوني في تفسيره بالتفسير بالرأي المحمود، وبخاصة في الآيات ظنية الدلالة التي يدخل فيها الاحتمال، فكل ما تطرّق إليه الاحتمال كان لعقل الصابوني فيه رأي؛ لأن توجيه الخطاب إلى أحد المحتملات دون غيره إنما هو برأيٍ من المفسر.

والصابوني وإن اعتمد على التفسير بالرأي، إلا انه كان يوازن بينه وبين المأثور، وكان يعمل عقله في ضوء العلوم الأساسية التي لابد للمفسر من الإلمام بها، والتي عدها الزرقاني فقال: "وقد بين العلماء أنواع العلوم التي يجب توافرها في المفسر فقالوا هي اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة وعلم أصول الفقه وعلم التوحيد ومعرفة أسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والأحاديث المبينة للمجمل والمبهم وعلم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ولا يناله من في قلبه بدعة أو كبر أو حب دنيا أو ميل إلى المعاصي"[2].

فمن ذلك تفسير الصابوني لمعنى القدرة في قول الله عز وجل: (فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ)[3]، قال الصابوني: "أي ظن يونس ان لن نضيق عليه بالعقوبة، كقوله تعالى: (وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ)[4]: أي ضيق عليه فيه، فهو من القَدر بمعنى التضييق لا من القدرة، قال الإمام الفخر[5]: من ظن عجز الله فهو كافر، ولا خلاف أنه لا يجوز نسبة ذلك الى آحاد المؤمنين، فكيف الى الأنبياء عليهم السلام، روي أن ابن عباس دخل على معاوية، فقال له معاوية: لقد ضربتني أمواج القرآن

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 90/3.

[2] – الزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 38/2.

[3] – سورة الأنبياء، الآية 87.

[4] – سورة الطلاق، الآية 7.

[5] – انظر، الرازي: **التفسير الكبير**، 136/22

البارحة فغرقت فيها، فلم أجد لي خلاصا إلا بك، فقال: وما هي؟ قال: يظن نبي الله (يونس) أن لن يقدر الله عليه؟ فقال ابن عباس: هذا من القدر لا من القدرة، أي ظن أن لن نؤاخذه، ولن نضيق عليه"[1].

فالصابوني رجح قولا على آخر من خلال الآيات القرآنية الأخرى، وأقوال الصحابة متمثلة بقول ابن عباس، مع مراعاة المسلمات الشرعية، متمثلة بعصمة الأنبياء، مع مراعاة اللغة، وهذه موازنة لابد لأي مفسر أن يهتم بها.

إن تفسير الصابوني من أهم كتب التفسير بالرأي، غير أنه رأي محمود، لاعتماده على تفسير السلف، وعدم خروجه عن أقوالهم، مع اعتماده على المصادر الأخرى في التفسير، كما أن تفسيره من أهم كتب التفسير المأثور عن السلف، وفَرْقٌ بين أن نقول: فيه تفسير مأثور، أو أن نقول: هو تفسير بالمأثور، لأن هذه العبارة تدل على أنه لا يذكر غير المأثور عن السلف، وتفسير الصابوني بخلاف ذلك، إذ هو مع ذكر أقوالهم يرجِّح ويعلِّل لترجيحه، ويعتمد على مصادر التفسير في الترجيح.

ومن ذلك تفسيره لمعنى السحر المستمر في قول الله عز وجل: (وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ)[2]، فقد فسّرها في ضوء القرآن والسنة، وأقوال الصحابة والأئمة والعلماء، مع مراعاة اللغة، وصيغة الخطاب، فقال في تفسيرها: أي ويقولوا هذا سحر دائم، سحر به محمد أعيننا، قال المفسرون: إن كفار مكة قالوا للرسول (صلى الله عليه وسلم): إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين، ووعدوه بالإيمان إن فعل، وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ربه أن يعطيه ما طلبوا، فانشق القمر، نصف على جبل الصفا، ونصف على جبل قيقعان المقابل له، حتى رأوا حراء بينهما، فقالوا: سحرنا محمد، ثم قالوا: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم !! فقال أبو جهل: اصبروا حتى تأتينا أهل البوادي، فإن أخبروا بانشقاقه فهو صحيح، وإلا فقد سحر محمد أعيننا، فجاءوا فأخبروا بانشقاق القمر فقال أبو جهل والمشركون: هذا سحر مستمر أي دائم، فأنزل الله: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ، وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ)، وهذا قول جمهور المفسرين، وهو مروي عن ابن عباس وأنس وابن عمر، وذهب

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 207/2.

[2] – سورة القمر، الآية 2.

بعضهم إلى أن القمر سينشق يوم القيامة قال ابن الجوزي[1]: وهو قول شاذ لا يقاوم الإجماع، لأنه جاء بلفظ الماضي (وانشق القمر)، فهو أمر حدث ووقع، قال الخازن[2]: وانشقاق القمر من آيات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الظاهرة، ومعجزاته الباهرة، يدل عليه ما أخرجه الشيخان عن أنس: **(أن أهل مكة سألوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين)**[3]، وما روي عن ابن مسعود قال: **(انشق القمر على عهد رسول الله شقتين فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): اشهدوا)**[4]، وما روي عن جبير بن مطعم قال: **(انشق القمر على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فصار فرقتين، فقالت قريش: سحر محمد أعيننا فقال بعضهم: لئن كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بأنهم قد رأوه فيكذبونهم)**[5]، فهذه الأحاديث الصحيحة، قد وردت بهذه (المعجزة العظيمة)، مع شهادة القرآن العظيم بذلك، فإنه أدل دليل وأقوى مثبت له، وإمكانه لا يشك فيه مؤمن، وأما القول في تفسير الآية، بأن القمر سينشق يوم القيامة، فهذا قول باطل لا يصح، وشاذ لا يثبت، لإجماع المفسرين على خلافه، ولأن الله ذكره بلفظ الماضي (وانشق القمر)، وحمل الماضي على المستقبل بعيد[6].

فهذه الموازنة هي عين التفسير بالرأي المحمود، وهي مقصود النبي صلى الله عليه وسلم من دعائه لابن عباس، حين قال له: **(اللهم فقهْ في الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ)**[7]، وهي مقصود عمر بن الخطاب رضي الله عنه للقاضي شريح عندما بعثه قاضيا على الكوفة، فقال له: "انظر ما تبين لك

---

[1] – انظر، ابن الجوزي: **زاد المسير**، 88/8.

[2] – انظر، الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي: **لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)**، (لبنان، بيروت، دار الفكر، 1399هـ – 1979م)، 272/6.

[3] – أخرجه البخاري: **صحيح البخاري**، حديث رقم 2438، 1331/3، ومسلم: **صحيح مسلم**، حديث رقم 2802، 2159/4.

[4] – أخرجه البخاري: **صحيح البخاري**، بَاب سُؤَالِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُرِيَهُمْ النبي صلى الله عليه وسلم آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ، حديث رقم 3437، 1330/3، ومسلم: **صحيح مسلم**، بَاب انْشِقَاقِ الْقَمَرِ، حديث رقم 2800، 2815/4.

[5] – أخرجه الإمام أحمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم 16796، 81/4، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، له أصل في "الصحيحين".

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 279/3، بتصرُّف.

[7] – رواه الإمام أحمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم 3033، 328/1، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

في كتاب الله فلا تسألن عنه أحدا، وما لم يتبين لك في كتاب الله فاتبع فيه السنة، وما لم يتبين لك في السنة فاجتهد فيه رأيك"[1].

وأما الدور الأكبر في صفوة التفاسير، والذي كان للصابوني فيه إشراقات نيِّرة أعمل فيها عقله، وسطَّر فيها رأيه؛ ما حواه التفسير من إشراقات تربوية، ولفتات مُلتهَمة من حسن فهمه للآيات، فمن ذلك ما استخلصه من قول الله عز وجل: (ومن يُرِدْ فيه بإلحاد بظلم نُذِقْهُ من عذاب أليم)[2]، فقال عندها: "لم يؤاخذ الله تعالى أحدا من خلقه على الهم بالمعصية، إلا في المسجد الحرام (ومن يُرِدْ فيه بإلحاد بظلم نُذِقْهُ من عذاب أليم)؛ لأنه المكان المقدس الذي يجب أن يكون فيه الإنسان نقي القلب، طاهر النفس، صافي السريرة، خالصا بكليته لله، فمن ينتهك حرمة الملك في حماه؛ جدير بالجحيم والعذاب الأليم"[3].

ومن أنواع التفسير بالرأي في تفسير الصابوني، ما تضمنه الكتاب من الجمع بين الآيات التي ظاهرها التعارض، فكان يوفق بين الآيات، ويدفع التعارض، فمن ذلك دفع التعارض بين الآيات التي تبين مقدار يوم القيامة، في قول الله عز وجل: (فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)[4]، وفي قوله تعالى: (فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ)[5]، فقال: "(فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ): أي في يوم طوله خمسون ألف سنة من سني الدنيا، قال ابن عباس[6]: هو يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة، ثم يدخلون النار للاستقرار، قال المفسرون: والجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في سورة السجدة: (فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ)، أن القيامة مواقف ومواطن، فيها خمسون موطنا، كل موطن ألف سنة، وأن هذه المدة الطويلة تخف على المؤمن، حتى تكون أخف عليه من صلاة مكتوبة، فقد أخرج الإمام احمد عن أبي سعيد الخدري قال: قيل يا رسول الله ما أطول هذا اليوم؟ فقال (صلى الله عليه وسلم): **(والذي نفسي بيده إنه ليخفف على**

---

[1] – البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين: **سنن البيهقي الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، 1414هـ – 1994م)، حديث رقم 20099، 110/10.

[2] – سورة الحج، الآية 25.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 220/2.

[4] – سورة المعارج، الآية 4.

[5] – سورة السجدة، الآية 5.

[6] – انظر، ابن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**، 3373/10.

المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا)[1]، والصحيح الراجح من الأقوال، أن آية الألف تتحدث عن **(اليوم الإلهي)**، فاليوم عند الله كألف سنة عندنا، وآية الخمسين ألفا تتحدث عن **(يوم القيامة)** فلا تعارض بين الآيتين"[2].

والأمثلة على التفسير بالرأي في صفوة التفاسير كثيرة، وهي أكثر من أن نحصيها، فهي في كل المجالات، فكان له رأي في اللغة، ورأي في الفقه، ورأي في الأمور الفكرية والتربوية، ورأي في السياسة الشرعية، وغير ذلك من العلوم المنبثقة عن كتاب الله عز وجل، وللعقل دور في توجيهها.

[1] – أخرجه الإمام أحمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم 11735، 75/3.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 399/3.

الفصل الرابع

العلوم التي شملها التفسير

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: علوم القرآن الكريم

المبحث الثاني: العلوم اللغوية والنحوية والبلاغية في صفوة التفاسير

المبحث الأول: علـوم القــرآن الكــريم

صفوة التفاسير كان مستودعا لعلوم القرآن الكريم، وميدانا للتطبيق العملي لتلك العلوم، فلم يترك الصابوني علما من علوم القرآن إلا وذكره في تفسيره، ولم يترك آية فيها من تلك العلوم شيء إلا وتطرق له، ومن العلوم التي برزت في صفوة التفاسير ما يلي:

المطلب الأول: أسباب النزول

سبق وأن تحدثنا بإيجاز عن أسباب النزول، وعن مدى اهتمام الصابوني بها في تفسيره، والآن نتحدث بالتفصيل عن ذلك بعون الله.

المسألة الأولى: المقصود بأسباب النزول

سبب النزول: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، والمعنى أن حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، أو سؤال وجه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، أو بجواب هذا السؤال سواء أكانت تلك الحادثة خصومة دبت، أم كانت تلك الحادثة خطأ فاحشا ارتكب، أم كانت تلك الحادثة تمنيا من التمنيات ورغبة من الرغبات[1].

وينبغي الإشارة هنا إلى أن أسباب النزول هي ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد البعثة، أما الاحداث التي تحدثت عن عهود الأنبياء عليهم السلام، أو قبل بعثته صلى الله عليه وسلم كحادثة الفيل، وأصحاب الكهف، وأصحاب مدين، وأصحاب القرية، فلا تعد من أسباب النزول[2].

المسألة الثانية: فوائد معرفة أسباب النزول

تكمن أهمية معرفة أسباب النزول في قول ابن عباس رضي الله عنه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد روى إبراهيم التيمي قال: "خلا عمر رضى الله عنه ذات يوم، فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد؟ فأرسل إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال:

---

[1] – انظر، الزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 1/76-77.

[2] – انظر، فضل عباس: **إتقان البرهان في علوم القرآن**، 1/310.

كيف تختلف هذه الأمة؛ ونبيها واحد، وقبلتها واحدة، وكتابها واحد؟ قال: فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيما أنزل، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن ولا يدرون فيما نزل، فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان كذلك اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا، قال: فزجره عمر وانتهره علي، فانصرف ابن عباس رضي الله عنه، ونظر عمر فيما قال فعرفه، فأرسل إليه وقال: أعد علي ما قلته، فأعاد عليه فعرف عمر قوله وأعجبه"[1]

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في تعقبه على قول ابن عباس رضي الله عنه: "وما قاله ابن عباس رضى الله عنهما هو الحق؛ فإنه إذا عرف الرجل فيما نزلت الآية أو السورة؛ عرف مخرجها وتأويلها وما قصد بها؛ فلم يتعدّ ذلك فيها، وإذا جهل فيما أنزلت؛ احتمل النظر فيها أوجها، فذهب كل إنسان مذهبا لا يذهب إليه الآخر، وليس عندهم من الرسوخ في العلم ما يهديهم إلى الصواب، أو يقف بهم دون اقتحام حمى المشكلات، فلم يكن بد من الأخذ ببادي الرأي أو التأويل بالتخرص الذي لا يغنى من الحق شيئا، إذ لا دليل عليه من الشريعة فضلوا وأضلوا"[2].

ويمكن إجمال فوائد معرفة أسباب النزول في الآتي[3]

الفائدة الأولى: تجلية حكمة التشريع وتوضيحها: ذلك أن حكمة التشريع وإن كانت تعرف من العمل بما في الآيات الكريمة من أحكام، لكن معرفة السبب تجلّي هذه الحكمة، قال السيوطي في حديثه عن فوائد معرفة أسباب النزول: "معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم"[4].

الفائدة الثانية: فهم الآية وإزالة ما يبدو من إشكال في الظاهر عند بعض الناس: من أجل ذلك نصّ كثير من الأئمة على أن معرفة سبب النزول يعين كثيرا على فهم الآية فهما صحيحا، وأن بعض الآيات لا يمكن فهمها إلا إذا علم السبب الذي نزلت من أجله، قال الإمام القنوجي:

---

[1] – الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي: **الاعتصام**، (مصر، المكتبة التجارية الكبرى)، 183/2.

[2] – المصدر السابق، 183/2.

[3] – انظر: فضل عباس: **اتقان البرهان في علوم القرآن**، 313/1-327.

[4] – السيوطي: **الاتقان في علوم القرآن**، 87/1.

"ومن فوائده ـ أي معرفة أسباب النزول ـ فهم معنى القرآن، واستنباط الاحكام، إذ ربما لا يمكن معرفة تفسير الآية بدون الوقوف على سبب نزولها"[1].

الفائدة الثالثة: امتناع خروج صورة السبب من النص العام اجتهادا: فهو وإن كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، إلا أن الآيات تبقى تدور في فلك السبب الذي نزلت من أجله، قال السيوطي: "إن اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع"[2].

المسألة الثالثة: موقف الصابوني من أسباب النزول

اهتم الصابوني في تفسيره بذكر أسباب نزول الآيات، بل وعنون لذلك عنوانا، وسطر ذلك في منهجه الذي دونه في مقدمة تفسيره، وتظهر براعة الصابوني في هذا الفن أنه لم يكن يفسر الآيات حتى يضع القارئ على سبب نزول الآيات، ثم يفسر الآيات في ضوء أسباب النزول.

فمن ذلك أنه عند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)[3]: ذكر في سبب نزولها: "**عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: مر الملأ من قريش على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعنده (صهيب، وخباب، وبلال، وعمار) وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا يا محمد! أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أفنحن نكون تبعا لهم؟ أهؤلاء الذين مَنَّ الله عليهم؟ اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم اتبعناك، فأنزل الله تعالى: (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)**[4]"[5]، ثم لما شرع في تفسيرها قال: "أي لا تطرد هؤلاء المؤمنين الضعفاء من مجلسك يا محمد؛ الذين يعبدون ربهم دوما في الصباح والمساء، يلتمسون بذلك القرب من الله، والدنو من رضاه، قال الطبري[6]: نزلت الآية بسبب جماعة من ضعفاء المسلمين، قال المشركون لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): لو طردت هؤلاء عنك

---

[1] – القنوجي، صديق بن حسن: **أبجد العلوم (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم)**، تحقيق: عبد الجبار زكار، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1978م)، 53/2.

[2] – السيوطي: **الاتقان في علوم القرآن**، 87/1.

[3] – سورة الأنعام، الآية 52.

[4] – أخرجه الطبري: **تفسير الطبري**، 200/7.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 256/1.

[6] – انظر، الطبري: **تفسير الطبري**، 200/7.

لغشيناك وحضرنا مجلسك، وأراد النبي ذلك طمعا في إسلامهم"[1]، فهذا تفسير في ضور سبب النزول.

ومما برع فيه الصابوني في ذكره روايات أسباب النزول؛ أنه إذا كان للآية أكثر من سبب نزول؛ فإنه كثيرا ما يعدل عن الروايات الضعيفة التي تروى على أنها سبب نزول للآية، ويذكر الرواية الصحيحة، فمن ذلك أنه عند تفسيره لقول الله عز وجل: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِى قُرْبَى)[2]، ذكر في سبب نزولها: "**لما حضرت أبا طالب الوفاة؛ دخل عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال: أي عم قل "لا إله إلا الله" كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وابن أبى أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول "لا إله إلا الله" فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أما والله لاستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله عز وجل** (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِى قُرْبَى)، **ونزلت:** (إِنَّكَ لاَ تَهْدِيْ مَنْ أَحْبَبْت)[3]*"[4]، فالصابوني ذكر هذه الرواية فقط في سبب نزول الآية، وعدل عن الرواية الثانية الضعيفة، التي يرويها الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "**خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر في المقابر وخرجنا معه، فأمرنا فجلسنا ثم تخطا القبور حتى انتهى إلى قبر منها، فناجاه طويلا ثم ارتفع نحيب رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا فبكينا لبكائه، ثم أقبل إلينا فتلقاه عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله ما الذي أبكاك فقد أبكانا وأفزعنا، فجاء فجلس إلينا فقال: أفزعكم بكائي؟ فقلنا: نعم يا رسول الله فقال: إن القبر الذي رأيتموني أناجي فيه قبر أمي آمنة بنت وهب، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فيه، فاستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ونزل علي:** (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 258/1.

[2] – سورة التوبة، الآية 113.

[3] – سورة القصص، الآية 56.

*– أخرجه البخاري: **صحيح البخاري**، بَاب إذا قال الْمُشْرِكُ عِنْدَ الْمَوْتِ لَا إِلَهَ إلا الله، حديث رقم 1294، 457/1، ومسلم: **صحيح مسلم**، بَاب الدَّلِيلِ على صِحَّةِ إِسْلَامِ من حَضَرَهُ الْمَوْتُ ما لم يَشْرَعْ في النَّزْعِ وهو الْغَرْغَرَةُ، حديث رقم 24، 54/1.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 377/1.

وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِى قُرْبَى) **حتى ختم الآية** (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)، **فأخذني ما يأخذ الولد لوالده من الرقة فذلك الذي أبكاني**"[1].

فهذه الرواية ضعيفة، قال فيها الألباني: "في الحديث نكارة ظاهرة، وهي نزول الآيتين: (مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ...) إلى آخرهما في زيارته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقبر أمه! والمحفوظ أنهما نزلتا في موت عمه أبي طالب مشركاً، وفي ذلك أحاديث كثيرة"[2]، وعدول الشيخ الصابوني عن هذه الرواية الضعيفة ـ مع أنها مشهورة على أنها سبب نزول لتلك الآية ـ وذكره الرواية الصحيحة في نزولها فيه براعة من المفسّر؛ إذ أن التزام الصحة في إيراد الروايات كفيل بتنقيح التفسير من الشوائب التي كثرت في كتب التفسير بسبب ضعف الروايات.

وكنا نود لو أن الصابوني التزم الصحة في كل الروايات التي ذكرها في تفسيره على أنها أسباب نزول لبعض الآيات، لكنه أورد كثيرا من الروايات الضعيفة مما قلل من قيمة التفسير بالمأثور في تفسيره، فمن ذلك ما ذكره من سبب نزول لقول الله عز وجل: (لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)[3]، فروى عن ابن عباس: "**أن عبادة بن الصامت ـ وكان بدريا تقيا ـ كان له حلف مع اليهود، فلما خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم الأحزاب قال له عبادة: يا نبي الله إن معي خمسمائة من اليهود، وقد رأيت أن يخرجوا معي فأَسْتَظْهِرُ بهم على العدو، فأنزل الله:** (لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) **الآية**[4]"[5].

وهذه الرواية مردودة لثلاثة أمور:

أولا: أن هذه الرواية ليس لها أصل، فلم تُرو في كتب الحديث، بل تناقلتها كتب التفسير بدون إسناد، ورويت على أنها من رواية الضحاك عن ابن عباس.

ثانيا: هذه الرواية منقطعة الإسناد؛ فهي من طريق الضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، قال ابن حبان: "لقى جماعة من التابعين ولم يشافه أحدا من أصحاب

---

[1] – الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، حديث رقم 3292، 366/2.

[2] – الألباني: **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، حديث رقم 5131، 221/11.

[3] – سورة آل عمران، الآية 28.

[4] – لم أجد لهذه الرواية أصلا في كتب السنة، وقد ذكرها القرطبي في تفسيره منسوبة إلى الضحاك فيما يرويه عن ابن عباس، انظر، القرطبي: **تفسير القرطبي**، 58/4.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 123/1.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن زعم أنه لقى ابن عباس فقد وهم"[1]، وقال ابن عدي: "كان شعبة ينكر أن يكون الضحاك بن مزاحم لقي ابن عباس قط"[2]، وقال الذهبي: "وثقه أحمد وابن معين، وقال عبد الملك بن ميسرة: قلت له: أسمعت من ابن عباس؟ قال: لا، وقال شعبة: كان عندنا ضعيفا"[3].

ثالثا: أنها لا تليق بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وخاصة عبادة بن الصامت وقد كان أحد النقباء بالعقبة، وشهد بدرا، وشهد المشاهد كلها بعد بدر، وهو صاحب المناقب الجمة، والصفات الكثيرة[4].

ومن ذلك ما ذكره الصابوني من سبب نزول لقول الله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ...)[5]، فذكر: "عن ابن عباس أن رجلا من المنافقين يقال له "بشر" كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي: تعال نتحاكم إلى محمد !! فقال المنافق: بل نتحاكم إلى "كعب بن الأشرف" ـ وهو الذي سماه الله الطاغوت ـ فأبي اليهودي أن يخاصمه إلا إلى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) فقضي رسول الله لليهودي على المنافق، فلما خرج من عنده لم يرض المنافق وقال: تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فأتيا عمر فقال اليهودي: كان بيني وبين هذا خصومة فتحاكمنا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه، وزعم أنه يخاصمني إليك !! فقال عمر للمنافق: أكذلك هو؟ فقال نعم، فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما، فدخل عمر فاشتمل عليه سيفه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد ـ أي مات ـ وقال: هكذا أقضي فيمن لم يرض بقضاء الله ورسوله، فنزلت الآية: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل

---

[1] – ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي: **الثقات**، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، (دار الفكر، ط1 – 1395هـ – 1975م)، ترجمة رقم 8683، 480/6.

[2] – ابن عدي، أبو أحمد عبد الله الجرجاني: **الكامل في ضعفاء الرجال**، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، (بيروت، دار الفكر، ط3 – 1409هـ – 1988م)، ترجمة رقم 944، 95/4.

[3] – الذهبي، محمد بن أحمد: **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، تحقيق: محمد عوامة، (جدة، مؤسسة علو، دار القبلة للثقافة والنشر، ط1 – 1912هـ – 1992م)، ترجمة رقم 2437، 509/1.

[4] – انظر، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني: **الاصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت، دار الجليل، ط1 – 1412هـ – 1992م)، ترجمة رقم 4500، 624/3.

[5] – سورة النساء، الآية 60.

إليك) الآية[1]"[2]، فهذه الرواية وإن كانت مشهورة؛ إلا انها موضوعة، فهي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، قال الحاكم: الكلبي يروي عن أبي صالح أحاديث موضوعة[3].

ومن ذلك أيضا ما ذكرناه سابقا من سبب نزول لقوله تعالى: (وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)[4]، وما ذكره الصابوني من أنها نزلت في ثعلبة، وقد سبق تبيين بطلان هذه الرواية[5].

وينبغي الإشارة، أن صفوة التفاسير مليء بالروايات الضعيفة في أسباب النزول، وهذا الأمر عرّض الكتاب للنقد، وسيأتي الكلام عن ذلك في موضعه بإذن الله تعالى.

أما عن موقف الصابوني من أول ما نزل وآخر ما نزل، فإن كان العلماء قد اختلفوا في تحديد اول ما نزل من القرآن الكريم، وآخر ما نزل، إلا ان الصابوني موافق للجمهور في قولهم في ذلك، فعند تفسيره لقول الله عز وجل: (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ)[6]، قال: "أي يا أيها المتغطي بقطيفته يريد النوم والراحة، قم من مضجعك قيام عزم وتصميم، وحذر الناس من عذاب الله إن لم يؤمنوا، خوطب (صلى الله عليه وسلم) بهذا اللفظ "المدثر" مؤانسة له، وتلطفا، كما خوطب بلفظ (المزمل) في السورة السابقة، قال المفسرون: كان (صلى الله عليه وسلم) يتعبد في غار حراء فجاءه جبريل بالآيات الكريمة: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ)[7] الآيات، وهي أول ما نزل عليه من القرآن، فرجع يرجف فؤاده فقال لخديجة: زملوني، زملوني فنزلت (يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ الَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً)[8] الآيات، ثم فتر الوحي فحزن (صلى الله عليه وسلم) فبينما هو يمشي سمع صوتا من السماء، فرفع رأسه

---

[1] – رواها الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري: **الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)**، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، (لبنان ء التراث العربي، ط1 – 1422هـ – 2002م)، 337/3، والبغوي: **تفسير البغوي**، 446/1، والقرطبي: **تفسير القرطبي**، 263/5، والثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: **الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)**، (لبنان، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، 263/5، كلهم من طريق: الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 184/1.

[3] – انظر، ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني: **تهذيب التهذيب**، (بيروت، دار الفكر، ط1 – 1404 هـ – 1984م)، ترجمة رقم 268، 157/9.

[4] – سورة التوبة، الآية 75.

[5] – انظر المطلب الرابع في المبحث الأول من الفصل الأول من هذه الرسالة، ص 40.

[6] – سورة المدثر، الآية 1.

[7] – سورة العلق، الآية 1.

[8] – سورة المزمل، الآية 1.

فإذا الملك الذي جاءه بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فعراه (صلى الله عليه وسلم) من رؤيته الرعب والفزع، فجاء إلى أهله فقال: دثّروني، دثروني فأنزل الله: (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ)"[1].

وعند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)[2]، قال: "وهي آخر ما نزل من القرآن الكريم، وآخر وحي تنزل من السماء إلى الأرض، وبنزول هذه الآية انقطع الوحي، وانتقل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) إلى جوار ربه، بعد أن أدى الرسالة وبلَّغ الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين"[3].

المطلب الثاني: المكي والمدني

اعتنى العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة، فتتبعوا القرآن الكريم سورة سورة، وآية آية ترتيباً يبينون ترتيب نزولها.

المسألة الأولى: المقصود بالمكي والمدني

للعلماء في تعريف المكي والمدني اعتبارات، فمنهم من نظر إلى المكي والمدني باعتبار زمان النزول، ومنهم من نظر إليه باعتبار مكان النزول، ومنهم من نظر إليه باعتبار الخطاب.

فمن نظر إلى زمان النزول: عرّف المكي بأنه ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة فهو مدني[4].

ومن نظر إلى المكان: عرّف المكي بأنه ما نزل من القرآن الكريم في مكة، و المدني ما نزل منه في المدينة[5].

ومن نظر إلى الخطاب: عرّف المكي بأنه ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة[6].

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 424/3.

[2] – سورة البقرة، الآية 281.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 12/1.

[4] – انظر، الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، 187/1، والزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 186/1.

[5] – الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، 187/1، والسيوطي: **الاتقان في علوم القرآن**، 9/1.

[6] – الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، 187/1، والزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 187/1.

الراجح من هذه التعاريف

بعد موازنة الأقوال السابقة، وتطبيقها على آيات القرآن الكريم كاملة، فإن المعنى الأنسب في تعريف المكي والمدني؛ هو المعنى الأول، أي النظر في زمان نزول القرآن الكريم، فما نزل قبل الهجرة فمكي، وما نزل بعد الهجرة فمدني، وهذا التعريف هو رأي الجمهور[1].

والذي يدعو إلى هذا الترجيح؛ أن النظر إلى المكي والمدني باعتبار مكان النزول يُفضي إلى خروج آيات عدة من هذين الوصفين، فقد صح أن ثمة آيات نزلت في غير مكة والمدينة، فسورة التوبة نزلت في تبوك[2]، وسورة الفتح نزلت عقب الحديبية[3]، والنظر إلى المكي والمدني باعتبار الخطاب غير مطرد أيضا، فكثير من الآيات ليس فيها خطاب لأهل مكة، ولا لأهل المدينة، بل إن بعض الآيات كان الخطاب فيها للرسول صلى الله عليه وسلم كسورة الشمس، والضحى، والكوثر، وغيرها، أما الاعتبار الأول؛ فهو اعتبار منطقي، وهو جامع لكل آيات القرآن الكريم، فكل ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، ولو لم ينزل في مكة، وكل ما نزل بعد الهجرة، فهو مدني، ولو لم ينزل في المدينة، فهذا تعريف حاصر وضابط، ولا تخرج عنه آية من آيات القرآن ، خلافاً للقولين الآخرين.

المسألة الثانية: فوائد معرفة المكي والمدني

لمعرفة المكي والمدني فوائد جمة تستدعي الوقوف عليها في مواطن عدة، وبخاصة الأحكام، وما يتصل بالناسخ والمنسوخ، وعبَّر عن ذلك النحاس بقوله: "إنما نذكر ما أنزل بمكة لأن فيه أعظم الفائدة في الناسخ والمنسوخ، لأن الآية إذا كانت مكية، وكان فيها حكم، وكان في غيرها حكم غيره نزل بالمدينة علم أن المدنية نسخت المكية"[4]، حتى أن العلماء من خلال تتبعهم للآيات المكية، وضعوا ضوابط وقواعد في مسألة النسخ، فقالوا: لا يوجد في القرآن الكريم آية مكية منسوخة، وأن الآيات المنسوخة في كتاب الله عز وجل كلها مدنية، وعلى هذا فالنسخ حكم مدني[5].

---

[1] – انظر، فضل عباس: **إتقان البرهان في علوم القرآن**، 380/1 – 381.

[2] – انظر، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال: **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، (بيروت، دار الفكر، 1993م)، 122/4.

[3] – انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 183/4.

[4] – النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي: **الناسخ والمنسوخ**، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، (الكويت، مكتبة الفلاح، ط1 – 1408هـ)، ص214.

[5] – انظر، فضل عباس، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، 382/1.

إن معرفة المكي والمدني، يعين على تتبُّع مراحل الدعوة، والكشف عن خصائصها، والوقوف على السياسة الحِكَمية التي سلكها القرآن الكريم في تربية هذا الإنسان، هذه السياسة التي تقوم على التدرج في الأحكام والتكاليف، وعلى البداية بالأولويات التي تتلاءم مع ما تقتضيه التربية الحكيمة[1].

فيمكن الاستعانة بهذا العلم في تفسير القرآن الكريم وفهم معانيه، إذا ما عرفنا أن هذه الآيات مكية أو مدنية، فيمكن فهم الظروف التي أحاطت بالمسلمين وقت نزول تلك الآيات، وبناء على ذلك يمكن فهم الآيات.

المسألة الثالثة: اهتمام الصابوني بهذا العلم

اهتم الصابوني في تفسيره ببيان المكي والمدني من السور والآيات، فلم تخل سورة إلا وذكر في تقديمه لها مكيتها أو مدنيتها، وإذا حوت السورة المكية بعض آيات مدنية فكان يبين ذلك، وقد ذكرنا ذلك سابقا، وضربنا عليه الأمثلة من تفسير الصابوني.

والأمر الذي برز في صفوة التفاسير؛ أن الصابوني كان يستعين بهذا العلم في ذكره للأغراض التي تناولتها السور، فكان يذكر ما تحدثت عنه السورة، ثم يربط ذلك بخصائص السور المكية أو المدنية، فمن ذلك تقديمه لسورة البقرة، قال: "سورة البقرة أطول سور القرآن على الإطلاق، وهي من السور المدنية التي تُعنى بجانب التشريع، شأنها كشأن سائر السور المدنية، التي تعالج النظم والقوانين التشريعية، التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم الاجتماعية"[2].

وعند تقديمه لسورة الأنعام قال: "نجد الحديث في هذه السورة مستفيضا يدور بشدة حول هذه الأصول الأساسية للدعوة الاسلامية، ونجد سلاحها في ذلك الحجة الدامغة، والدلائل الباهرة، والبرهان القاطع في طريق الإلزام والاقناع؛ لأن السورة نزلت في مكة على قوم مشركين"[3]، فهو ربط بين مضامين السورة، وبين خصائص السور المكية.

وفي حديثه عن سورة الأعراف قال: "سورة الأعراف من أطول السور المكية، وهي أول سورة عرضت للتفصيل في قصص الأنبياء، ومهمتها كمهمة السور المكية، تقرير أصول الدعوة

---

[1] – انظر، المصدر السابق، 381/1.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 12/1.

[3] – المصدر السابق، 247/1.

الإسلامية من توحيد الله جل وعلا، وتقرير البعث والجزاء، وتقرير الوحي والرسالة، فعرضت السورة الكريمة في بدء آياتها للقرآن العظيم "معجزة محمد" الخالدة، وقررت أن هذا القرآن نعمة من الرحمن على الإنسانية جمعاء، فعليهم أن يستمسكوا بتوجيهاته وإرشاداته، ليفوزوا بسعادة الدارين"[1].

وعند تقديمه لسور محمد قال: "سورة محمد من السور المدنية، وهي تعنى بالأحكام التشريعية، شأن سائر السور المدنية"[2].

فالصابوني بهذا العمل يقعِّد قواعد عامة في محتويات وخصائص السور المكية، والسور المدنية، وهو بذلك العمل يجعل من تفسيره ميدانا عمليا لما ذكره العلماء من ضوابط تعين على معرفة السور المكية والمدنية، لكن الصابوني في هذا المجال لم يتطرق إلى الخلاف الذي وقع بين العلماء في بعض السور أهي مكية أم مدنية، بل كان يرجّح ما يراه في السورة، فمن ذلك حديثه عن سورة الكوثر، فهذه السورة اختلف العلماء اختلافا كثيرا فيها، نظرا لتعدد الروايات في سبب نزولها، ونظرا لاختلافهم في معاني مفرداتها (كالكوثر، والأبتر)[3]، إلا أن الصابوني قال فيها: "سورة الكوثر مكية، وقد تحدثت عن فضل الله العظيم على نبيه الكريم، بإعطائه الخير الكثير، والنعم العظيمة في الدنيا والآخرة"[4]، فهو لم يتعدّ القول بمكيتها، ثم بين محتواها ليؤكد على أن محتوى السورة موافق لخصائص السور المكية.

المطلب الثالث: الناسخ والمنسوخ

إن أول ما ينبغي لمن أحب أن يتعلم شيئا من القرآن العظيم الابتداء في علم الناسخ والمنسوخ، اتباعا لما جاء من أئمة السلف رضي الله عنهم أجمعين، لأن كل من تكلم في شيء من القرآن الكريم، ولم يعلم الناسخ والمنسوخ كان كلامه ناقصا، فقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنه دخل يوما مسجد الجامع بالكوفة، فرأى فيه رجلا يعرف بعبد الرحمن بن داب، وكان صاحبا لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وقد تحلق عليه الناس يسألونه، وهو

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 287/1.

[2] – المصدر السابق، 222/3.

[3] – انظر، فضل عباس: **اتقان البرهان في علوم القرآن**، 407/1 – 409.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 529/3.

يخلط الأمر بالنهي، والإباحة بالحظر، فقال له علي رضي الله: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت[1].

وقال حذيفة بن اليمان: لا يقصن على الناس إلا ثلاثة: أمير، أو مأمور، ورجل عرف الناسخ والمنسوخ، والرابع: متكلف أحمق[2].

فعلم الناسخ والمنسوخ من أهل العلوم التي شغلت العلماء قديما وحديثا، وهي العلوم الأساسية التي لابد لأي مفسر من الإلمام به قبل تفسير آية من كتاب الله عز وجل، قال القرطبي: "معرفة هذا الباب ـ أي النسخ ـ أكيدة وفائدته عظيمة، لا يستغني عن معرفته العلماء، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء، لما يترتب عليه من النوازل في الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام"[3].

المسألة الأولى: تعريف النسخ

أولا: التعريف اللغوي

تدور المعاني اللغوية للنسخ حول معان ثلاثة:

أولا: النسخ بمعنى الإزالة: قال الراغب الأصفهاني: "النسخ إزالة شيء بشيء يتعقبه كنسخ الشمس الظل، والظل الشمس، والشيب الشباب. فتارة يفهم منه الإزالة وتارة يفهم منه الإثبات، وتارة يفهم منه الأمران"[4].

ثانيا: النسخ بمعنى الإبطال: قال ابن منظور: " النسخ: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه"[5].

ثالثا: النسخ بمعنى الرفع: قال المناوي: "نسخ الكتاب نقل صورته المجردة إلى كتاب آخر وذلك لا يقتضي إزالة الصورة الأولى بل إثبات مثلها في مادة أخرى"[6].

---

[1] – نكري، القاضي عبد النبي الأحمد: **دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، تحقيق: حسن هاني فحص، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1421هـ – 2000م)، 247/3.

[2] – المقري، هبة الله بن سلامة بن نصر: **الناسخ والمنسوخ**، تحقيق: زهير شاويش، ومحمد كنعان، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط1 – 1404هـ)، 19/1.

[3] – القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، 300/2.

[4] – الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (لبنان، دار المعرفة)، 490/1.

[5] – ابن منظور: **لسان العرب**، 61/3.

[6] – المناوي، محمد عبد الرؤوف: **التوقيف على مهمات التعاريف (التعاريف)**، تحقيق: محمد رضوان الداية، (لبنان، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط1 – 1410هـ)، 697/1.

فالنسخ في اللغة يدور حول هذه المعاني، وهو حقيقة على المعنى الأول، ومجازا على المعنى الثاني والثالث[1].

ثانيا: التعريف الاصطلاحي

تعددت اصطلاحات العلماء في تعريفهم بهذا العلم، إلا أن حاصل قولهم في التعريف الاصطلاحي للنسخ، أنه: "رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر"[2].

فالدليل المتأخر هو الناسخ، والحكم المرفوع هو المنسوخ، قال ابن جوزي: "الناسخ: هو المخالف للمنسوخ من جميع جهاته، الرافع له المزيل حكمه"[3].

المسألة الثانية: أنواع النسخ في القرآن الكريم

لنسخ في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه[4]

أولا: نسخ الحكم مع بقاء التلاوة: وهذا النوع كثير في كتاب الله عز وجل، فمن ذلك آية الوصية للوالدين والأقربين: هي قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)[5]، وكالعدة حول في قول الله تعالى: (وَالَّذِين يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لازْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ)[6]، وهذه الآية منسوخة بالآية: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)[7].

---

[1] – النحاس: **الناسخ والمنسوخ**، 72/1.

[2] – الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: **إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول**، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب، (بيروت، دار الفكر، ط1 – 1412هـ – 1992م)، 313/1، وفضل عباس: **اتقان البرهان في علوم القرآن**، 11/2.

[3] – ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: **نواسخ القرآن**، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1405هـ)، 109/1.

[4] – الزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 154/2، وفضل عباس: **اتقان البرهان في علوم القرآن**، 36/2.

[5] – سورة البقرة، الآية 108.

[6] – سورة البقرة، الآية 240.

[7] – سورة البقرة، الآية 234.

ثانيا: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم: فمن ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب.. فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأتها وعقلتها ووعيتها، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل، ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى، فالرجم حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف، وقد قرأتها "**الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البته نكالاً من الله والله عزيز حكيم**"، قال سُفْيَانُ كَذَا حَفِظْتُ ألا وقد رَجَمَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ[1].

ثالثا: نسخ الحكم والتلاوة معا: كآية التحريم بعشر رضعات، نسخت بخمس رضعات كما أخبرت بذلك عائشة رض الله عنها في صحيح مسلم، قالت: "**كان فِيمَا أُنْزِلَ من الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ من الْقُرْآنِ**"[2].

والجمهور على أن النسخ يأتي على ثلاثة أوجه، إلا أن نسخ التلاوة أمر يستوجب منا الوقوف والمكوث عنده مليا، ذلك أن القول بنسخ التلاوة يجر علينا من الشكوك والمطاعن، مالا يليق بديننا ولا بكتاب ربنا تبارك وتعالى، ومن العجب أن هناك جمعا غفيرا لا يحصون قالوا بهذا التقسيم دون أن يعلقوا عليه، يقول الأستاذ الدكتور فضل عباس، في مقدمة حديثه عن موضوع النسخ، بعد أن ذكر أن هناك من أنكر نسخ الحكم وبقاء التلاوة، وهناك من أثبت أنواعا أخرى له، ويقصد التقسيمات الثلاثة الآنفة الذكر، وهذه كلها منزلقات خطيرة، رأى فيها كثيرون من ذوي الأغراض والأهواء فرصة سانحة، وأوقاتا سامحة، ليدخلوا من أبوابها الضيقة المسالك فينالوا من دين الله ما ينالون[3].

---

[1] – أخرجه البخاري: **صحيح البخاري**، حديث رقم 6892، 2670/6.

[2] – رواه مسلم: **صحيح مسلم**، بَاب التَّحْرِيمِ بِخَمْسِ رَضَعَاتٍ، حديث رقم 1452، 1057/2.

[3] – فضل عباس: **اتقان البرهان في علوم القرآن**، 9/2.

المسألة الثالثة: موقف الصابوني من النسخ

موقف الشيخ الصابوني واضح بيّن من النسخ ، فقد اهتم به اهتماما كبيرا ، بل لم تخل آية من نسخ إلا وبيّن ذلك في تفسيره.

وقد عرّف الصابوني النسخ في تفسيره فقال: "النسخ في اللغة: الإبطال والإزالة يقال: نسخت الشمس الظل أي أزالته، وفي الشرع: رفع حكم شرعي وتبديله بحكم آخر"[1].

وتظهر براعة الصابوني في النسخ، وتمكنه منه، أنه كان يربط بعض الآيات بعض، بلفت موضوع النسخ، فمن ذلك حديثه عن مناسبة قول الله عز وجل: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[2]، قال الصابوني: "لما ذكر تعالى قبائح اليهود، وما اختصوا به من ضروب السحر والشعوذة، أعقبه ببيان نوع آخر من السوء والشر، الذين يضمرونه للنبي (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين، من الطعن والحقد والحسد، وتمني زوال النعمة عن المؤمنين، واتخاذهم الشريعة الغراء هدفا للطعن، والتجريح، بسبب النسخ لبعض الأحكام الشرعية"[3].

بل إن الصابوني كان يستدل على النسخ من بعض الآيات التي يفسرها، أو بعض اللفتات التي يبرقها، فمن ذلك حديثه عند قول الله عز وجل: (وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ)[4]، قال الصابوني: الجملة اعتراضية (والله أعلم بما ينزل) لبيان الحكمة الإلهية في النسخ"[5].

وعند تفسيره لقول الله عز وجل: (فَأَقِيمُواْ الصَّلواةَ وَءَاتُواْ الزَّكَواةَ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[6]، قال الصابوني: " قال المفسرون: نسخ الله ذلك تخفيفا على العباد، حتى قال ابن عباس[7]: ما كان ذلك إلا ساعة من نهار ثم نسخ، قال القرطبي[8]: نسخت فرضية الزكاة هذه الصدقة، وهذا يدل على جواز النسخ قبل الفعل"[9].

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 50/1.

[2] – سورة البقرة، الآية 104.

[3] – الصابوني: **صفوة التفسير**، 50/1.

[4] – سورة النحل، الآية 101.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 120/2.

[6] – سورة المجادلة، الآية 13.

[7] – انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 327/4.

[8] – انظر، القرطبي: **تفسير القرطبي**، 302/17.

[9] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 325/3.

أما عن تطبيق الصابوني للنسخ في تفسيره، فكان واضحا أشد وضوح، فكان يذكر عند كل آية منسوخة أنها منسوخة، وكان يذكر الآية الناسخة، أو الحكم الناسخ، بل إنه كان يذكر في تقديمه لبعض السور وجود النسخ فيها أو عدمه، كما قدّم لسورة المائدة فقال: "المائدة من آخر ما نزل من القرآن، ليس فيها منسوخ، وفيها ثمان عشرة فريضة"[1].

لكن الصابوني وإن أثبت نظريا أن سورة المائدة ليس فيها منسوخ، إلا أنه أثبت ذلك من خلال تطبيقه لآيات السورة، فعند تفسيره لقول الله عز وجل: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[2]، قال الصابوني: "أي لا تعاقبهم واصفح عمن أساء منهم، وهذا منسوخ بآية السيف والجزية كما قال الجمهور"[3]، وهذا تناقض منه لما قرّره سابقا.

وأما تطبيقه على الآيات المنسوخة في تفسيره فهو كثير، وتفصيل ذلك في الآتي:

أولا: موقف الصابوني من النوع الأول من النسخ (نسخ الحكم مع بقاء التلاوة)

هذا النوع من النسخ مليء في صفوة التفاسير، بل هو أكثر أنواع النسخ تطبيقا في التفسير، فمن ذلك ذكره لسبب نزول قول الله عز وجل: (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)[4]، قال الصابوني: "**لما نزل قوله تعالى:** (وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ)[5]**الآية، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله (صلى اله عليه وسلم) فأتوا رسول الله فقالوا: كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها!! فقال (صلى الله عليه وسلم): أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: (سمعنا وعصينا)؟ قولوا: (سمعنا وأطعنا) فلما قرأها القوم وجرت بها ألسنتهم، أنزل**

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 211/1.

[2] – سورة المائدة، الآية 13.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 217/1.

[4] – سورة البقرة، الآية 286.

[5] – سورة البقرة، الآية 284.

الله تعالى: (ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ)[1] **ونسخها الله تعالى فأنزل:** (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) **الآية**[2]"[3].

ومن ذلك أيضا تفسيره لقول الله عز وجل: (إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُنْ مُّنكُمْ مِّاْئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ)[4]، قال الصابوني: "قال ابن عباس[5]: كان ثبات الواحد للعشرة فرضا، ثم لما شق ذلك عليهم نسخ، وأصبح ثابت الواحد للاثنين فرضا"[6].

ومن هذا الأمر تفسيره لقول الله عز وجل: (وَأُوْلُو الأٌّ رْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُواْ إِلَى أَوْلِيَآئِكُمْ مَّعْرُوفاً)[7]، قال الصابوني: "أي إلا أن تحسنوا إلى إخوانكم المؤمنين والمهاجرين في حياتكم، أو توصوا إليهم عند الموت، فإن ذلك جائز، وبسط اليد بالمعروف مما حث الله عباده عليه، قال المفسرون: وهذا نسخ لما كان في صدر الإسلام من توارث المسلمين من بعضهم بالأخوة الإيمانية وبالهجرة ونحوها"[8].

ثانيا: موقف الصابوني من النوع الثاني (نسخ التلاوة مع بقاء الحكم)

لم يتوان الصابوني في تفسيره عن القول بهذا النوع من النسخ، فقد كان يشير كثيرا إلى هذا النوع، فمن ذلك إشارته إلى آية النسخ عند تفسيره لقول الله عز وجل: (يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ)[9]، قال الصابوني: "الخطاب لليهود والنصارى، أي يا معشر أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم) بالدين الحق،

---

[1] – سورة البقرة، الآية 285.

[2] – رواه مسلم: **صحيح مسلم**، بَاب بَيَانِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يُكَلِّفْ إلا ما يُطَاقُ، حديث رقم 125، 115/1.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 130/1.

[4] – سورة الأنفال، الآية 66.

[5] – انظر، الطبري: **تفسير الطبري**، 39/10.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 343/1.

[7] – سورة الأحزاب، الآية 6.

[8] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 32/3.

[9] – سورة المائدة، الآية 15.

يبين لكم الكثير مما كنتم تكتمونه في كتابكم من الإيمان به، ومن آية الرجم، ومن قصة أصحاب السبت الذين مسخوا قردة، وغير ذلك مما كنتم تخفونه"[1].

وكان الصابوني في كثير من المواضع في تفسيره يؤكد على الرجم، ويثبته في الشرع، من خلال بيان الروايات الدالة على الرجم، ومن خلال الإشارة إلى آية الرجم المنسوخة في كتاب الله عز وجل.

ثالثا: موقف الصابوني من نسخ الشرائع

يظهر حرص الصابوني على هذا العلم، على توسعه في تطبيقه من خلال تفسيره، لدرجة أنه تطرّق إلى الأحكام المنسوخة بين الشرائع، فمن ذلك حديثه عن نسخ الشرائع في قول الله عز وجل: (وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ)[2]، قال الصابوني: "أي ولأحل لكم بعض ما كان محرما عليكم في شريعة موسى، قال ابن كثير[3]: وفيه دليل على أن عيسى نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح"[4].

ومن ذلك ذكره عند تفسيره لقول الله عز وجل: (قَالُواْ جَزاؤُهُ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذالِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ)[5]، قال الصابوني بعد تفسيرها: "وهذا القول منهم هو الحكم في شريعة يعقوب وقد نُسِخ بقطع الأيدي في الشريعة الإسلامية"[6].

رابعا: موقف الصابوني من النوع الثالث (نسخ التلاوة والحكم)

لم نجد من الصابوني إشارة واحدة تدل على أنه يقول بنسخ التلاوة في كتاب الله عز وجل، فهو لم يتحدث عن ذلك في تفسيره، إلا إن الصابوني تحدث عن ذلك في كتبه، بل وانتصر لذلك.

فقد جعل الصابوني في كتابه (تفسير آيات الأحكام) فصلا أسماه (النسخ في القرآن الكريم)، تحدث فيه عن أنواع النسخ الثلاثة، وضرب الأمثلة لكل نوع منها فقال: ينقسم النسخ إلى ثلاثة

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 217/1.

[2] – سورة آل عمران، الآية 50.

[3] – انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 366/1.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 129/1.

[5] – سورة يوسف، الآية 75.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 62/2.

أقسام: الأول: نسخ التلاوة والحكم معاً، والثاني: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، والثالث: نسخ الحكم وبقاء التلاوة...، ثم تحدّث عن النوع الأول فقال: أما الأول: وهو (نسخ التلاوة والحكم) فلا تجوز قراءته، ولا العمل به، لأنه قد نسخ بالكلية فهو كآية التحريم بعشر رضعات..، روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **(كان فيما نزل من القرآن: (عشر رضعاتٍ معلوماتٍ يحرّمن) فنسخن بخمس رضعات معلومات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مما يقرأ من القرآن)**[1]، قال الفخر الرازي[2]: فالجزء الأول منسوخ الحكم والتلاوة، والجزء الثاني، وهو الخمس منسوخ التلاوة باقي الحكم عند الشافعية[3].

وفي كتابه تفسير آيات الأحكام أيضا تطرق لهذا لآية الرجم فقال: "وكأني بالفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي جعل الله الحق على لسانه وقلبه، وقد ألهم أمر هؤلاء الخوارج فكشف نواياهم وأطلع الناس على خبث عقيدتهم فخطب على المنبر وكان فيما قال: إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم يعني بها قوله تعالى: **(الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم)** فقرأناها ووعيناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده وأخشى أن يطول الناس زمان فيقول قائل: لا نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله عز وجل في كتابه، ألا وإنّ الرجم حق على من زنى إذا أحصن من الرجال أو النساء وقامت البينة أو كان حمل أو اعتراف، والله لولا أن يقول الناس زاد في كتاب الله لكتبتها"[4].

ثم تحدث الصابوني في هذا الكتاب أيضا عن حكمة التشريع في النسخ، وذكر الأدلة على جوازه، وفرّق بينه وبين البداء[5]، ورد على النافين لوقوع النسخ في الشرع.

والأمثلة على هذا العلم كثيرة في كتب الصابوني، ولن نناقش الصابوني في رأيه في إثبات النسخ في بعض الآيات، أو نفيه عن أخرى، لكن دورنا هو الكشف عن مدى اهتمام الصابوني بهذا العلم من علوم القرآن الكريم، وبيان موقفه منه، وتطبيقه لذلك في تفسيره.

---

[1] – أخرجه الإمام مسلم: **صحيح مسلم**، بَاب التَّحْرِيمِ بِخَمْسِ رَضَعَاتٍ، حديث رقم 1452، 1075/2.

[2] – انظر، الرازي: **التفسير الكبير**، 209/3.

[3] – انظر، الصابوني، محمد علي: **تفسير آيات الأحكام**، (مصر، دار الصابوني، ط1 – 1428هـ – 2007م)، 73/1.

[4] – المصدر السابق، 16/2.

[5] – البداء: هو ظهور الشيء بعد أن لم يكن به، انظر، المناوي: **التعاريف**، 118/1.

المطلب الرابع: المناسبات بين السور والآيات

سبق الحديث عن تعريف المناسبات[1]، وأنها: "الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"[2].

وتقدم سابقا مدى اهتمام الصابوني بعلم المناسبات، ومدى براعته في هذا الفن، وحان الآن موعد التفصيل في هذا العلم، وتوضيح مدى اهتمام الصابوني بهذا العلم بأنواعه في تفسيره لكتاب الله عز وجل.

المسألة الأولى: أنواع المناسبات في القرآن الكريم

المناسبات هي: بيان وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة[3]، ومن هذا يتضح أن المناسبات في القرآن الكريم ثلاثة أنواع[4]:

النوع الأول: المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة: وهذا من أجمل علم المناسبات، نظرا لتنوع الأغراض التي تتضمنها كل سورة، فلا بد من الربط بين هذه الأغراض، وفَهْم السورة كلها وحدة واحدة، قال ابن العربي: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم"[5].

النوع الثاني: المناسبة بين السور: وهذا أمر مطّرد في كتاب الله عز وجل، قال السيوطي: "إذا اعتبرت افتتاح كل سورة، وجدته في غاية المناسبة لما ختمت به السورة قبله، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى"[6].

---

[1]– انظر المطلب الثاني في المبحث الأول من الفصل الأول، ص 30.

[2] – مسلم، مصطفى: **مباحث في التفسير الموضوعي**، ص58.

[3] – مناع القطان: **مباحث في علوم القرآن**، ص97.

[4] – فضل عباس: **إتقان البرهان في علوم القرآن**، 284/2.

[5] – الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، 36/1.

[6] – السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، 297/3.

النوع الثالث: المناسبة بين مضامين كل سورة ومحورها الرئيس: فكل سورة من سور القرآن ـ خاصة الطوال ـ عرضت أكثر من موضوع، بغية الوصول إلى الموضوع الأهم والرئيس الذي تعرضه كل سورة، وبين هذه المواضيع والموضوع الرئيس ارتباط وثيق.

المسألة الثانية: موقف الصابوني من المناسبات في تفسيره

اهتم الصابوني في تفسيره ببيان الرابط بين الآيات، ووضع عنوانا لذلك تحت كل مقطع من مقاطع السورة، يذكر فيه الارتباط بين الآيات والمواضيع، وهو لا يؤمن إيمانا مطلقا إلا بالمناسبات بين الآيات في السورة الواحدة، أما غير ذلك من المناسبات فهو محض تكلف اتداءا، أما إذا ما علمت المناسبة واتضحت، فهو يأخذ بها[1].

إلا أن الصابوني سار في تطبيقه على غير قناعاته، فهو وإن توسع في المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة، حتى صرف عنوان (المناسبات) الذي سطره في تفسيره إلى هذا النوع؛ إلا أن تفسيره ضم كل أنواع المناسبات، وسوف يتضح ذلك في تفصيلنا فيما يلي:

أولا: موقف الصابوني من النوع الأول (بين آيات السورة الواحدة)

اهتم الصابوني بهذا النوع من المناسبات أكثر من غيره، بل إن هذا النوع قد استحوذ النصيب الأكبر من اهتمام الصابوني بعلم المناسبات، والأمثلة على ذلك كثيرة من صفوة التفاسير، فمن ذلك أنه عند تفسيره لقول الله عز وجل: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ)[2]؛ ربط هذه الآيات بما قبلها وما بعدها، فقال: "لا تزال الآيات تتحدث عن غزة أحد، وفي هذه الآيات الكريمة إشادة بالقيادة الحكيمة، فمع مخالفة بعض الصحابة لأوامر الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقد وسعهم عليه الصلاة والسلام بخلقه الكريم وقلبه الرحيم، ولذلك اجتمعت القلوب حول دعوته، وتوحدت تحت قيادته، والآيات تتحدث عن أخلاق النبوة، وعن المنة العظمى ببعثة الرسول الرحيم والقائد الحكيم، وعن بقية الإحداث الهامة في تلك الغزوة"[3].

---

[1] – قال ذلك لي في زيارتي له في منزله يوم الأربعاء، الموافق: التاسع من جمادي الأولى (5)، من سنة (1434هـ)، العشرين من شهر مارس، من العام (2013م)، في منزله الكائن في حي الإسكان في مكة المكرمة.

[2] – سورة آل عمران، الآية 159.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 153/1.

فالصابوني ربط هذه الآيات بما قبلها في الحديث عن غزوة أحد، وربطها بما بعدها في الحديث عن أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانته عند المسلمين.

ومن هذا النوع أيضا أنه عند تفسيره لقول الله عز وجل: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ)[1]؛ ربط هذه الآيات بما قبلها فقال: "لما أوصى تعالى في الآيات السابقة بالأيتام، وذكر ضمنها حق الأقارب بالإجمال؛ أعقبه بذكر أحكام المواريث بالتفصيل، ليكون ذلك توضيحا لما سبق من الإجمال، ففرض نصيب الأولاد بنين وبنات، ثم ذكر نصيب الآباء والأمهات، ثم نصيب الأزواج والزوجات، ثم نصيب الإخوة والأخوات"[2].

وعند تفسير الصابوني لقول الله عز وجل: (واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِيْ)[3]، قال: "لما ذكر تعالى نعمته على موسى؛ باستجابة دعائه لإعطائه سؤله؛ ذكر هنا ما خصه به من الاصطفاء والاجتباء، وأمره بالذهاب الى فرعون مع أخيه هارون لتبليغه دعوة الله، ثم ذكر ما دار من الحوار بين موسى وفرعون، وما كان من أمر السحرة وسجودهم لله رب العالمين، حيث أسقط في يد فرعون"[4].

ومن هذا النوع أيضا أن الصابوني اهتم ببيان المناسبة بين فاتحة السورة مع خاتمتها، في بيان منه لتناسق الفاتحة والخاتمة في السورة الواحدة، فمن ذلك حديثه عن فاتحة سورة الشورى وخاتمتها، فقال: "تتحدث السورة عن دلائل الإيمان في هذا العالم المنظور، الذي هو (ألر: من الأر) صنع الله الباهر، وحكمته وقدرته، تدعو الناس إلى الاستجابة لدعوة الله، والانقياد والاستسلام لحكمه، قبل أن يفاجئهم ذلك اليوم العصيب، الذي لا ينفع فيه مال ولا قريب (اسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ)[5] الآيات، وتختم السورة بالحديث عن الوحي وعن القرآن، كما بدأت به في مطلع السورة الكريمة، ليتناسق الكلام في البدء والختام (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ)[6]، الآية"[7].

---

[1] – سورة النساء، الآية 11.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 169/1.

[3] – سورة طه، الآية 41.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 182/2.

[5] – سورة الشورى، الآية 47.

[6] – سورة الشورى، الآية 52.

[7] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 171/3.

والأمثلة على هذا النوع كثير من صفوة التفاسير، ولن يتسع المقام لعرض أكثر من ذلك، فقط أردنا أن نوضح مدى اهتمام الصابوني بهذا العلم، ومدى براعته في ربط الآيات القرآنية بعضها ببعض، وهذا من فتح الله عز وجل عليه.

ثانيا: موقف الصابوني من النوع الثاني من المناسبات (بين سور القرآن)

إن ربط سور القرآن بعضها ببعض أمر صعب، نظرا إلى كون كل سورة من السور القرآنية وحدة كاملة؛ مكتملة المعنى والأسلوب، لكن الصابوني لم يترك هذا الأمر دون بصمة منه، بل كان يربط بين سور القرآن الكريم برباط جميل.

والحق أن نقول: إن هذا النوع في تفسير الصابوني قليل، بل لا يكاد يذكر إذا ما قورن بالنوع الأول، وإن العنوان الذي عنون به الصابوني لهذا العلم في تفسيره، قد صرفه إلى النوع الأول والثالث، وقلّ أن يذكر فيه من هذا النوع، إلا أن هذا النوع موجود أيضا في تفسير الصابوني، ومن ذلك أنه عند ربطه بين سورتي الرحمن والقمر قال: "حكمة تكرار قول الله تعالى (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)[1] في كل قصة؛ التنبيه على الاتعاظ والتدبر في أنباء الغابرين، وللإشارة إلى أن تكذيب كل رسول مقتضٍ لنزول العذاب، كما كرر قوله: (فَبِأَىِّ ءَالاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) في سورة الرحمن: تقريرا للنعم المختلفة المعدودة، فكلما ذكر نعمة، وبخ على التكذيب بها"[2]، فالصابوني ربط بين السورتين، من خلال تكرار الآيات الذي وقع في كلا السورتين، إلا أن التكرار في سورة القمر كان للتتنبه على الاتعاظ بأخبار السابقين، وكيف زالت نعمهم، وفي سورة الرحمن كان للإقرار بالنعم التي ينعمون بها.

ومن هذا النوع أيضا ما ذكره الصابوني من ربط بين سورتي الإنسان والمرسلات، فقال: "ولما ذكر تعالى في سورة الإنسان السابقة بعضا من أحوال الكفار في الآخرة، وأطنب في وصف أحوال المؤمنين هناك؛ جاء في هذه السورة بالإطناب في وصف الكفار، والإيجاز في وصف المؤمنين، ثم بعد أن أكد الخبر بيوم القيامة، وأنه حق كائن لا محالة، وبعد أن خوف المكذبين من شدة هول ذلك اليوم، وفظاعة ما يقع فيه؛ عاد فخوَّفهم من بطش الله وانتقامه، بأسلوب آخر"[3].

---

[1] – سورة القمر، الآية 17.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 283/3.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 446/3.

ومن اللافت للانتباه عند الصابوني، أنه كان في بعض الأحيان يعتبر أن السورتين المتتاليتين مكملتين لبعضهما البعض، فمن ذلك ربطه بين سورتي الفيل وقريش، فقال: "اعلم أن الإنعام على قسمين: أحدهما دفع ضر وهو ما ذكره في سورة الفيل، والثاني: جلب النفع وهو ما ذكره في هذه السورة، ولما دفع عنهم الضر، وجلب لهم النفع، وهما نعمتان عظيمتان؛ أمرهم بالعبودية وأداء الشكر فقال: (فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَاذَا الْبَيْتِ...)[1] الآيات"[2].

ثالثا: موقف الصابوني من النوع الثالث من المناسبات (بين مواضيع السورة ومحورها العام):

اهتم الصابوني بذكر الأغراض التي حوتها كل سورة، كما اهتم بذكر موضوع السورة الرئيس، ولم يترك هذه المواضيع بمعزل عن الموضوع الرئيس، بل ربط بينهما برباط جميل، فمن ذلك أنه عند تفسيره لسورة يونس قال: "القضية الكبرى التي يدور محور السورة عليها هي موضوع الايمان (بوحدانية الله) جل وعلا، وقد عرضت السورة لها بشتى الأدلة السمعية والعقلية، وتحدثت السورة عن قصص بعض الانبياء، فذكرت قصة نوح مع قومه، وقصة موسى مع فرعون الجبار، وذكرت قصة نبي الله (يونس) الذي سميت السورة باسمه، وكل هذه القصص لبيان سنة الله الكونية في إهلاك الظالمين، ونصرة المؤمنين، وختمت السورة الكريمة بأمر الرسول بالاستمساك بشريعة الله، والصبر على ما يلقى من الأذى في سبيل الله: (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)[3]"[4].

ومن ذلك أيضا ذكر الصابوني للقصص المتتالية في سورة الكهف، ثم ربط هذه القصص بمحور السورة، فنراه يقول: "لما ذكر تعالى قصة الخضر أعقبها بقصة ذي القرنين، ورحلاته الثلاث إلى الغرب والشرق وإلى السدَّين، وبناؤه للسد في وجه (يأجوج ومأجوج) وهي القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة، وجميعها ترتبط بالعقيدة والإيمان، وهو الهدف الأصيل للسورة الكريمة"[5]، فالصابوني ذكر القصص، ثم ربطها بمحور السورة الرئيس وهو العقيدة والإيمان.

---

[1] – سورة قريش، الآية 3.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 526/3.

[3] – سورة يونس، الآية 109.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 3/2.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 160/2.

المطلب الخامس: القراءات

المسألة الأولى: تعريف القراءات

علم القراءات: هو علم يعنى بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزُواً (أي منسوباً) إلى ناقله[1].

وقد عرَّف العلماء القراءات بجملة من التعاريف، فعرّفها الإمام الزركشي بأنها: "اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها، من تخفيفٍ وتثقيلٍ وغيرهما"[2].

وعرَّفها الزرقاني بقوله: "القراءات مذهبٌ يذهب إليه إمامٌ من أئمة القراء مخالفًا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في هيئاتها"[3].

المسألة الثانية: موقف الصابوني من القراءات

كان الصابوني عالما بالقراءات بشتى ألوانها، المتواتر والشاذ، فقد حدثني ابنه أحمد أن الشيخ الصابوني كان يرجع إليه في القراءات، وكان يعطي الدورات والدروس في هذا العلم، وكان له تلاميذ كثر تعلَّموا القراءات على يديه[4].

وقد تقدّم أن الشيخ الصابوني تتلمذ على يدي شيخ القرّاء (محمد نجيب خياطة)، وأخذ عنه التفسير والقراءات[5].

وقد سألت الشيخ الصابوني عن موقفه من القراءات؛ فأخبرني[6] بأن موقفه من القراءات هو أنه يهتم بها في الموضع الذي يحتاج إليها تفسير الآية، خاصة إن كان في القراءات أوجه تؤثر على

---

[1] – ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الجزري الدمشقي الشيرازي الشافعي: **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1400هـ –1980م)، ص 3.

[2]. – الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، 318/1.

[3]– الزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 405/1.

[4] – أثناء زيارتي له في منزله يوم الأربعاء، الموافق: التاسع من جمادي الأولى (5)، من سنة (1434هـ)، العشرين من شهر مارس، من العام (2013م)، بين الظهر والعصر، في منزله الكائن في حي الإسكان في مكة المكرمة.

[5] – انظر المطلب الأول في المبحث الثاني من الفصل التمهيدي، ص 12.

[6] – من خلال رسالة الكترونية بعثها لي ابنه أحمد، تضمن الرد على سؤالي لفضيلة الشيخ عن موقفه من القراءات، ولماذا لم يكثر منها في صفوة التفاسير.

المعنى، كما أنه كان يذكر الاختلاف في القراءات لتوضيح معنى أو تقريب معنى الآية، وكان يعتمد على القراءات غير الشاذة فقط، وكان ذكره للقراءات في صفوة التفاسير مجملاً وليس مفصّلاً، كي لا يطيل على القارئ، لأن هدف الشيخ من تأليف صفوة التفاسير؛ هو تسهيل فهم القرآن الكريم بأسلوب سهل وواضح وموجز، إنما التفصيل كان في كتابه **(التبيان في علوم القرآن)**.

فالصابوني لم يغدق من فيض علمه بالقراءات في تفسيره، فلم يذكر من علم القراءات في تفسيره إلا في موضعين:

الموضع الأول: في سورة البقرة

فقد استدل بقراءة ابن مسعود على أن الفوم هو الثوم في قول الله عز وجل: (فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا)[1]، قال الصابوني: "ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالفوم في قوله: **(وفومها)**: الحنطة، والأرجح أن المراد به **(الثوم)** بدليل قراءة ابن مسعود **(وثومها)**[2]، وبدليل اقتران البصل بعده بها، قال الفخر الرازي[3]: الثوم أوفق للعدس والبصل من الحنطة، واستدل القرطبي[4] على ذلك بقول حسان: وأنتم أناس لئام الأصول طعامكم الفوم والحوقل، يعنى الثوم والبصل"[5].

الموضع الثاني: في سورة الطلاق

فقد استدل بالقراءات لتأييد أن معنى الفاحشة هي فحش القول لا الزنا، في قول الله عز وجل: (ولا يَخْرُجْنَ إلا أن يأتين بفاحشة مُبَيِّنَة)[6]، قال: "أي ولا يخرجن من البيوت حتى تنقضي عدتهن، إلا إذا قارفت المطلقة عملا قبيحا، كالزنى، فتخرج لإقامة الحد عليها، قال في التسهيل: نهى الله سبحانه وتعالى أن يخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه، ونهاها هي أن

---

[1] – سورة البقرة، الآية 61.

[2] – انظر، الطبري: **تفسير الطبري**، 321/1.

[3] – انظر، الرازي: **التفسير الكبير**، 93/3.

[4] – انظر، القرطبي: **تفسير القرطبي**، 424/1.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 36/1.

[6] – سورة الطلاق، الآية 1.

تخرج باختيارها، فلا يجوز لها المبيت خارجا عن بيتها، ولا أن تغيب عنه نهارا إلا لضرورة التصرف، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة، واختلف في الفاحشة التي تبيح خروج المعتدة فقيل: إنها الزنى فتخرج لإقامة الحد عليها، وقيل: إنه سوء الكلام مع الأصهار وبذاءة اللسان فتخرج، ويسقط حقها في السكنى، ويؤيده قراءة **(إلا أن يفحشن عليكم)**"[1].

وهنا نرى أن الشيخ استدل بقراءة شاذة، مما دفع الشيخ بكرا أبا زيد إلى انتقاده بقوله: "والكاتب ذكرها بصيغة الجزم دون بيان شذوذها"[2].

إلا أن الشيخ الصابوني رد على هذا الكلام بقوله: "هذه القراءة ليست باطلة بل شاذة، والعلماء يؤيدون القول بالقراءات الشاذة، وفرق بين القراءة الباطلة التي لا أصل لها، وبين القراءة التي قرأ بها الصحابة والتابعون، وليست من القراءات العشر، فعدت من الشواذ، ثم إن هذه القراءة تناقلتها كثير من كتب التفسير كابن عطية، وأبو حيان، وأبو السعود، والشوكاني، وغيرهم[3].

والصواب: أن لا يجوز الاستدلال بالقراءة الشاذة التي تخالف رسم المصحف الشريف، وهذا رأي جمهور الأئمة[4].

المبحث الثاني: العلوم اللغوية والنحوية والبلاغية في صفوة التفاسير

اهتم الصابوني بعلوم اللغة بشكل عام؛ إلا أنه ظهر في العلوم الثلاثة هذه (اللغة، والنحو، والبلاغة)، فقد جعل لها عناوين ذكر من خلالها ما تحويه الآيات من هذه العلوم، وفيما يأتي الكلام عن هذه العلوم بالتفصيل:

المطلب الأول: علم اللغة

اهتم الصابوني بعلم مفردات الآيات، وذكر محتوى هذا العلم تحت عنوان اللغة، فقد كان يتحدث في هذا العلم عن معاني المفردات، وعن الاشتقاق والإعراب، فكان يفسر المفردات أو

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 365/3.

[2] – أبو زيد، بكر بن عبد الله: **التحذير من مختصرات الصابوني**، (بلا دار نشر، قام بنشره وصفه: عبد الله السلفي)، ص31.

[3] – انظر، الصابوني، محمد علي: **كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول كتاب صفوة التفاسير**، (الأردن، عمان، دار عمار، ط1 – 1409هـ – 1989م)، ص32.

[4] – انظر، فضل عباس: **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ص139.

التراكيب باختصار جميل، ومن صنع الصابوني من خلال تفسيره، يظهر جليا أن الصابوني كان يستعين على تفسير المعاني الغريبة في كتاب الله عز وجل بعدّة أمور:

أولا: رجوعه إلى لغة العرب

كان الصابوني كثيرا ما يفسّر الكلمات الغريبة، ببيان مناحي العرب واتجاهاتهم في الكلام، ثم يفسّر الكلمة بناء على ذلك، فمن ذلك بيانه أنه قد يأتي الشراء في اللغة بمعنى الاستبدال، قال الصابوني: "حقيقة الاشتراء: الاستبدال، وأصله بذل الثمن لتحصيل الشيء المطلوب، والعرب تقول لمن استبدل شيئا بشيء اشتراه، قال الشاعر[1]:

فإن تزعميني كنت أجهل فيكم فإني اشتريت الحلم بعدك بالجهل"[2].

فلما كان تفسير الشراء بالاستبدال غريبا، فإن الصابوني أكد ذلك بقول العرب، ثم دعّم ذلك بالشعر ليزداد الكلام أصالة.

ومن ذلك تفسيره لمعنى القذف في قول الله عز وجل: (وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ)[3]، قال الصابوني: "أي يرمون بظنونهم في الأمور المغيَّبة فيقولون: لا بعث ولا حساب، ولا جنة ولا نار، قال القرطبي[4]: والعرب تقول لكل من تكلم بما لا يعرف، هو يقذف ويرجم بالغيب، على جهة التمثيل لمن يرمي ولا يصيب"[5].

ثانيا: الرجوع إلى الشعر العربي

والرجوع إلى الشعر العربي في تفسير الغريب مهم جدا، قال ابن عباس: "إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"[6].

---

[1] – القائل هو: أبو ذؤيب، انظر، ابن منظور: **لسان العرب**، 264/12.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 110/2.

[3] – سورة سبأ، الآية 53.

[4] – انظر، القرطبي: **تفسير القرطبي**، 317/14.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 66/3.

[6] – الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، 293/1.

وقد أخذ الصابوني بهذا الأمر، فكان كثيرا ما يرجع إلى الشعر العربي لبيان معاني المفردات، فمن ذلك تفسيره لمعنى العسعس في قول الله عز وجل: (وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ)[1]، قال الصابوني: "عسعس: أقبل بظلامه، قال الخليل: عسعس الليل: إذا أقبل أو أدبر فهو من الأضداد قال الشاعر[2]:

حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا"[3].

ومن ذلك تفسيره معنى الزبانية في قول الله عز وجل: (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ)[4]، قال الصابوني: "الزبانية مأخوذ من الزَّبْن وهو الدفع، والمراد بهم ملائكة العذاب الغلاظ الشداد، والعرب يطلقون هذا الاسم على من اشتد بطشه، قال الشاعر[5]:

مطاعيم في القصوى مطاعين في الوغى زبانية غلب عظام حلومها"[6].

وينبغي الإشارة إلى أن صفوة التفاسير مليء بأبيات الشعر المنتقية، ذات المواضيع المختلفة، والتي كان الصابوني يستند إليها في تفسير غريب، أو شرح غامض، أو تدعيم رأي، أو سرد موعظة، أو غير ذلك.

ثالثا: الرجوع إلى علماء اللغة

وصفوة التفاسير مستودع لأقوال العلماء في شتى الميادين، وهذا من محاسن هذا التفسير، إذ أن الرجوع إلى أقوال العلماء من أهم الأمور المعينة على الفهم، قال ابن فرجون: "يجب الرجوع إلى قول أهل البصر والمعرفة"[7].

---

[1] – سورة التكوير، الآية 17.

[2] – القائل هو: العجاج، انظر، الزمخشري: **الكشاف**، 771/4.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 462/3.

[4] – سورة العلق، الآية 18.

[5] – القائل هو: ابن الزبعرى، انظر، الشوكاني: **فتح القدير**، 470/5.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 506/3.

[7] – ابن فرجون، برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم، ابن الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد اليعمري: **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومنهاج الأحكام**، تحقيق: جمال مرعشلي، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1422هـ – 2002م)، 78/2.

ومن الأمور التي استعان فيها الصابوني بأقوال العلماء بيان غريب اللغة، حتى برز هذا الأمر واضحا جليا، فمن رجوعه إلى أقوال العلماء تفسيره لمعنى الشهيق والزفير، فقال: "الزفير: إخراج النفَس من شدة الجري، والشهيقُ: رد النفَس، وقال الليث[1]: الزفير أن يملأ الرجل صدره من النَّفَس في حال الغم الشديد ويخرجه، والشهيقُ أن يخرج ذلك النَّفَس بشدة، وقال بعض أهل اللغة: الزفير مثل أول نهيق الحمار، والشهيق مثل آخره"[2].

ومن ذلك أيضا تفسيره لمعنى السدر في قول الله عز وجل: (وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ)[3]، قال الصابوني: "قال الفراء: هو السرو، وقال الأزهري: السدر نوعان: سدر لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول وله ثمرة عصفة لا تؤكل، وسدر ينبت على الماء وثمره النبق وورقه غسول[4]"[5].

ومن ذلك تفسيره لمعنى الكسوة في قول الله عز وجل: "(ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا)[6]، قال الصابوني: "أي نسترها به كما يستر الجسد باللباس، قال أبو حيان[7]: الكسوة حقيقة هي ما وارى الجسد من الثياب، واستعارها هنا لما أنشأ من اللحم الذي غطى العظم وهي استعارة في غاية الحسن"[8].

ومن ذلك تفسيره لمعنى الغيظ في قول الله عز وجل: (عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ)[9]، قال الصابوني: "قال أبو حيان[10]: يوصف المغتاظ والنادم بِعَضّ الأنامل فيكون حقيقة، ويحتمل أنه من مجاز التمثيل عبر بذلك عن شدة الغيظ والتأسف لما يفوتهم من إذاية المؤمنين، أقول: عض الأنامل عادة العاجز النادم، الذي لا يستطيع أن يفعل شيئا أمام ما يعرض له من متاعب ومصاعب، فيَعَضُّ على أصابعه حسرة وندما، وهذا من مجاز الأمثال"[11].

---

[1] – انظر، الأزهري: **تهذيب اللغة**، 133/13.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 41/2.

[3] – سورة سبأ، الآية 16.

[4] – انظر قول الفراء والأزهري في تفسير أبي حيان: **البحر المحيط**، 246/7.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 58/3.

[6] – سورة البقرة، الآية 259.

[7] – انظر، أبو حيان: **البحر المحيط**، 306/2.

[8] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 104/1.

[9] – سورة آل عمران، الآية 119.

[10] – انظر، أبو حيان: **البحر المحيط**، 44/3.

[11] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 145/1.

ومنه أيضا تفسير معنى الرتع في قول الله عز وجل: (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1]، قال الصابوني: "يرتع: يتسع في أكل ما لذ وطاب، قال الراغب[2]: الرتع حقيقته في أكل البهائم، ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير، قالت الخنساء[3]:

ترتَعُ ما رتَعَت حتى إذا ادكرت فإنما هيَ إقبال وإدبار"[4].

المطلب الثاني: البلاغة

برز اهتمام الصابوني بالبلاغة في تفسيره، وعنون لذلك عنوانا ألحق به لفتات ونظرات ذات علاقة بالبلاغة القرآنية.

والبلاغة هي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، مع فصاحة ألفاظه، وتشمل البلاغة: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع[5].

وإذا كان الصابوني قد أدخل المفردات في اللغة، فإنه تحدّث عن التراكيب وما يتعلق بها في البلاغة، فلم يتحدث هنا عن معاني مفردات، بل تحدث عن التفنن القرآني في الجمل والتراكيب.

والحق أن نقول في هذا الأمر؛ أن الصابوني كان أستاذا في البلاغة، والشاهد على ذلك أنه ألّف كتابا في البلاغة القرآنية، أسماه **(الإبداع البياني في القرآن الكريم)**، تحدث فيه عن البلاغة القرآنية بشتى ألوانها، وأدق تفصيلاتها.

ويظهر اهتمام الصابوني بالبلاغة القرآنية من خلال تفسيره في النقاط التالية، والتي اتسمت بالشمولية لأنواع البلاغة، ودقة الفهم لها:

أولا: التقديم والتأخير

من الأمور التي استدعت وقفة من الصابوني، مسألة التقديم والتأخير في كتاب الله عز وجل، والتي تعقبها الصابوني بالشرح والتبيين، ومن ذلك حديثه عن تقديم المفعول على الفاعل في قول

---

[1] – سورة يوسف، الآية 16.

[2] – انظر، الراغب الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، 187/1.

[3] – انظر، البيضاوي: **تفسير البيضاوي**، 237/3.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 47/2.

[5] – الديب، كمال حامد، **الموجز في علوم البلاغة**، (غزة، منشورات لجنة الإعلام والمطبوعات بمجلس طلاب الجامعة الإسلامية بغزة، 1985م)، ص3.

الله عز وجل: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ)[1]، قال الصابوني: "تقديم المفعول في قوله: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ) واجب لاتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول، فلو قدم الفاعل لزم عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، وهذا لا يصح، قال ابن مالك: وشاع نحو خاف ربَّهُ عمرُ وشذّ نحو زان نَورُه الشجرَ"[2].

ومن ذلك أيضا تفسيره لبعض الآيات من خلال كشف التقديم والتأخير فيها، فمثلا عند تفسيره لقول الله عز وجل: (ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ)[3]، قال الصابوني: "جملة (إن شاء الله) دُعائية جيء بها للتبرك، وفي الآية تقديم وتأخير تقديره: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله"[4].

ومن ذلك حديثه عند قول الله تعالى: (يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ)[5]، قال: "السر في تقديم غض البصر على حفظ الفروج (يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ) هو أن النظر بريد الزنى ورائد الفجور، وهو مقدمة للوقوع في الخطر، كما قال الشاعر[6]:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه وعلى عن بعضه أنت صابر"[7].

وتجلى في هذا الجانب مقارنات الصابوني لبعض الآيات، ولماذا جاءت بعض الكلمات متقدمة في حين تأخر في غيرها، فمن ذلك عند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا)[8]، قال الصابوني: "السر في تقديم السارق على السارقة هنا، وتقديم الزانية على الزاني في قوله (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ)[9]، أن الرجل على السرقة أجرأ، والزنى من المرأة أشنع وأقبح، فناسب تقديم ذكر كل منهما في المقام"[10].

---

[1] – سورة البقرة، الآية 124.

[2] الصابوني: **صفوة التفاسير**، 57/1.

[3] – سورة يوسف، الآية 99.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 68/2.

[5] – سورة النور، الآية 30.

[6] – انظر، ابن العربي: **أحكام القرآن**، 378/3.

[7] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 254/2.

[8] – سورة المائدة، الآية 38.

[9] – سورة النور، الآية 2.

[10] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 222/1.

والنماذج على هذا النوع من البلاغة القرآنية كثير في صفوة التفاسير، وأغلبها كان الصابوني يدرجه ضمن عنوان البلاغة، إلا أن القليل منه أدرجه ضمن اللطائف والفوائد، أو في خضم تفسيره للآيات.

ثانيا: الاستعارة

اهتم الصابوني في تفسيره بالاستعارة بأنواعها، وبيَّن مواقعها في كتاب الله عز وجل، فذكر في تفسيره شتى أنواع الاستعارة (الاستعارة التمثيلية، والاستعارة المكنية، والاستعارة التصريحية، والاستعارة التخيلية، والاستعارة التبعية، وغيرها)، ومن ذلك تفسيره لقول الله عز وجل: (وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ)[1]، قال: "الكلام من باب **(الاستعارة التمثيلية)**، شبه تَمَكُّنَه تعالى من قلوب العباد وتصريفها كما يشاء، بمن يحول بين الشيء والشيء، وهي استعارة لطيفة"[2].

ومن ذلك عند تفسيره لقول الله عز وجل: (منها قائمٌ وحَصِيْد)[3]، قال: "شبه ما بقي من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه، وشبه ما هلك من أهله ولم يبق له أثر بالزرع المحصود بالمناجل، على طريق **(الاستعارة المكنية)**"[4].

وأما حديثه عن الاستعارة التخيلية؛ فعند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ)[5] قال: "**(الاستعارة التخيلية)** في قوله (عندنا خزائنه) فهو تمثيل لكمال قدرته، شَبَّه قدرته على كل شيء؛ بالخزائن المُودَعة فيها الأشياء؛ لإخراج كل شيء بحسب ما اقتضته حكمته، على طريق الاستعارة البديعة"[6].

وأما الاستعارة التبعية، فقد تجلى عند تفسيره لقول الله عز وجل: (واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)[7]، قال الصابوني: "شَبَّه ما خوّله به من القرب والاصطفاء بحال من يراه الملك أهلا للكرامة وقرب المنزلة،

---

[1] – سورة الأنفال، الآية 24.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 336/1.

[3] – سورة هود، الآية 100.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 45/2.

[5] – سورة الحجر، الآية 21.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 96/2.

[7] – سورة طه، الآية 41.

لما فيه من الخلال الحميدة فيصطنعه لنفسه، ويختاره لخُلَّتِه، ويصطفيه لأموره الجليلة، واستعار لفظ اصطنع لذلك، ففيه استعارة لطيفة تسمى **(الاستعارة التبعية)**"[1].

ومن ذلك حديثه عند تفسيره سورة (ق)، قال: "الاستعارة التمثيلية في قوله (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)[2] مثَّل علمه تعالى بأحوال العبد وبخطرات النفس؛ بحبل الوريد القريب من القلب، وهو تمثيل للقرب بطريق الاستعارة كقول العرب: هو مني مقعد القابلة، وهي مني مَعْقِد الإزار، ففيه **(استعارة تمثيلية)**، وهي من روائع أقسام الاستعارة، **(والاستعارة التصريحية)** (وجاءت سكرة الموت)[3] استعار لفظ السكرة للهول والشدة، التي يلقاها المحتضر عند وفاته، وعبر عنها بالمجيء على طريق الاستعارة"[4].

ثالثا: التشبيه

لم يغفل شيئا في الآيات من اللغة إلا وتطرق إليه، إما جملة أو تفصيلا، ومن جملة الأمور التي برزت في تفسير الصابوني التشبيه، فقد كان يتطرق إليه تحت عنوان البلاغة، فيتحدث فيه بأجمل أسلوب، ومن ذلك حديثه عن التشبيه في قول الله عز وجل: (مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ)[5]، قال: شبه سبحانه الصدقة التي تنفق في سبيله بحبة زرعت وباركها المولى، فأصبحت سبعمائة حبة، ففيه تشبيه "مرسل مجمل" لذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه، قال أبو حيان[6]: وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر، فلما وصل عند قول الله عز وجل: (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ)[7]، قال: لم يذكر المشبه ولا أداة التشبيه وهذا النوع يسميه علماء البلاغة "استعارة تمثيلية"، وهي تشبيه حال بحال لم يذكر فيه سوى المشبه به فقط،

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 186/2.

[2] – سورة ق، الآية 16.

[3] – سورة ق، الآية 19.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 254/3.

[5] – سورة البقرة، الآية 261.

[6] – انظر، أبو حيان: **البحر المجيط**، 315/2.

[7] – سورة البقرة، الآية 266.

وقامت قرائن تدل على إرادة التشبيه، والهمزة للاستفهام والمعنى على التبعيد والنفي أي ما يود أحد ذلك[1].

وعند قول الله عز وجل: (إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا)[2]، تجلَّى في هذا المقطع تضلُّع الصابوني من هذا العلم، فقال: "فيه تشبيه يسمى **(التشبيه المقلوب)** وهو أعلى مراتب التشبيه، حيث يجعل المشبه مكان المشبه به كقول الشاعر[3]:

كأن ضياء الشمس غرة جعفر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

والأصل في الآية أن يقال: الربا مثل البيع، ولكنه بلغ من اعتقادهم في حل الربا أن جعلوه أصلا يقاس عليه فشبهوا به البيع، وهذا منتهى الفجور والعدوان"[4].

وعند تفسير الصابوني لقول الله عز وجل: (أَنَزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا)[5]، قال: "شبه تعالى الحقَّ والباطلَ بتشبيه رائع يسمى **(التشبيه التمثيلي)** لأن وجه الشبه فيه منتزع من متعدد، فمثَّل الحقّ بالماء الصافي الذي يستقر في الأرض، والجوهر الصافي من المعادن الذي به ينتفع العباد، ومثل الباطل بالزبد والرغوة التي تظهر على وجه الماء، والخبث من الجوهر الذي لا يلبث أن يتلاشى ويضمحل، والصورة التي توحي بها الآية صورة (الحق) و(الباطل) وهما في صراع كالزبد الذي تتقاذفه الأمواج (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأٌ رْضِ)، وهو تمثيل في منتهى الروعة والجمال"[6].

والحديث عن التشبيه في الصفوة كثير جدا، فهو أكثر الأمور التي لقيت اهتمام الصابوني في تفسيره، ولا تخلو سورة من سور القرآن الكريم منه، كما لم تخل سورة من سور القرآن إلا وذكر الصابوني ما فيها من تشبيه، مفصلا أداة التشبيه، والمشبه به، والمشبه...، وغير ذلك من الأمور.

---

[1] – انظر، الصابوني: **صفوة التفاسير**، 107/1.

[2] – سورة البقرة، الآية 275.

[3] – القائل هو: أبو القاسم بن هانيء، انظر، أبو حيان: **البحر المحيط**، 348/2.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 110/1.

[5] – سورة الرعد، الآية 17.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 79/2.

رابعا: الحقيقة والمجاز

من الأمور التي تطرق إليها الصابوني تحت عنوان البلاغة، مسألة الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم، فلم ينكر وقوع المجاز في كتاب الله عز وجل، بل فسّر كثيرا من الآيات على أنها من قبيل المجاز، وأنّ رب العزة جل في علاه لم يُرِد منها الحقيقة.

وقد ذكر الشيخ في ثنايا تفسيره عدة أمور لإثبات وقوع المجاز في القرآن الكريم، فمن ذلك أنه قال: "ذُكر أن شخصا ممن ينكر المجاز والاستعارة في القرآن الكريم جاء إلى شيخٍ فاضل عالم، منكراً عليه دعوى المجاز ـ وكان ذلك السائل المنكر أعمى ـ فقال له الشيخ ما تقول في قوله تعالى: (وَمَن كَانَ فِي هَاذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الأٌّ خِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلٌّ سَبِيلاً)[1]، هل المراد بالعمى الحقيقة وهو "عمى البصر"؟ أم المرد به المجاز "عمى البصيرة"؟ فبُهِت السائل وانقطعت حجته"[2].

وقد فسر الصابوني كثيرا من الآيات القرآنية على المجاز، فمن ذلك عند تفسيره قول الله عز وجل: (فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ)[3]، قال: "أي وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيبا لهم، وقال ابن مسعود[4]: عضوا أصابعهم غيظا، ومبنى القول الثاني على المجاز ومثله: (عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأٌّنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ)[5]، والقول الأول محمول على الحقيقة، وتوضيحه: أنهم لما سمعوا كلام الأنبياء عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية، فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل ذلك من غلبه الضحك فوضع يده على فيه، وهذا من حماقتهم وسوء أدبهم"[6].

ومن ذلك عند تفسيره لقول الله عز وجل: (أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ)[7]، قال الصابوني: "أي هل هناك أحد من الرسل دعا لعبادة غير الله؟ والآية كقوله تعالى: (فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ)[8]، قال أبو السعود[9]: والمراد بالآية

---

[1] – سورة الإسراء، الآية 72.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 139/2.

[3] – سورة إبراهيم، الآية 9.

[4] – انظر، الطبري: **تفسير الطبري**، 188/13.

[5] – سورة آل عمران، الآية 119.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 84/2.

[7] – سورة الزخرف، الآية 45.

[8] – سورة يونس، الآية 94.

[9] – انظر، أبو السعود: **تفسير أبي السعود**، 175/4.

الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد، والتنبيه على أنه ليس ببدع ابتدعه، حتى يكذب ويعادى وقال أبو حيان[1]: ويظهر أن الخطاب هنا للسامع، والسؤال هنا مجاز عن النظر في أديان الأنبياء، هل جاءت عبادة الأوثان في ملة من مللهم؟ وهذا كما يسأل الشعراء الديار والأطلال، ومنه قولهم: (سل الأرض من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإنها إن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا)، وهذا كله من باب المجاز"[2].

والأمثلة على المجاز في صفوة التفاسير كثيرة، وقد تنوعت، فمنها مجاز مرسل، ومنها مجاز عقلي، ومنها مجاز لغوي، ومنها غير ذلك.

خامسا: الالتفات

الالتفات أسلوب مُتّبع من أساليب العربية، وبما أن القرآن الكريم كتاب العربية الأول؛ كان لابد أن يستوعب أساليب العربية كلها؛ بما فيها الالتفات.

وقد عرَّف الزمخشري الالتفات بقوله: "فإن قلتَ لم عَدَل عن لفظ الغَيبة إلى لفظ الخطاب؛ قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان، قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم"[3].

وأما الإمام السيوطي فقد عرفه بقوله: "ومن سنن العرب أن تخاطب الشاهد ثم تحوّل الخطاب إلى الغائب أو تخاطب الغائب، ثم تحوله إلى الشاهد؛ وهو الالتفات، وأن تخاطب المخاطب ثم يرجع الخطاب لغيره"[4].

والتعريف المختار عند جمهور العلماء، والذي تناقلته كتب التفسير وعلوم القرآن؛ هو أن الالتفات: التعبير عن المعنى بطريق من الطرق الثلاثة ـ أعني المتكلم والمخاطب والغيبة ـ بعد التعبير عنه بطريق آخر منها[5].

---

[1] – انظر، أبو حيان: **البحر المحيط**، 190/5.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 190/3.

[3] – الزمخشري: **الكشاف**، 56/1.

[4] – السيوطي: **المزهر في علوم اللغة والأدب**، 264/1.

[5] – انظر، الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، 314/3–315.

وقد اهتم الصابوني بالالتفات في تفسيره، فأبرز المواضع التي التفتت فيها الآيات من خطاب إلى آخر، فكان يجلِّيها، ويوضِّح ما فيها، ويبين السبب الذي دعا إلى هذا الالتفات، ومن ذلك أنه عند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلَادَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ)[1]، قال الصابوني: "فيه إيجاز بالحذف: أي تسترضعوا المراضع لأولادكم، كما أن فيه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب؛ لأن ما قبله (فإن أرادا فصالا)، وفائدة هذا الالتفات: هزَّ مشاعر الآباء شفقة على الأبناء، ورحمة بهم!"[2].

ومن ذلك أنه عند تفسيره لقول الله عز وجل: (أَنْزَلَ مِنَ الْسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنا)[3]، قال: "الالتفات من الغيبة إلى التكلم (أَنْزَلَ مِنَ الْسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنا) بدل فأخرج، لما في ذلك من الفخامة، ولبيان كمال العناية بالفعل، لما فيه من الصنع البديع؛ المنبئ عن كمال قدرة الله وحكمته"[4].

ومنه أيضا أنه عند تفسيره لقول الله عز وجل: (إِن تَتُوبَآ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)[5]، قال: "الخطاب لحفصة وعائشة، خاطبهما تعالى بطريق الالتفات؛ ليكون أبلغ في معاتبتهما، وحملهما على التوبة، مما بدر منهما من الإيذاء لسيد الأنبياء، وجوابه محذوف تقديره أي إن تبتما كان خيرا لكما من التعاون على النبي (صلى الله عليه وسلم) بالإيذاء"[6].

وعنوان البلاغة في صفوة التفاسير موضوع رحب، والحديث فيه واسع فضفاض، ولو أردنا التوسع فيه لطالت الرسالة، بل لو أراد أحدا أن يكتب رسالة في موضوع البلاغة في صفوة التفاسير لجاز له ذلك، نظرا لكثرة العناوين المتضمنة في هذا الفن، ففيه من العناوين ـ غير التي ذكرناها سابقا ـ الطباق، والجناس، والتعجب، والمبالغة، والاستفهام، والخبر، والاطناب، والتعريض، وغير ذلك من الأمور، ومن أراد التوسع في ذلك فليطالع صفوة التفاسير، تحت عنوان البلاغة، وسيرى إبداع الصابوني في اللغة، وتجلية البلاغة القرآنية بشتى ألوانها.

---

[1] – سورة البقرة، الآية 233.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 95/1.

[3] – سورة فاطر، الآية 27.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 77/3.

[5] – سورة التحريم، الآية 4.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 372/3.

المطلب الثالث: علم النحو

النحو: هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما، وقيل: النحو علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال، وقيل: علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده[1].

وقد اهتم الصابوني في تفسيره اهتماما بالغا بعلم النحو، بل كان يرجح تفسير بعض الأقوال على بعض استنادا إلى موقع الكلام من الإعراب، ومن ذلك تفسيره لمعنى كلمة بعدا، فقال: "(بعدا): هلاكا، قال الرازي[2]: بعدا وسُحقا ودمارا ونحوها مصادر موضوعة مواضع أفعالها، قال سيبويه: وهي منصوبة بأفعال لا يحسُن إظهارها، ومعنى (بعدا): أي بعدوا بعدا أي هلكوا"[3].

ومن الأمور التي كان الصابوني يستعين بالنحو فيها صيغ الجمل، وكيف أنها جاءت في هذا الموضع بهذه الصيغة لتدل على أمر معيّن، ومن ذلك أنه عند تفسيره لقول الله عز وجل: (أَتَأْمُرُوْنَ النَّاسَ بالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُوْنَ الكِتَاب أَفَلا تَعْقِلُون)[4]، قال: "الاستفهام خرج عن حقيقته إلى معنى التوبيخ والتقريع، وأتى بالمضارع (أتأمرون) وإن كان قد وقع ذلك منهم؛ لأن صيغة المضارع تفيد التجدد والحدوث، وعبر عن ترك فعلهم بالنسيان، (وتنسون أنفسكم) مبالغة في الترك، فكأنه لا يجري لهم على بال، وعلَّقه بالأنفس توكيدا للمبالغة في الغفلة المفرطة، ولا يخفى ما في الجملة الحالية، (وأنتم تتلون الكتاب) من التبكيت والتقريع والتوبيخ، على سوء الفعل والصنيع!!"[5].

فلا يخفى على القارئ أن هذا التفسير إنما هو تفسير مبني على النحو، ومعرفة مواقع الكلمات والجمل من الإعراب، والرجوع إلى صيغ الكلمات وأنواع الجمل؛ لبيان معنى الآية ومدلولها، وهذا أمر ذو أهمية بالغة.

---

[1] – انظر، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف: **التعريفات**، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1403هـ – 1983م)، 308/1.

[2] – انظر، الرازي، **التفسير الكبير**، 87/23.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 232/2.

[4] – سورة البقرة، الآية 44.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 31/1.

ومن ذلك أيضا أنه عند تفسيره لقول الله عز وجل: (واللَّهُ بَصِيْرٌ بِمَا يَعْمَلُون)[1]، قال: "صيغة المضارع بدل الماضي **(بما عملوا)** لحكاية الحال الماضية، استحضارا لصورتها الفظيعة، ومراعاة لرؤوس الآيات"[2].

وعند تفسيره لسورة الكوثر قال عند قوله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر)[3]: "صيغة الماضي المفيدة للوقوع (أعطيناك)، ولم يقل **(سنعطيك)**؛ لأن الوعد لما كان محققا عبر عنه بالماضي مبالغة، كأنه حدث ووقع"[4].

والأمر اللافت للنظر في صفوة التفاسير، أن الشيخ الصابوني كان يرد على بعض الفرق وتأويلاتهم الباطلة؛ من خلال علم النحو، ومن ذلك أنه عند حديثه عن قول الله عز وجل: (إِلَى رَبِّها نَاظِرَةٌ)[5]، قال: "وأنكر المعتزلة رؤية الله في الآخرة، وأَوَّلُوا الآية (ناظرة) بمعنى منتظرة: تنتظر ثواب ربها، وهذا باطل؛ لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف الجر"[6].

---

[1] – سورة المائدة، الآية 71.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 235/1.

[3] – سورة الكوثر، الآية 1.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 530/3.

[5] – سورة القيامة، الآية 23.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 435/3.

الفصل الخامس

منهج الصابوني في تفسير آيات العقيدة

وفيه مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: طريقته في تفسير آيات الصفات

المبحث الثاني: منهج الصابوني في تفسير القضايا الغيبية

المبحث الثالث: موقف الصابوني من أصحاب الفرق المختلفة

المبحث الأول: طريقته في تفسير آيات الصفات

المتتبع لآيات الصفات في صفوة التفاسير يرى أنه يسير في طريقين: الأولى تسير وفق منهج السلف، وتفسر الآية كما هي من غير تأويل، والثانية تؤول الآية، وتعطي المعنى التي دلت عليه الصفة، وسوف نعرض لهذين الجانبين على التفصيل.

أولا: الصابوني سلفي المنهج

كان الصابوني سلفي المنهج في تفسيره لكثير من آيات الصفات، فقد أثبت كل الآيات التي تحدثت عن صفات الله عز وجل، ولم ينف منها شيئا، بل أثبت لله عز وجل ما أثبت لنفسه، ونفى عن الله عز وجل ما نفاه عن نفسه، ويدل على ذلك أن الصابوني في تقديمه لسورة الإخلاص قال: "وقد تحدثت عن صفات الله جل وعلا الواحد الأحد، الجامع لصفات الكمال، المقصود على الدوام، الغني عن كل ما سواه، المتنزه عن صفات النقص، وعن المجانسة والمماثلة"[1].

وقد نصّ الصابوني على سلفية عقيدته ـ خاصة في تفسيره لآيات الصفات ـ في صفوة التفاسير، فعند تفسيره لمعنى الشكر في قول الله عز وجل: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[2]، قال: "الشكر معناه مقابلة النعمة والإحسان بالثناء والعرفان، وهذا المعنى محال على الله، إذ ليس لأحد عنده يد ونعمة حتى يشكره عليها، ولهذا حمله العلماء على الثواب والجزاء، أي أنه تعالى يثيبه ولا يضيع أجر العاملين، أقول: والصحيح ما عليه السلف من إثبات الصفات كما وردت، فهو شكر يليق بجلاله وكماله، أي يثني على عبده المؤمن بما يحبه تعالى"[3].

وعند تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4]، قال: "أي ليس له تعالى مثيل ولا نظير، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، والغرض: تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، والكاف هنا لتأكيد النفي أي ليس مثله شيء، قال ابن قتيبة[5]: العرب تقيم المثل مقام النفس، فتقول: مثلي لا يقال له هذا، أي أنه لا يقال لي هذا، ومعنى الآية

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 536/3.

[2] – سورة البقرة، الآية 158.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 66/1.

[4] – سورة الشورى، الآية 11.

[5] - انظر، الشوكاني: **فتح القدير**، 528/4.

ليس كالله جل وعلا شيء وقال القرطبي[1]: والذي يُعْتَقَد في هذا الباب أن الله ـ جل اسمه ـ في عظمته وكبريائه، وملكوته، وحسنى أسمائه، لا يشبه شيئا من مخلوقاته، ولا يشبه به أحد، وما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق، فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي، إذ صفات القديم ـ عز وجل ـ بخلاف صفات المخلوق، إذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض والأغراض، وهو تعالى منزه عن ذلك، وقد قال بعض المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات، ولا معطلة من الصفات، وزاد الواسطي فقال: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، وهذا مذهب أهل الحق أهل السنة والجماعة"[2].

فهذا إقرار منه بأنه يسير وفق منهج أهل السنة والجماعة في تفسيره لآيات الصفات، وفي نفي المِثلية عن الله عز وجل، بل في نقله قول الواسطي: (وهذا مذهب أهل الحق، أهل السنة والجماعة) ما يدل على أنه مع أهل الحق، أهل السنة والجماعة، وإلا لاكتفى بالقول السابق، ولما نقل زيادة الواسطي هذه.

وقد سألت الشيخ الصابوني عن موقفه من تفسير آيات الصفات، فقال لي: أنا سلفي المنهج في تفسير آيات الصفات، ولا أخرج عن الدليل مهما كان، إلا أنني لا أنكر بعض تأويل الأشاعرة[3].

ويشار هنا إلى أن آيات الصفات، وتأويل الصابوني لها، هي أكثر الأمور المنتقدة على صفوة التفاسير، وقد اتهم الصابوني بأنه أشعري المذهب، وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الأخير من هذه الرسالة، لكن العرض هنا سيكون لمنهج الصابوني في تفسيره لآيات الصفات في ثنايا تفسيره.

وتبرز سلفية الصابوني في إثباته لصفة الكلام في حق الله عز وجل، مع أن القول بأن الكلام صفة من صفات الله عز وجل هو قول الجمهور، أما الأشاعرة فلا يثبتون هذه الصفة؛ بل يقولون في كلام الله عز وجل: "إنه معنى واحد قديم قائم بذات الله، وهو الأمر والنهى والخبر والاستخبار،

---

[1] – انظر، القرطبي: **تفسير القرطبي**، 8/16.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 173/3.

[3] – خلال زيارتي له يوم الأربعاء، الموافق: التاسع من جمادي الأولى (5)، من سنة (1434هـ)، العشرين من شهر مارس، من العام (2013م)، في منزله الكائن في حي الإسكان في مكة المكرمة، ومن خلال مكالمة هاتفية بيني وبين فضيلة الشيخ أستفسر منه عن حقيقة مذهبه في تأويل آيات الصفات.

إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة"[1]، لكننا نرى الصابوني عند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً)[2]، يقول: "أي: وخص الله موسى بأن كلمه بلا واسطة، ولهذا سمي (الكليم)، وإنما أكده (تكليما) رفعا لاحتمال المجاز، قال ثعلب[3]: لولا التأكيد لجاز أن تقول: قد كلمت لك فلانا بمعنى كتبت اليه رقعة، أو بعثت اليه رسولا، فلما قال (تكليما) لم يكن إلا كلاما مسموعا من الله تعالى"[4]، وهذا تفسير مخالف لتفسير الأشاعرة الذين ينفون أن يكون كلام الله عز وجل حروفا مسموعة، بل يقولون: " إن موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الحقيقية الأزلية، وكما لا يتعذر رؤية ذاته، مع أن ذاته ليست جسماً ولا عرضاً، فكذلك لا يبعد سماع كلامه مع أن كلامه لا يكون حرفاً ولا صوتاً"[5].

وعند تفسير الصابوني لمعنى الاستواء في قول الله عز وجل: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)[6]، قال: "استواء يليق بجلاله، من غير تمثيل ولا تكييف، قال في التسهيل: حمل قوم الاستواء على ظاهره، وتأوله قوم بمعنى قصد، كقوله (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ)[7]، ولو كان كذلك لقال: ثم استوى إلى العرش، وتأولها آخرون أنها بمعنى استولى بالملك والقدرة، والحق هو الايمان به من غير تكييف؛ فإن السلامة في التسليم، ولله در مالك حين سأله رجل عن ذلك فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة، وقد روي مثل قول مالك عن أبي حنيفة، وجعفر الصادق، والحسن البصري، ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء، بل امسكوا عنه، ولذلك قال مالك: السؤال عنه بدعة"[8].

---

[1] – ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني: **منهاج السنة النبوية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، (مؤسسة قرطبة، ط1 – 1406هـ)، 360/2.

[2] – سورة النساء، الآية 164.

[3] – انظر، أبو حيان: **البحر المحيط**، 414/3.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 208/1.

[5] – الرازي: **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، 186/14.

[6] – سورة الحديد، الآية 4.

[7] – سورة البقرة، الآية 29.

[8] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 309/3.

وهذا التفسير لهذه الآية هو عين تفسير أهل السنة والجماعة، مع أن بعض الأئمة قد أول الآية، فقد أولها مجاهد بقوله: "(اسْتَوَى): عَلَا على الْعَرْشِ"[1]، إلا أن الصابوني تأبى سلفيته عن نقل هذا التأويل حتى لو كان في صحيح البخاري مرويا عن علم من أعلام التفسير.

ومن صميم تفسير الصابوني لآيات الصفات، وإثبات ما أثبت الله عز وجل لنفسه في كتابه؛ أن الصابوني رد على المعتزلة الذين ينفون رؤية الله عز وجل في الآخرة، فقال عند تفسيره لقول الله عز وجل: (لاَّ تُدْرِكُهُ الأٌّ بْصَارُ)[2] قال: "الآية نفت الإحاطة ولم تنف الرؤية، فلم يقل تعالى: **(لا تراه الأبصار)**، فمن ذهب إلى عدم رؤية الله في الآخرة كالمعتزلة؛ فقد جانب الحق وضل السبيل، بمخالفة ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله، المتواترة أما الكتاب فقوله تعالى **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)**[3]، وأما السنة فما أخرجه البخاري: **(إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته)**[4]، وكفى بالكتاب والسنة دليلا وهاديا"[5].

ويشار إلى أن الصابوني لا يثبت الرؤية فقط في الآخرة؛ بل أثبتها في الدنيا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال في تفسيره: "ومذهب أهل السنة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) رأى ربه ليلة المعراج في السموات العلى رؤية بصرية، ولهم أدلة من السنة النبوية"[6].

ولن نناقش الصابوني في معتقده هذا، ولا حتى في نسبة هذا الرأي إلى أهل السنة والجماعة على الإطلاق، فالمسألة خلافية، وقد وقع الكلام فيها مبكرا في عهد الصحابة[7]، وقد ذكر ابن تيمية أن الأغلب على أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه، قال ابن تيمية: "وأكثر علماء أهل السنة

---

[1] – البخاري: **صحيح البخاري**، حديث رقم 6981، 2698/6.

[2] – سورة الأنعام، الآية 103.

[3] – سورة القيامة، الآيات (22–23).

[4] – أخرجه البخاري: **صحيح البخاري**، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)**، حديث رقم 6997، 2703/6، ومسلم: **صحيح مسلم**، بَاب فَضْلِ صَلَاتَيْ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا، حديث رقم 633، 439/1.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 272/1.

[6] – المصدر السابق، 272/3.

[7] – انظر، ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، (الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط14 – 1407هـ – 1986م)، 36/3.

يقولون: إن محمدًا صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج"[1]، إلا أن المراد إثبات أن الصابوني ينكر ما اعتقده المعتزلة من نفي الرؤية.

ويشار إلى أن الشيخ الصابوني كان مع تفسير الجمهور للآيات المتفق على تأويلها، حتى لو كانت من آيات الصفات، فكان يؤولها بنفس التأويل المتفق عليه، من غير زيادة أو نقصان، أو حتى تجاوز القدر المسموح به في التطرق إلى باب الصفات، فمن ذلك تفسيره لقول الله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأٌّ رْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ)[2]، قال الصابوني: "أي ألم تعلم أيها السامع العاقل، أن الله مطلع على كل ذرة في الكون، لا ينيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه سر ولا علانية، ما يقع من حديث وسر بين ثلاثة أشخاص؛ إلا كان الله رابعهم بعلمه، ومشاركا لهم فيما يتحدثون ويتهامسون به، في خفية عن الناس، (ولا خمسة إلا هو سادسهم): أي ولا يقع مناجاة وحديث بالسر بين خمسة أشخاص؛ إلا كان الله معهم بعلمه، حتى يكون هو سادسهم، (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا): أي ولا أقل من ذلك العدد ولا أكثر منه، إلا والله معهم يعلم ما يجري بعينهم من حديث ونجوى، والغرض: أنه تعالى حاضر مع عباده، مطلع على أحوالهم وأعمالهم، وما تهجس به أفئدتهم، لا يخفى عليه شيء من أمور العباد"[3].

فتأويل المعية في هذه الآيات بالعلم، أمر متفق عليه بين الأئمة، لأن عدم التأويل يفضي إلى تعدد الذات، وهذا مدفوع عن جلال الله عز وجل، قال ابن عبد البر: "لا حجة لهم في ظاهر هذه الآية؛ لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله"[4].

فالصابوني لا يُعَدُّ متأولا في تأويله لمثل هذه الآيات؛ لاتفاق الأمة كما ذكر ابن عبد البر على تأويل آيات المعية بالعلم.

---

[1] – ابن تيمية: **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية**، 386/3.

[2] – سورة المجادلة الآية 7.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 321/3.

[4] – ابن عبد البر: **التمهيد**، 139/7.

ومثل ذلك أيضا تأويله لقول الله عز وجل: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ)[1]، قال الصابوني: "أي ونحن بعلمنا واطلاعنا أقرب إلى الميت منكم، ولكن لا تعلمون ذلك، ولا تبصرون ملائكتنا الذين حضروه لقبض روحه، قال ابن كثير: ومعنى الآية: ملائكتنا أقرب إليه منكم، ولكن لا ترونهم، كما قال تعالى: (حَتَّى إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ)[2]"[3].

فهذه الآية متفق على تأويلها أيضا، قال الألوسي: "والمراد بالقرب العلم، وهو من إطلاق السبب وإرادة المسبب؛ فإن القرب أقوى سبب للاطلاع والعلم، وقال غير واحد: المراد القرب علما، وقدَّره: أي نحن أقرب إليه في كل ذلك منكم؛ حيث لا تعرفون من حاله إلا ما تشاهدونه من آثار الشدة، من غير أن تقفوا عن كنهها وكيفيتها وأسبابها الحقيقية، ولا أن تقدروا على مباشرة دفعها إلا بما لا ينجع شيئا، ونحن المتسولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت"[4].

فأنت ترى كيف أن الصابوني في هذه الآية والتي سبقتها لم يكن متأولا، بل هو مفسر لها، لأن هذه الآيات لا تستقيم من غير تأويل، بل إن عدم التأويل فيها ينافي الأصول المسلَّمة في العقيدة، ولذلك فإن من لم يؤوّل القرب في الآية الثانية بالعلم، صرف الآية عن ظاهرها، وجعل القرب منسوبا إلى الملائكة، قال ابن كثير: "(وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَاكِن لاَّ تُبْصِرُونَ) يعني ملائكته، وكما قال تبارك وتعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[5]، فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن بإذن الله عز وجل، وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه باقتدار الله جل وعلا لهم على ذلك، فللمَلَك لمَّة من الإنسان كما أن للشيطان لمة وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم كما أخبر بذلك الصادق المصدوق"[6].

---

[1] – سورة الواقعة، الآية 85.

[2] – سورة الأنعام، الآية 61.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 305/3.

[4] – الألوسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، 158/27.

[5] – سورة الحجر، الآية 9.

[6] – ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 224/4-225.

ثانيا: تأويل الصابوني لبعض آيات الصفات

ومع أن الصابوني سلفي المنهج؛ إلا أنه أول بعض آيات الصفات، ووافق الأشاعرة في تأويلهم لبعض آيات الصفات، فمن ذلك عند تفسيره لقول الله عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)[1]، قال: "الحياء: تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم، والمراد به هنا لازمه وهو الترك، قال الزمخشري[2]: أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي من ذكرها لحقارتها"[3].

فالصابوني نقل كلام الزمخشري في تأويل الاستحياء الوارد في الآية بالترك، وهذا تأويل لمعنى الآية، والحق أن للسلف في هذه الآية وجهان، فقوم توقفوا في هذه الآية، وقالوا بالصفة كما هي، ولم يؤولوا منها شيئا، ولذلك فسروا الآية بقولهم: "الحياء بالمد الانقباض والاحتشام غير أن صفات الحق عز وجل لا يطلع لها على ماهية وإنما تمر كما جاءت"[4]، وقسم آخر أول الآية بنفس التأويل الذي ذكره الصابوني نقلا عن الزمخشري، قال النسفي: "أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يتمثل بها لحقارتها وأصل الحياء تغير وانكسار يعترى الانسان من تخوف ما يعاب به ويذمّ، ولا يجوز على القديم التغيّر وخوف الذم، ولكن الترك لمّا كان من لوازمه عبر عنه به"[5]، وقد رجَّح الإمام الطبري هذا التأويل في تفسيره، ونسبه إلى ابن عباس، وابن مسعود[6]، وعلى هذا القول سار الإمام القرطبي، حيث قال: "واختلف المتأولون في معنى يستحيي في هذه الآية فقيل: لا يخشى، ورجحه الطبري، وفي التنزيل: (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ)[7] بمعنى تستحي، وقال غيره: لا يترك، وقيل: لا يمتنع"[8].

---

[1] – سورة البقرة، الآية 26.

[2] – انظر، الزمخشري: **الكشاف**، 139/1.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 23/1.

[4] – ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: **زاد المسير في علم التفسير**، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط3 – 1404هـ)، 54/1.

[5] – النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)**، تحقيق: مروان الشعار، (بيروت، دار النفائس، 2005م)، 32/1.

[6] – الطبري: **تفسير الطبري**، 177/1.

[7] – سورة الأحزاب، الآية 37.

[8] – القرطبي: **تفسير القرطبي**، 242/1.

وعلى هذا التأويل جمهور المفسرين، منهم البيضاوي في تفسيره[1]، وأبو السعود[2]، والواحدي[3]، والبغوي[4]، والشوكاني[5]، وغيرهم.

وقد سألت[6] الشيخ الصابوني عن نقله مثل هذا التأويل عن الزمخشري، فقال لي: إنما نقلت عنه ما وافقه الجمهور، وقد رأينا كيف أن هذا التأويل هو تأويل الجمهور.

وقد تجلى تأويل الصابوني لبعض آيات الصفات، فمن ذلك تأويل الوجه بالذات، فقال عند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلْالِ وَالإِكْرَامِ)[7]، قال: "أي ويبقى ذات الله الواحد الأحد، ذو العظمة والكبرياء، والإنعام والإكرام، كقوله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ)[8]، قال ابن عباس[9]: الوجه عبارة عن الله جل وعلا الباقي الدائم، قال القرطبي[10]: ووجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت، ومع الموت تستوي الأقدام، والموت سبب النقلة من دار الفناء، إلى دار الثواب والجزاء"[11].

وأشار الصابوني في موضع آخر إلى أن إطلاق الوجه على الذات هو من قبيل المجاز المرسل، قال الصابوني تحت عنوان البلاغة: "المجاز المرسل (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ) أي ذاته المقدسة وهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل"[12]، وقال في موضع سابق من سورة البقرة: "(فَوَلِّ وَجْهَكَ)[13]: أطلق الوجه وأراد به الذات كقوله: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ) وهذا النوع يسمى (المجاز

---

[1] – البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)**، 254/1.

[2] – أبو السعود: **إرشاء العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبو السعود)**، 72/1.

[3] – الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير الواحدي)**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق، الدار الشامية، وبيروت، دار القلم، ط1 – 1415هـ)، 97/1.

[4] – البغوي: **تفسير البغوي**، 58/1.

[5] – الشوكاني: **فتح القدير**، 56/1.

[6] – خلال زيارتي له في منزله يوم الأربعاء، الموافق: التاسع من جمادي الأولى (5)، من سنة (1434هـ)، العشرين من شهر مارس، من العام (2013م)، في منزله الكائن في حي الإسكان في مكة المكرمة.

[7] – سورة الرحمن، الآية 27.

[8] – سورة القصص، الآية 88.

[9] – لم أجد هذا القول من كلام ابن عباس.

[10] – انظر، القرطبي: **تفسير القرطبي**، 322/13.

[11] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 290/3.

[12] – المصدر السابق، 295/3.

[13] – سورة البقرة، الآية 144.

المرسل)، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، ومثله قولهم: هذا ما جنته يدك، أي ما فعلته بنفسك"[1].

ونراه كثيرا ما يؤول مثل هذه الصفات بالذات، فهو كما أطلق الوجه على الذات، وعلل ذلك بأنه أطلق الجزء وأراد الكل، أطلق أيضا اليد على الذات، فقال عند تفسيره لقول الله عز وجل: (قَالَ ياإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ)[2]، قال: "أي قال له ربه: ما الذي صرفك وصدك عن السجود لمن خلقته بذاتي من غير واسطة أب وأم؟"[3].

وهو وإن أول اليد بالذات في هذا الموضع، إلا أنه أثبتها كما هي في مواضع أخرى، من ذلك قول الله عز وجل: (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ)[4]، قال الصابوني: "الهمزة للإنكار والتعجيب، أي: أولم ينظروا نظر اعتبار، ويتفكروا فيما أبدعته أيدينا ـ من غير واسطة، وبلا شريك ولا معين ـ مما خلقناه لهم ولأجلهم من الأنعام، وهي (الإبل والبقر والغنم)، فيستدلوا بذلك على وحدانيتنا وكمال قدرتنا؟"[5].

فالصابوني في هذه الآية لم يؤول اليد بالذات، بل فسرها كما هي، وكأنه يسير مع السياق، وينظر إلى الفعل المنسوب إلى الله عز وجل، فما صلح أن يطلق على اليد أبقاه على حاله، وما استدعى أن يطلق على الذات، أول الصفة بالذات، والله أعلم.

ومن الآيات التي نازع أهل العلم الصابوني في تفسيرها؛ تفسيره لقول الله عز وجل: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاق)[6]، قال الصابوني: "أي اذكر يا محمد لقومك ذلك اليوم العصيب، الذي ينكشف فيه عن أمر فظيع شديد، في غاية الهول والشدة، قال ابن عباس[7]: هو يوم القيامة يوم كرب وشدة، وقال القرطبي[8]: والأصل فيه أن من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجد شمر عن ساقه، فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة كقول الراجز:

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 61/1.

[2] – سورة ص، الآية 75.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 126/3.

[4] – سورة يس، الآية 71.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 96/3.

[6] – سورة القيامة، الآية 42.

[7] – انظر، الطبري: **تفسير الطبري**، 38/29.

[8] – انظر، القرطبي: **تفسير القرطبي**، 248/18.

قد كشفت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا"[1].

فنراه أوَّل الساق في هذه الآية بالأهوال والشدائد، وهذا لم يُرضِ فضيلة الشيخ بكر أبا زيد، مما دفعه إلى الرد على الشيخ الصابوني، وجمع الأدلة التي تثبت أن لله عز وجل ساقا، وصار يرد بها على الصابوني[2].

والحقيقة أن هذه الآية ليست من آيات الصفات، وأن هذا التأويل الذي ذكره الصابوني للآية، إنما هو قول ابن عباس في الحقيقة، قال ابن عباس: "يوم يكشف عن ساق قال: هو يوم حرب وشدة"[3]، وقد ذكر الإمام الطبري جملة من الأقوال التي تؤيد قول ابن عباس، ورجّح أن هذه الآية ليست من آيات الصفات، وجمهور المفسرين يرون من هذه الآية ما رآه ابن عباس، وقد رجّح هذا الأمر الإمام ابن كثير في تفسيره فقال: "يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام"[4]، ورجحه أيضا الإمام المحلّي[5]، والسعدي[6]، والواحدي[7]، والبغوي[8]، والبيضاوي[9]، وغيرهم.

ونصّ الإمام النسفي على أن هذا التأويل هو تأويل الجمهور، فقال: "والجمهور على أن الكشف عن الساق عبارة عن شدة الأمر وصعوبة الخطب فمعنى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الأمر ويصعب، ولا كشف ثمة ولا ساق، ولكن كنَّى به عن الشدة، لأنهم إذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق، وهذا كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولا يدَ ثمة ولا غلّ وإنما هو كناية عن البخل، وأما من شبّه فلضيق عَطَنه، وقلة نظر في علم البيان، ولو كان الأمر كما زعم المشبهة؛ لكان من حق الساق أن يعرَّف لأنها ساق معهودة عنده"[10].

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 389/3.

[2] – بكر أبو زيد: **التحذير من مختصرات الصابوني**، ص32–34.

[3] – الطبري: **تفسير الطبري**، 38/29.

[4] – ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، 408/4.

[5] – المحلي، والسيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر: **تفسير الجلالين**، (القاهرة، دار الحديث، ط1)، 760/1.

[6] – السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)**، تحقيق: ابن عثيمين، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421هـ – 2000م)، 881/1.

[7] – الواحدي: **تفسير الواحدي**، 1124/2.

[8] – البغوي: **تفسير البغوي**، 381/4.

[9] – البيضاوي: **تفسير البيضاوي**، 374/5.

[10] – النسفي: **تفسير النسفي**، 271/4.

وقد رجّح الشيخ الصابوني رأيه، ورد على الشيخ بكر أبي زيد ببيان أن هذا التأويل هو رأي جماهير المفسرين أولا، ثم بسرد الروايات التي تدل على ذلك من البخاري وغيره، ومن الأحاديث المرفوعة على النبي صلى الله عليه وسلم، أو الموقوفة على ابن عباس رضي الله عن، ثم أشار إلى أمر جد هام؛ وهو تنكير الساق في الآية، وهذا يؤكِّد على أن الآية لا تتحدث عن الله عز وجل، بل المراد من الساق الشدائد والأهوال، وتنكيرها دلالة على عظمها وكثرتها وشمولها[1].

المبحث الثاني: منهج الصابوني في تفسير القضايا الغيبية

كان الصابوني في نظرته إلى الأمور الغيبية في تفسيره؛ موافقا لاعتقاد أهل السنة فيها، فلم يخالف اعتقاد أهل السنة في أمر من الأمور المندرجة ضمن القضايا الغيبية، بل سكت فيما يجب الإيمان به مطلقا كما هو، من غير إعمال عقل، أو قدح ذهن، وفصّل في القضايا التي كان المجال فيها أوسع من غيرها.

ويتضح موقفه من القضايا الغيبية من خلال تفسيره لقول الله عز وجل: (الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ)[2]، قال: "أي يصدقون بما غاب عنهم ولم تدركه حواسهم، من البعث، والجنة، والنار، والصراط، والحساب، وغير ذلك من كل ما أخبر عنه القرآن أو النبي عليه الصلاة والسلام"[3]، فتعامل مع الإيمان بالغيب، ولم يخرج في أي مسألة عن معتقد أهل السنة والجماعة، وتفصيل هذا في المطالب التالية:

المطلب الأول: موقف الصابوني من عذاب القبر ونعيمه

ينطلق الصابوني في عذاب القبر ونعيمه من إيمانه المطلق بحياة البرزخ؛ حتى إنه عند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَمِن وَرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)[4]، قال: "أي وأمامهم حاجز

---

[1] – انظر، الصابوني: **كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول صفوة التفاسير**، ص14-31.

[2] – سورة البقرة، الآية 3.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 14/1.

[4] – سورة المؤمنون، الآية 100.

يمنعهم عن الرجوع إلى الدنيا ـ هو عالم البرزخ ـ الذي يحول بينهم وبين الرجعة، يلبثون فيه إلى يوم القيامة، قال مجاهد: البرزخُ: الحاجز ما بين الدنيا والآخرة"[1].

وقد عرّف الصابوني الموت بأنه انتقال من مكان إلى مكان، ومن منزلة إلى منزلة، فأثبت السمع والرؤية والحس للميت، فقال: "قال العلماء: ليس الموت فناء وانقطاعا بالكلية عن الحياة، وإنما هو انتقال من دار إلى دار، ولهذا ثبت في الصحيح أن الميت يسمع ويرى ويحس وهو في قبره، كما قال عليه السلام: **(إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم)**[2]، وقال: **(والذي نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، لكنهم لا يجيبون)**[3]، فالموت هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقتها للجسد"[4].

ويرد الصابوني على من نفى سماع الميت في قبره عند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى الْقُبُورِ)[5]، قال في الرد عليهم: "أي إن الله يُسمع من يشاء إسماعه دعوة الحق، فيحببه بالإيمان وشرح صدره للإسلام، وما أنت يا محمد بمسمع هؤلاء الكفار؛ لأنهم أموات القلوب، لا يدركون ولا يفقهون، قال ابن الجوزي[6]: أراد بمن في القبور الكفار، وشبههم بالموتى، أي فكما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله، وينتفع بمواعظه، فكذلك من كان ميت القلب لا ينتفع بما يسمع"[7].

فالآية كما يرى الصابوني ليست في عذاب القبر على الحقيقة، بل هي في التعريض بالكفار الذين هم في حقيقة الأمر أموات، وأكد ذلك عند تفسيره لقول الله عز وجل: (إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 241/2.

[2] – أخرجه البخاري: **صحيح البخاري**، بَاب الْمَيِّتُ يَسْمَعُ خَفْقَ النِّعَالِ، حديث رقم 1273، 448/1، ومسلم: **صحيح مسلم**، بَاب عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ من الْجَنَّةِ أو النَّارِ عليه وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ منه، حديث رقم 2870، 2200/4.

[3] – أخرجه البخاري: **صحيح البخاري**، حديث رقم 3757، 1461/4، ومسلم: **صحيح مسلم**، حديث رقم 4874، 2203/4.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 378/3.

[5] – سورة فاطر، الآية 22.

[6] – انظر، ابن الجوزي: **زاد المسير**، 484/6.

[7] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 75/3.

الْمَوْتَى)[1]، قال: "أي لا تسمع الكفار لتركهم التدبر والاعتبار، فهم كالموتى، لا حس لهم ولا عقل"[2].

وأشار الصابوني في موضع لاحق إلى أن التعبير بنفي السمع، إنما هو من قبيل الاستعارة التمثيلية، فقال: "التعبير بالموتى والصم والعمي جاء كله بطريق (الاستعارة) وهو تمثيل لأحوال الكفار في عدم انتفاعهم بالإيمان؛ بأنهم كالموتى والصم والعمى"[3].

ويدفع الصابوني التعارض الذي وقع فيه البعض عند قول الله عز وجل: (قَالُواْ ياوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا)[4] من تشكيكهم بعذاب القبر، فنقل كلام ابن كثير في ذلك فقال: "أي يقولون: يا هلاكنا! من الذي أخرجنا من قبورنا التي كنا فيها؟ قال ابن كثير[5]: وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم، لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد، فإذا قالوا ذلك أجابتهم الملائكة أو المؤمنون"[6].

وقد أثبت الصابوني عذاب القبر من خلال تفسيره لقول الله عز وجل: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً)[7] قال في تفسيرها: "أي النار يحرقون بها صباحا ومساء قال المفسرون: المراد بالنار هنا (**نار القبر**) وعذابهم في القبور بدليل قوله بعده: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُواْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)، أي ويوم القيامة يقال للملائكة: أدخلوا فرعون وقومه نار جهنم، التي هي أشد من عذاب الدنيا"[8].

ويستدل الصابوني على عذاب القبر في تفسيره من خلال الفائدة التي ذكرها عند قول الله عز وجل: (مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَاراً)[9]، فقد استدل على عذاب القبر، من خلال الفاء التي تفيد في العربية التعقيب، فقال: "استدل العلماء على عذاب القبر بقوله تعالى (مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَاراً) قالوا: المراد بها نار القبر وعذابه، لأنه تعالى عطف بالفاء، والفاء تفيد

---

[1] – سورة النمل، الآية 80.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 308/2.

[3] – المصدر السابق، 311/2.

[4] – سورة يس، الآية 52.

[5] – انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 575/3.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 93/3.

[7] – سورة غافر، الآية 46.

[8] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 153/3.

[9] – سورة نوح، الآية 25.

الترتيب مع التعقيب، ونار الآخرة لم يذوقوها بعد، فدل على أن المراد بها **(عذاب القبر)**، وهو استدلال لطيف، والله الهادي إلى سواء السبيل"[1].

المطلب الثاني: موقف الصابوني من البعث والجزاء

البعث والجزاء من الأمور التي لابد لكل مسلم من الإيمان المطلق بها، بل إن هذا الأمر من الأمور التي اتّفقت عليها الشرائع السماوية، ولا مجال لإنكارها.

ولمّا كان موضوع البعث والجزاء من المواضيع التي شغلت حيِّزا كبيرا في القرآن الكريم، خاصة السور المكية منه؛ كان لابد لكل مفسِّر من أن يتعرض لهذا الجانب، لا من أجل بيان موقفه منه؛ لأن هذا الأمر مسلَّم به عند كل مسلم، بل لتجلية هذا الأمر ـ الذي تحار فيه العقول ـ للناس.

وقد سطر الصابوني موقف كل مسلم من هذا الأمر عند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)[2]، قال الصابوني: " أي: واذكر يوم يُجمع أعداءُ الله المجرمون في أرض المحشر، لسوقهم إلى النار، **(فهم يوزعون)**: أي يحبس أولهم على آخرهم، ليتلاحقوا ويجتمعوا، قال ابن كثير[3]: تجمع الزبانية أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا، **(حتى إذا ما جاءوها)**، أي حتى إذا وقفوا للحساب"[4].

ويرى الصابوني أن موطن المسلم الأصيل إنما هو في الأعلى، حيث الجنة أو النار، وأن مكوثه في الدنيا ما هو إلا مرحلة لابد وأن تنتهي، فها هو يقول عند تفسيره لقول الله عز وجل: (قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ)[5]: "أي في الأرض تعيشون، وفيها تقبرون

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 409/3.

[2] – سورة فصلت، الآيات (19–20).

[3] – انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 96/4.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 163/3.

[5] – سورة الأعراف، الآية 25.

ومنها تخرجون يوم القيامة للجزاء، كقوله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)[1]"[2].

ويطيب للصابوني ـ من منطلق عقيدته المسلّمة بموضوع البعث والجزاء ـ أن يرد على المنكرين له، فيقول عند تفسيره لقول الله عز وجل: (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأٌّ رْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُواْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُمْ مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأٌّ رْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، ذالِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ)[3]: "أي إن شككتم في قدرتنا على إحيائكم بعد موتكم، فانظروا في أصل خلقكم ليزول ريبكم، فقد خلقنا أصلكم (آدم) من الأرض، والقادر على ذلك قادر على أن يخرجكم من قبوركم، (ثم من نطفة) أي ثم جعلنا نسله من المنيّ الذي يُنْطَف من صلب الرجل، قال القرطبي: والنطف: القطر سمي نطفة لقلّته، (ثم من علقة) وهو الدم الجامد الذي يشبه العلقة التي تظهر حول الأحواض والمياه، (ثم من مضغة) أي من قطعة متجمدة مقدار ما يمضغ، (مخلقة وغير مخلقة): أي مستبينة الخلق مصورة وغير مصورة، قال ابن زيد: المخلقة التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين، وغير مخلقة التي لم يخلق فيها شيء، (لنبين لكم): أي خلقناكم على هذا النموذج البديع لنبين لكم أسرار قدرتنا وحكمتنا، قال الزمخشري: أي لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا، وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولا، ثم من نطفة ثانيا، ولا تناسب بين التراب والماء، وقدر على أن يجعل النطفة علقة، وبينهما تباين ظاهر، ثم يجعل العلقة مضغة، والمضغة عظاما، قادر على إعادة ما بدأه، بل هذا أدخل في القدرة، وأهون في القياس، (ونقر في الأرحام ما نشاء): أي ونثبّت من الحمل في أرحام الأمهات من أردنا أن نُقره فيها حتى يتكامل خلقه، (إلى أجل مسمى): أي إلى زمن معين هو وقت الوضع، (ثم نخرجكم طفلا): أي ثم نخرج هذا الجنين،

---

[1] – سورة طه، الآية 55.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 291/1.

[3] – سورة الحج، الآيات (5–7).

طفلا ضعيفا في بدنه وسمعه وبصره وحواسه، ثم نعطيه القوة شيئا فشيئا، (ثم لتبلغوا أشدكم): أي كمال قوتكم وعقلكم، (ومنكم من يتوفى): أي ومنكم من يموت في ريعان شبابه، (ومنكم من يرد الى أرذل العمر): أي ومنكم من يُعمَّر حتى يصل إلى الشيخوخة والهرم، وضعف القوة والخرف، (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا): أي ليعود إلى ما كان عليه في أوان الطفولة، من ضعف البنية، وسخافة العقل، وقلة الفهم، فينسى ما علمه وينكر ما عرفه، ويعجز عما قدر عليه كما قال تعالى: (وَمَن نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ)[1]، (وترى الأرض هامدة): هذه هي الحجة الثانية على (**إمكان البعث**)، أي: وترى أيها المخاطب، وأيها الإنسان العاقلُ، الأرض يابسة ميتة لا نبات فيها، (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) أي: فإذا أنزلنا عليها المطر، تحركت بالنبات وأنتفخت وزادت وحييت بعد موتها، (وأنبتت من كل زوج بهيج) أي: وأخرجت من كل صنف عجيب، ما يسر الناظر ببهائه ورونقه، (ذلك بأن الله هو الحق) أي ذلك المذكور من خلق الإنسان والنبات لتعلموا أن الله هو الخالق المدبر، وأن ما في الكون من آثار قدرته، وشاهد بأن الله هو الحق، (وأنه يحي الموتى) أي: وبأنه القادر على إحياء الموتى، كما أحيا الأرض الميتة بالنبات، (وأنه على كل شيء قدير) أي: ولأنه قادر على ما أراد، (وأن الساعة آتية لا ريب فيها) أي: وليعلموا أن الساعة كائنة لا شك فيها ولا مرية، (وأن الله يبعث من في القبور) أي: يحي الأموات ويعيدهم بعدما صاروا رمما، ويبعثهم أحياء إلى موقف الحساب"[2].

ويستمر الصابوني في رده على المنكرين للبعث والجزاء: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ)[3]، قال: "أي وقال المشركون من قومك لا قيامة أبدا ولا بعث ولا نشور، قال البيضاوي[4]: وهو إنكار لمجيئها أو استبطاء، استهزاء بالوعد به، (قل بلى وربي لتأتينكم): أي قل لهم يا محمد: أقسم بالله العظيم لتأتينكم الساعة، فإنها واقعة لا محال، قال ابن

---

[1] – سورة يس، الآية 68.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 2/213-214.

[3] – سورة سبأ، الآية 3.

[4] – انظر، البيضاوي: **تفسير البيضاوي**، 5/345.

كثير[1]: هذه إحدى الآيات الثلاث، التي أمر الله رسوله أن يقسم بربه العظيم على وقوعها، والثانية في يونس (قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ)[2]، والثالثة في التغابن (قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ)[3]"[4].

ويكمل الصابوني في رده على المنكرين للبعث والجزاء، فعند تفسيره لقول الله عز وجل: (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)[5]، قال الصابوني: "أي ادعى كفار مكة وظنوا أن الله لن يبعثهم من قبورهم بعد موتهم أبدا، (قل بلى وربي لتبعثن): أي قل لهم يا محمد: ليس الأمر كما زعمتم، وأقسم لكم بربي لتخرجن من قبوركم أحياء ولتبعثن، (ثم لتنبؤن بما عملتم): أي ثم لتخبرن بجميع أعمالكم، صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيرها، وتجزون بها، (وذلك على الله يسير) أي وذلك البعث والجزاء، سهل هين على الله، لأن الإعادة أسهل من الابتداء، قال الرازي: أنكروا البعث بعد أن صاروا ترابا، فأخبر تعالى أن إعادتهم أهون ـ في العقول ـ من إنشائهم...، ولما بالغ في الإخبار عن البعث، وذكر أحوال الأمم المكذبة، أمر بالاعتصام بالإيمان والتمسك بالقرآن"[6].

المطلب الثالث: موقف الصابوني من القضاء والقدر

القدر: هو علم الله السابق، والقضاء: هو تحقيق علم الله على العباد، قال ابن حجر: "القضاء: الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر: الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل"[7].

فالقدر: هو العلم السابق منذ الأزل، **والقضاء**: هو وقوع الخلق على وزن الأمر، وحصول الشيء مطابقا للعلم، وبالجملة فهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر[8].

---

[1] – انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 367/4.

[2] – سورة يونس، الآية 53.

[3] – سورة التغابن، الآية 7.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 55/3.

[5] – سورة التغابن، الآية 7.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 361/3.

[7] – ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، 149/11.

[8] – الأشقر، عمر سليمان: **القضاء والقدر**، (الأردن، عمان، دار النفائس، ط6 – 1421هـ – 2000م)، ص25 – 27.

وعلى هذا المعنى سار الصابوني في تفسيره، فقال عند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ)[1]: "الكلمة هنا كناية عن القضاء والقدر"[2]، أي أن الكلمة هي القدر، والقضاء هو قضاء القدر، ويدل على ذلك أنه فسّر قوله تعالى: (وَلَهُ الْحُكْم)[3]، بقوله: "أي وله القضاء النافذ"[4]، فهذه إشارة منه إلى أن الذي ينفذ هو القضاء.

والقضاء والقدر من الله عز وجل على مراتب، قال ابن القيم: "مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر، وهي أربع مراتب: **(المرتبة الأولى)**: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها، **(المرتبة الثانية)**: كتابه لها قبل كونها، **(المرتبة الثالثة)**: مشيئته لها، **(الرابعة)**: خلقه لها"[5].

والصابوني منطلق في تفسيره لآيات القضاء والقدر، من إيمانه المطلق بتقدير الله المسبق للأمور، حتى إنه عند تفسيره لكلام الله عز وجل: (إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)[6]، قال: "أي إنا خلقنا كل شيء مقدرا مكتوبا في اللوح المحفوظ من الأزل"[7].

وعند تفسيره لقول الله عز وجل: (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، لِّكَيْلاَ تَأْسَوْاْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُواْ بِمَا ءاتَاكُمْ)[8]، قال: "أي ما يحدث في الأرض من مصيبة من المصائب، كقحط وزلزلة وعاهة في الزروع ونقص في الثمار (ولا في أنفسكم) أي من الأمراض والأوصاب والفقر وذهاب الأولاد (إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) أي إلا وهي مكتوبة في اللوح المحفوظ، من قبل أن نخلقها ونوجدها، قال في التسهيل: المعنى أن الأمور كلها مقدرة في الأزل، مكتوبة في اللوح

---

[1] – سورة هود، الآية 110.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 45/2.

[3] – سورة القصص، الآية 70.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 325/2.

[5] – ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي: **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، (بيروت، دار الفكر، 1398م)، 133/1.

[6] – سورة القمر، الآية 49.

[7] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 284/3.

[8] – سورة الحديد، الآيات (22 –23).

المحفوظ من قبل أن تكون، وفي الحديث: **(إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء)**[1]، (إن ذلك على الله يسير) أي إن إثبات ذلك على كثرته، سهل هين على الله عز وجل، وإن كان عسيرا على العباد، ثم بين تعالى لنا الحكمة في إعلامنا عن كون هذه الأشياء واقعة بالقضاء والقدر، فقال سبحانه: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) أي أثبت وكتب ذلك كي لا تحزنوا على ما فاتكم من نعيم الدنيا، (ولا تفرحوا بما آتاكم) أي ولكي لا تبطروا بما أعطاكم الله، من زهرة الدنيا ونعيمها، قال المفسرون: والمراد بالحزن الحزن الذي يوجب القنوط، وبالفرح الفرح الذي يورث الأشر والبطر، ولهذا قال ابن عباس[2]: ليس من أحد إلا وهو يحزن ويفرح، ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبرا، وغنيمته شكرا، ومعنى الآية: لا تحزنوا حزنا يخرجكم إلى أن تُهلكوا أنفسكم، ولا تفرحوا فرحا شديدا يطغيكم حتى تَأْشَرُوا فيه وتَبْطَرُوا، ولهذا قال بعض العارفين: من عرف سر الله في القدر، هانت عليه المصائب، وقال عمر رضي الله عنه: ما أصابتني مصيبة إلا وجدت فيها ثلاث نعم: الأولى: أنها لم تكن في ديني، الثانية: أنها لم تكن أعظم مما كانت، الثالثة: أن الله يعطي عليها الثواب العظيم والأجر الكبير، وقرأ: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعونَ، أُولَائِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَائِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)[3][4].

ويتكلم الصابوني عن حكمة القدر، فيقول عند تفسيره لقول الله عز وجل: (والَّذِيْ قَدَّرَ فَهَدَى)[5]، "أي قدر في كل شيء خواصه ومزاياه بما تضجلّ عنه العقول والأفهام، وهدى الإنسان لوجه الانتفاع بما أودعه فيها، وهدى الأنعام إلى مراعيها، ولو تأملت ما في النباتات من الخواص، وما في المعادن من المزايا والمنافع، واهتداء الإنسان لاستخراج الأدوية والعقاقير النافعة من النباتات، واستخدام المعادن في صنع المدافع والطائرات؛ لعلمت حكمة العلي القدير، الذي لولا

---

[1] – أخرجه الإمام مسلم: **صحيح مسلم**، بَاب حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام، حديث رقم 2653، 2044/4.

[2] – انظر، القرطبي: **تفسير القرطبي**، 258/17.

[3] – سورة البقرة، الآية 155.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 314/3-315.

[5] – سورة الأعلى، الآية 3.

تقديره وهدايته لكنا نهيم في دياجير الظلام كسائر الأنعام، قال المفسرون: إنما حذف المفعول لإفادة العموم أي قدر لكل مخلوق وحيوان ما يصلحه، فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به"[1].

المبحث الثالث: موقف الصابوني من أصحاب الفرق المختلفة

سبق أن أكّدنا أن الصابوني سلفي المنهج، متَّبع للدليل، لذلك فهو ينتصر للحق، ويرد على ما خالفه، ويدحض رأيه بالحجة والبرهان، ويلاحظ أنه قد اتّبع منهج السلف الصالح في آيات العقيدة، مع استلهام بعض أوجه التأويل غير المغالَى فيه عند الأشاعرة، لذا فإننا نجده دائما ينتصر لأهل السنة، ويرد على ما سواهم.

والعجيب أن الصابوني قد اتهم بأنه أشعري المذهب، مع أن كلمة **(الأشعرية)** لم ترد في تفسيره مطلقا، لا لبيان رأيهم، ولا للرد عليهم، بينما نجد أن مصطلح **(أهل السنة)** تكرر في تفسيره خمس مرات، وفي إحداها قال: "وهذا مذهب أهل الحق، أهل السنة والجماعة"[2].

وقد تناول الصابوني في تفسيره كثيرا من الفرق التي زاغت عن الجادة، فتعرّض لها بالرد، والتوجيه إلى الطريق السوي، وفيما يلي رد الصابوني في تفسيره على كل فرقة على حدة.

المطلب الأول: رد الصابوني على المعتزلة

تتبع الصابوني المعتزلة في تفسيره في موضعين، وردّ عليهم، وفي كلا الموضوعين كان الموضوع الذي يناقشه هو موضوع إنكار رؤية الله عز وجل، وهذان الموضوعان على النحو التالي:

الموضع الأول: سورة الأعراف

ناقش الصابوني موضوع رؤية الله عز وجل في الآخرة وردّ على المعتزلة فيما يذهبون إليه من إنكارهم رؤية الله عز وجل، فقال عند تفسيره لقول الله تعالى: (لَنْ تَرَانِيْ)[3]: "مذهب أهل السنة

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 479/3.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 173/3.

[3] – سورة الأعراف، الآية 143.

قاطبة على أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة، وأنكرت المعتزلة ذلك، واستدلوا بالآية الكريمة: **(لن تراني)**، وليس لهم في هذه الآية متمسك، بل هي دليل لأهل السنة والجماعة على **(إمكان الرؤية)** لأنها لو كانت محالا لم يسألها موسى، فإن الأنبياء عليهم السلام يعلمون ما يجوز على الله وما يستحيل، ولو كانت (الرؤية) مستحيلة لكان في الجواب زجر وإغلاظ كما قال تعالى لنوح: **(فَلاَ تَسْأَلْنِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)**[1]، فهذا المنع من رؤية الله إنما هو في الدنيا، لضعف البنية البشرية عن ذلك، قال مجاهد[2]: إن الله قال لموسى: لن تراني، لأنك لا تطيق ذلك، ولكن سأتجلى للجبل الذي هو أقوى منك وأشد، فإن استقر وأطاق الصبر لهيبتي أمكن أن تراني أنت، وان لم يطق الجبل فأحرى ألا تطيق أنت، فعلى هذا جعل الله الجبل مثالا لموسى، ولم يجعل الرؤية مستحيلة على الإطلاق، وقد صرح بوقوع الرؤية في الآخرة كتاب الله **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)**[3]، فلا ينكرها إلا مبتدع"[4].

الموضع الثاني: سورة القيامة

وعند تفسيره لقول الله عز وجل: **(إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)**[5]، قال: "أي تنظر إلى جلال ربها، وتهيم في جماله، وأعظم نعيم لأهل الجنة رؤية المولى جل وعلا والنظر إلى وجهه الكريم بلا حجاب، قال الحسن البصري: تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق، وبذلك وردت النصوص الصحيحة، هذا هو مذهب أهل السنة، ويؤيده ما ورد في الصحيحين **(إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر...، إلخ)**[6]الحديث، وفى صحيح مسلم: **(فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى)**[7]، وأنكر المعتزلة رؤية الله في الآخرة، وأولوا

---

[1] – سورة هود، الآية 46..

[2] – انظر، أبو حيان: **البحر المحيط**، 381/4.

[3] – سورة القيامة، الآيات (22–23).

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 313/1.

[5] – سورة القيامة، الآية 23.

[6] – – أخرجه البخاري: **صحيح البخاري**، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)**، حديث رقم 6997، 2703/6، ومسلم: **صحيح مسلم**، بَاب فَضْلِ صَلَاتَيْ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا، حديث رقم 633، 439/1.

[7] – أخرجه مسلم: **صحيح مسلم**، بَاب إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ في الْآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حديث رقم 181، 163/1.

الآية: (ناظرة) بمعنى منتظرة، تنتظر ثواب ربها، وهذا باطل، لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف الجر"[1].

ولو سأل سائل: كيف يرد الصابوني على المعتزلة؛ في حين أنه اعتمد كثيرا على كتاب الزمخشري، مع أنه كتاب مليء بالاعتزاليّات؟

فجوابه: قد سألت الشيخ الصابوني نفسه عن هذا السؤال، فأجابني بقوله[2]: إن كتاب الزمخشري يعتبر مرجعا هاما في اللغة، فهو من أهم كتب التفسير البيانية، وقد رجعت إليه في هذا الأمر كثيرا، وهذا الأمر لا دخل له في مسائل الاعتزال.

والأمر الآخر: هو أنني كنت أرجع إلى الزمخشري في المسائل التي وافق عليها الجمهور، وهذا الأمر لا يعد رأيا للزمخشري، بل هو رأي الجمهور؛ إلا أن عبارة الزمخشري كانت أبلغ، فكنت أنقل عبارته.

وأما المسائل التي خالف الزمخشري فيها الجمهور؛ فصفوة التفاسير أبعد ما يكون عنها، إلا أن أنقل رأيه لأناقشه فيه، وهذا يعد مأثرة للتفسير لا مثلمة؛ لأنني عند المناقشة لا أكون ناقلا لكلام الزمخشري، بل أكون ناقضا له.

المطلب الثاني: رد الصابوني على الشيعة

تتبع الصابوني الشيعة في ثلاثة مواضع، وكان مرّة يسمِّيهم **(الشيعة)** ومرّة أخرى يسمِّيهم **(الرافضة)**، ومرة يسميهم بالأمرين **(الشيعة الروافض)**، وفي كل موضع كان يتعقبهم بالمناقشة والرد، وهذا تفصيل المواضع:

الموضع الأول: سورة النساء

في سورة النساء، ردّ الصابوني على الشيعة في استدلالهم على تحليل نكاح المتعة، فعند تفسيره لقول الله تعالى: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً)[3]، قال: "أي فما

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 435/3.

[2] – خلال زيارتي له يوم الأربعاء، الموافق: التاسع من جمادي الأولى (5)، من سنة (1434هـ)، العشرين من شهر مارس، من العام (2013م)، بين الظهر والعصر، في منزله الكائن في حي الإسكان في مكة المكرمة.

[3] – سورة النساء، الآية 24.

تلذذتم به من النساء بالنكاح الشرعي الصحيح، وقد فسر بعض الشيعة الآية بأنها في **(نكاح المتعة)** وهو تفسير باطل، لأن المتعة محرمة بالنصوص القاطعة وبالإجماع"[1].

واسترسل الصابوني في الرد عليهم في تحليلهم لنكاح المتعة في نفس السورة، فقال في موضع لاحق: "حمل بعض الروافض والشيعة قوله تعالى: **(فما استمتعتم به منهن)** على نكاح المتعة وهو خطأ فاحش؛ لأن الغرض من الاستمتاع في الآية التمتع بالنساء عن طريق الجماع لا نكاح المتعة، فقد ثبت حرمة نكاح المتعة بالسنة والإجماع، ولا عبرة بما خالف ذلك"[2].

فالصابوني ردّ عليهم في هذين الموضعين ردا مجملا، فاكتفى ببيان أن رأيهم مخالف للقرآن والسنة والإجماع دون أن يذكر دليلا واحدا على ذلك، والسبب في ذلك أن الصابوني توسَّع في سرد الأدلة ومناقشتها في كتابه **(تفسير آيات الأحكام)**، ومن أراد التوسع في موقف الصابوني من ذلك فليراجع موضعه من الكتاب المذكور[3].

الموضع الثاني: سورة الحشر

في هذا الموضع سمَّاهم الصابوني **(الرافضة)**، وفي هذا الموضع اشتد هجومه عليهم، حتى إنه سرد الروايات التي تقارن بينهم وبين اليهود والنصارى، والسبب في ذلك أنهم لم يعفُّوا ألسنتهم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَالَّذِينَ جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)[4]، قال: "أي ولا تجعل في قلوبنا بغضا وحسدا لأحد من المؤمنين، (ربنا إنك رءوف رحيم): أي مبالغ في الرأفة والرحمة فاستجب دعاءنا، قال ابن كثير: وما أحسن ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة، أن الرافضي الذي يسمي الصحابة، ليس له في مال الغنيمة شيء، لعدم اتصافه بأوصاف المؤمنين، وقال شيخ زاده: بين تعالى أن من شأن من جاء من بعد المهاجرين والأنصار، أن يذكر السابقين بالرحمة والدعاء، فمن لم يكن كذلك

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 174/1.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 176/1.

[3] – انظر، الصابوني: **تفسير آيات الأحكام**، 328/1 – 331.

[4] – سورة الحشر، الآية 10.

بل ذكرهم بسوء، فقد كان خارجا عن جملة أقسام المؤمنين، بمقتضى هذه الآيات، وقد روي عن الشعبي[1] أنه قال: (تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى فقالوا: أصحاب عيسى، وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة)، اللهم ارزقنا محبة أصحاب نبيك الكريم يا أرحم الراحمين"[2].

وهذا إنصاف من الصابوني لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عن الصحابة أجمعين.

الموضع الثالث: سورة اللّيل

في هذا الموضع ردّ الصابوني على الشيعة في الشخص المقصود من قول الله تعالى (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى)[3]، فقال: "أجمع المفسرون من أهل السنة، على أن المراد من (الأتقى) هو (أبو بكر الصديق) رضي الله عنه، والشيعة بأسرهم يقولون: إن الآية نزلت في (علي بن أبي طالب) ونحن مع حبنا لعلي وتكريمنا له، نقول: لا يمكن حملها على علي رضي الله عنه، لأن الله تعالى ذكر في وصف هذا الأتقى وصفا لا ينطبق عليه، وهو قوله (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) أي ليس لأحد عليه نعمة حتى يكافئه عليها، وعليّ كان في تربية النبي (صلى الله عليه وسلم) لأنه أخذه من أبيه، وكان يطعمه ويسقيه، ويكسوه ويربيه، وكان (صلى الله عليه وسلم) منعما عليه نعمة يجب عليه شكرها والجزاء عنها، أما أبو بكر رضي الله عنه فلم يكن للنبي (صلى الله عليه وسلم) عليه نعمة دنيوية، بل كان أبو بكر ينفق على الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فثبت أن الآيات نزلت في أبي بكر الصديق، لا في على رضى الله عنهما، وأن (أبا بكر) هو الذي اشترى بلالا وأعتقه، لا على رضي الله عنهما جميعا، ورزقنا شفاعتهما ومحبتهما، فكل الصحابة عظماء أجلاء، ولا يجوز أن نغمط أحدا فضله، ولكن الحق أحق أن يقال ويتّبع، ثم فسره تعالى بقوله: (الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى): أي الذي ينفق ماله في وجوه الخير ليزكي نفسه"[4].

---

[1] – انظر، القرطبي: **تفسير القرطبي**، 33/18.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 332/3.

[3] – سورة الليل، الآية 17.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 497/3.

المطلب الثالث: رد الصابوني على غلاة الصوفية

تعقب الصابوني غلاة الصوفية في موضعين، وفي كلا الموضعين، كان رأي الصوفية يتصادم مع صريح النقل، والموضعان هما:

الموضع الأول: سورة المائدة

في هذا الموضع تحدّث الصابوني عن مسألة عقدية هامة، وهي مسألة الحلول، ولمّا كان بعض غلاة الصوفية يدينون بهذا الأمر؛ فقد ربط موقفهم من ذلك بموقف النصارى الذين يرون الحلول في عيسى عليه السلام، فقال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[1]: "أي جعلوه إلها وهم فرقة من النصارى، زعموا أن الله حلَّ في عيسى، ولهذا نجد في كتبهم (وجاء الرب يسوع) وأمثاله، ويسوع عندهم هو عيسى، قال أبو حيان[2]: ذكر سبحانه أن من النصارى من قال إن المسيح هو (الله)، ومنهم من قال هو (ابن الله)، ومنهم من قال هو (ثالث ثلاثة)، ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من تستر بالإسلام ظاهرا وانتمى إلى الصوفية حلول الله في الصور الجميلة، ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بـ **(الاتحاد والوحدة)** كالحلاج، والصفار، وابن اللباج وأمثالهم، وانما ذكرتهم نصحا لدين الله، وقد أولع جهلة من ينتمي إلى التصوف بتعظيم هؤلاء، وادِّعائهم أنهم صفوة الله وأولياؤه"[3].

فربط الصابوني هذا الأمر باعتقاد النصارى بالحلول في عيسى عليه السلام، ونقله كلام أبي حيان في هذا الأمر، هو قول صريح بكفر من قال هذا الأمر؛ حتى إنه والنصارى في الجُرم سواء.

الموضع الثاني: سورة القصص

في هذا الموضع ناقش الصابوني اعتقاد بعض الصوفية بأن أبا طالب أسلم قبل أن يموت، فردّ عليهم بأن هذا القول يخالف النصوص الثابتة في القرآن والسنة، فقال: "مما ذُكر أن (أبا طالب) مات على غير الاسلام، هو الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة، ونقل عن بعض شيوخ

---

[1] – سورة المائدة، الآية 17.

[2] – انظر، أبو حيان: **البحر المحيط**، 464/3.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 217/1.

الصوفية أنه أسلم قبل موته، وهو معارض للنصوص الكريمة، ولعلهم أخذوه من بعض أشعار أبي طالب حيث يقول[1]:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البريـة دينا

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

أقول: ماذا يفيده هذا الكلام، بعد امتناعه عن الدخول في الإسلام، والنطق بالشهادة وهو يجود بأنفاسه؟ والنبي (صلى الله عليه وسلم) يعرض عليه الإسلام فيمتنع عنه؟ وفيه نزل قوله تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِى قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)[2]، فقد نزلت في أبي طالب باتفاق المفسرين، وهي صريحة في عدم إسلامه"[3].

المطلب الرابع: رد الصابوني على الدَّهريَّة

تحدّث الصابوني عن الدّهرية في موضع واحد، فقد ناقشهم في إنكارهم للبعث والحياة الأخرى، وذلك عند قول الله عز وجل: (وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ، وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ائْتُواْ بِأابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَلَاكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)[4].

وقد ردّ الصابوني على زعمهم هذا بقوله: "قال المشركون: لا حياة إلا هذه الحياة الدنيا، يموت بعضنا ويحيا بعضنا، ولا آخرة ولا بعث ولا نشور، قال ابن كثير[5]: هذا قول **(الدهرية)** من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد، ومرادهم: ما ثَمَّ إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وليس هناك معاد ولا قيامة، وهذا قول الفلاسفة الدهريين، المنكرين للصانع، المعتقدين أن كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، (وما يهلكنا إلا

---

[1] – انظر، الأزهري: **تهذيب اللغة**، 111/10.

[2] – سورة التوبة، الآية 113.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 326/2.

[4] – سورة الجاثية، الآيات (24–26).

[5] – انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 151/4.

الدهر): أي وما يهلكنا إلا مرور الزمان، وتعاقب الأيام قال الرازي[1]: يريدون أن الموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الأفلاك، ولا حاجة إلى إثبات الخالق المختار، فهذه الطائفة جمعوا بين إنكار الإله، وبين إنكار البعث والقيامة، قال تعالى ردا عليهم: (وما لهم بذلك من علم): أي وليس لهم مستند من عقل او نقل، ولذلك أنكروا وجود الله من غير حجة ولا بينة، (إن هم إلا يظنون): أي ما هم إلا قوم يتوهمون ويتخيلون، يتكلمون بالظن من غير يقين، (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات): أي وإذا قرئت آيات القرآن على المشركين، واضحات الدلالة على البعث والنشور، (ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين): أي ما كان متمسكهم في دفع الحق الصريح، إلا أن يقولوا: أحيوا لنا آباءنا الأولين، إن كان ما تقولونه حقا، سمي قولهم الباطل (حجة) على سبيل التهكم، (قل الله يحييكم ثم يميتكم): أي قل لهم يا محمد: الله الذي خلقكم ابتداء حين كنتم نطفا هو الذي يميتكم عند انقضاء آجالكم، لا كما زعمتم إنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر، (ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه): أي ثم بعد الموت يبعثكم للحساب والجزاء، كما أحياكم في الدنيا، فإن من قدر على البدء يقدر على الإعادة، والحكمة اقتضت الجمع للجزاء في يوم القيامة، الذي لا شك فيه ولا ارتياب، (ولكن أكثر الناس لا يعلمون): أي ولكن أكثر الناس لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر، لا يعلمون قدرة الله فينكرون البعث والجزاء"[2].

فهذا الرد من الصابوني، من خلال السير مع الآيات، وتوجيه الآيات توجيها سليما، أفضل أسلوب للرد، لأن الرد الإلهي أقوى من رد البشر.

---

[1] – انظر، الرازي: **التفسير الكبير**، 231/27.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 210/3.

الفصل السادس

منهج الصابوني في تفسير آيات الأحكام

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الفقه

المبحث الثاني: أصول الفقه في صفوة التفاسير

المبحث الثالث: منهج الصابوني في إيراد الأحكام الفقهية والترجيح بينها

المبحث الأول: تعـريـف الفقـــه

المطلب الأول: التعريف اللغوي

أولا: الفقه بمعنى الفهم: قال الأزهري: "والفِقْهُ هو: الفَهْمُ"[1]، وقال ابن منظور: "الفقه: العلم بالشيء والفهم له"[2]، ومنه قول الله عز وجل: (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي)[3].

ثانيا: الفقه بمعنى المعرفة: قال ابن منظور: " فقه فقها: بمعنى علم علما"[4]، ومنه قول الله عز وجل: (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى الدِّينِ)[5].

ثالثا: يطلق الفقه على حسن الإدراك: قال الراغب الأصفهاني: " الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم"[6].

ويمكن أن نستلخص مما سبق أن المعاني اللغوية للفقه تدور كلها حول الفهم، سواء كان فهما دقيقا أو فهما عاديا، وهذا المعنى هو المعنى المرتبط بالتعريف الاصطلاحي للفقه كما سيتضح ذلك جليا في المطلب الثاني.

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي

إن المعنى الاصطلاحي للفقه منبثق من المعاني اللغوية للكلمة، وقد عرّف العلماء الفقه بجملة من التعريفات، وكل تعريف له دلالته اللغوية للكلمة، ويمكن أن نحصر التعريف الاصطلاحي للفقه بالتعريف التالي:

الفقه هو: العلم بالأحكام الشرعية المكتسبة من أدلتها التفصيلية[7]: قال الإمام السبكي: "الفقه: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية"[8].

---

[1] – الأزهري: **تهذيب اللغة**، 263/5.

[2] – ابن منظور: **لسان العرب**، 522/13.

[3] – سورة طه، الآيات (27–28).

[4] – ابن منظور: **لسان العرب**، 522/13.

[5] – سورة التوبة، الآية 122.

[6] – الراغب الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، 384/1.

[7] – انظر، الجويني: أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف: **البرهان في أصول الفقه**، تحقيق: عبد العظيم محمود الديب، (مصر، المنصورة، دار الوفاء، ط4 – 1418هـ)، 79/1، والآمدي، أبو الحسن علي بن محمد: **الإحكام في أصول الأحكام**، تحقيق: سيد الجميلي، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1 – 1404هـ)، 7/1، والشوكاني: **إرشاد الفحول في علم الأصول**، 3/1.

[8] – السبكي، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي: **الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي**، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1404هـ)، 46/1.

ويستمد الفقه الإسلامي أدلته من القرآن الكريم والسنة النبوية، فهما مصدرا التشريع اللذان يأخذ منهما المجتهدون الأحكام التفصيلية فهماً من النص، أو استنباطاً من القواعد التي دلت عليها جملة الآيات والأحاديث النبوية، قال ابن حزم: "الفقه: هو المعرفة بأحكام الشريعة من القرآن ومن كلام المرسل بها الذي لا تؤخذ إلا عنه"[1].

فالفقه الإسلامي مختص بأفعال المكلفين، لأن الأحكام المستنبطة من الأدلة التفصيلية متعلقة بالمكلفين، فكل حكم منوط بالتكليف[2]، ولذلك عرّف الإمام أبو حنيفة الفقه بأنه: "معرفة النفس ما لها وما عليها"[3].

المطلب الثالث: تعريف التفسير الفقهي:

عرّف العلماء التفسير الفقهي بأنه: "علم يبحث فيه عن أحوال الآيات القرآنية المتعلقة بالأحكام الشرعية العملية من حيث دلالتها على مراد الله بقدر الطاقة البشرية"[4].

وعرفه بعضهم بأنه: "التفسير الذي يغلب عليه الأحكام الفرعية ، حتى تكون طابعه ، وإن اشتمل على تفسير القرآن بصفة عامة"[5].

والمقصود في هذا المبحث من التفسير الفقهي عند الصابوني طريقة تعامله مع الآيات الفقهية في القرآن الكريم، وطريقته في تجلية الحكم الفقهي منها، وكيفية عرضه لعلوم الفقه وأصوله في صفوة التفاسير.

---

[1] – ابن حزم، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد: **الإحكام في أصول الأحكام**، (القاهرة، دار الحديث، ط1 – 1404هـ)، 119/5.

[2] – انظر، البهوتي: منصور بن يونس بن إدريس، **شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى**، (بيروت، عالم الكتب، ط2 – 1996م)، 9/1.

[3] – المحبوبي، عبد الله بن مسعود الحنفي: **شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه**، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1416هـ – 1996م)، 16/1.

[4] – الزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 265/2.

[5] – حمزة ، عمر يوسف: **دراسات في أصول التفسير ومناهجه** ، (قطر، الدوحة، 1410هـ – 1990م) ، ص187.

المبحث الثاني: أصول الفقه في صفوة التفاسير

أصول الفقه: هو العلم بالقواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى استفادة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية[1].

وعلم أصول الفقه من أهم العلوم التي يحتاج إليها المفسِّر؛ لأنه يستطيع بهذا العلم أن يستنبط الأحكام من النص، ويبيِّن وجه الاستدلال على الأحكام[2]، وقد قيل: من حَرِم الأصول حرم الوصول.

وقد زين الصابوني تفسيره بجملة من العلوم المندرجة تحت أصول الفقه، والتي لابد لكل مفسر من الخوض فيها، ومن هذه العلوم: **(المحكم والمتشابه، المطلق والمقيد، العام والخاص، المصالح المرسلة)**، وإليك بيان ذلك:

المطلب الأول: المحكم والمتشابه

أولا: تعريف المحكم والمتشابه

للمفسرين في تعريف المحكم والمتشابه المذكور في قول الله عز وجل: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)[3] أقوال كثيرة منها، وأرجح ما قيل في تعريف المحكم والمتشابه قولان[4]:

القول الأول: أن المحكم: ما لا التباس فيه ولا يحتمل إلا وجها واحداً، والمتشابه: ما يحتمل وجوها[5].

القول الثاني: أن المحكمات: ما أطلع الله عباده على معناه، والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل لأحد إلى معرفته[1].

---

[1] – خلاف، عبد الوهاب: **علم أصول الفقه**، (مصر، مكتبة الدعوة، شباب الأزهر، عن الطبعة الثامنة لدار القلم)، 12/1.

[2] – انظر، الذهبي: **التفسير والمفسرون**، 27/1.

[3] – سورة آل عمران، الآية 7.

[4] – للاطلاع على أقوال العلماء في تعريف المحكم والمتشابه، والراجح منها، انظر، فضل عباس: **إتقان البرهان في علوم القرآن**، 471/1 – 477.

[5] – انظر، القرطبي: **تفسير القرطبي**، 10/1، وابن حجر: **فتح الباري**، 210/8، والسيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، 5/3، والزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 199/2.

وقد رجّح الصابوني القول الثاني، ورأى أن هذا أحسن ما قيل في تعريفها، فقال: "المحكم: ما كان واضح المعنى، قال القرطبي: المحكم ما عرف تأويله، وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه: ما لم يكن لاحد الى علمه سبيل مما استأثر تعالى بعلمه دون خلقه، مثل الحروف المقطعة في اوائل السور، هذا احسن ما قيل فيه"[2].

ثانيا: موقف الصابوني من المحكم والمتشابه:

يرى الصابوني أن المحكم والمتشابه من أوجه الإعجاز في كتاب الله عز وجل، وأنها من صور التحدي بالقرآن الكريم، فقال: "التحدي بعشر سور جاء بعد التحدي بالقرآن الكريم، فلما عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن، تحداهم بعشر سور، ثم لما عجزوا تحداهم بالإتيان بسورة مثله، في البلاغة والفصاحة، والاشتمال على الأحكام التشريعية وأمثالها، وهي الأنواع التسعة وقد نظمها بعضهم بقوله:

ألا إنما القـرآن تسعةُ أحرف سأنبيكها في بيت شعر بلا مَلَل

حـلال حـرام محكم متشابـه بشيـر نذيـر قصة عظة مَثَـل"[3].

ويرى الصابوني أن الآيات المتشابهات لا سبيل لمعرفة المراد منها إلا بردها إلى الآيات المحكمات، فقال عند تفسيره لقول الله عز وجل: (مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)[4]، "أي فيه آيات بيِّنات واضحات الدلالة، لا التباس فيها ولا غموض، كآيات الحلال والحرام، هنّ أصل الكتاب وأساسه، (وأخر متشابهات) أي وفيه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس، فمن رد المتشابه الى الواضح المحكم فقد اهتدى، وان عكس فقد ضل"[5].

---

[1] – انظر، الخازن: **لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)**، 319/1، وابن تيمية: **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير**، 397/17، وأبو حيان: **البحر المحيط**، 396/2، وابن حجر: **فتح الباري**، 210/8، والسيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، 5/3، والزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 199/2.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 115/1.

[3] – المصدر السابق، 27/2.

[4] – سورة آل عمران، الآية 7.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 116/1.

ودفع الصابوني التعارض الذي قد يتوهمه بعض الناس من وجود آيات متشابهات في كتاب الله عز وجل مع أن الله قد حكم بأن كل آيات القرآن الكريم محكمة في قوله تعالى: (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُه)[1]، وعن كيفية وجود آيات محكمات في حين أن الله عز وجل قد حكم بأن هذا القرآن كتاب متشابه في قوله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً)[2].

وقد ردّ الصابوني على هذا التعارض فقال: "فإن قيل: كيف يمكن التوفيق بين هذه الآية وبين ما جاء في سورة هود أن القران كله محكم: (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُه)، وما جاء في الزمر أن القران كله متشابه (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً)؟ ! فالجواب: أن لا تعارض بين الآيات؛ إذ كل آية لها معنى خاص غير ما نحن في صدده فقوله: (أحكمت آياته): بمعنى أنه ليس به عيب، وأنه كلام حق فصيح الألفاظ، صحيح المعاني، وقوله: (كتابا متشابها): بمعنى أنه يشبه بعضه بعضا في الحسن، ويصدق بعضه بعضا، فلا تعارض بين الآيات"[3].

والصابوني وإن كان يرى أن المحكم ما اتضح معناه، والمتشابه ما استأثر الله عز وجل بعلمه، إلا أنه يرى أن كل من المحكم والمتشابه حق وصدق، لأنه من كلام الله عز وجل، فقال عند تفسيره لقول الله عز وجل: (كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا)[4]، قال: "أي كل من المتشابه والمحكم حق وصدق، لأنه كلام الله"[5].

ولمّا كانت معظم آيات الكتاب الحكيم محكمة، فما ذُكر سابقا ـ في الفصل الأول عند الحديث عن منهجه في التفسير ـ يصرف ضمنيا إلى آيات القرآن الكريم المحكمة التي كان الصابوني يجلّي معانيها، ويبيِّن مراد الله عز وجل منها.

أما القسم الآخر وهو المتشابه؛ فكان الصابوني يتورّع عن الخوض في تفسيره، بل كان يرى أنه مما استأثر الله عز وجل بعلمه، وكان يرى أن السؤال عنها من المذمومات، فقد نقل عن الإمام

---

[1] – سورة هود، الآية 1.

[2] – سورة الزمر، الآية 23.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 117/1.

[4] – سورة آل عمران، الآية 7.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 117/1.

الشاطبي[1] عشرة مواضع يذم السؤال عنها، فذكر منها: "ثامنها: السؤال عن المتشابهات ومن ذلك سؤال مالك عن الاستواء فقال: الاستواء معلوم...، إلخ"[2].

ومن الأمثلة على منهج الصابوني أنه عند تفسيره للحروف المقطعة في أول سورة مريم (كهيعص)[3]، قال: "الحروف الهجائية المقطعة اختلف في معناها المفسرون اختلافا كبيرا، فقيل: إنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، ولهذا يقول بعض المفسرين: الله اعلم بمراده"[4].

وقد أدرج الصابوني علم الغيب بما في ذلك علم الساعة في جملة المتشابهات التي استأثر الله عز وجل بعلمها، فقال عند تفسيره لقول الله عز وجل: (فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا، إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ)[5]: "أي ليس علمها إليك حتى تذكرها لهم، لأنها من الغيوب التي استأثر الله بعلمها، فلماذا يسألونك عنها ويُلِحُّون في السؤال؟ (إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ): أي مَرَدّها ومراجعها إلى الله عز وجل، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين، لا يعلمه أحد سواه"[6].

المطلب الثاني: العام والخاص

العام: هو ما يستغرق جميع الأفراد التي يصدق عليها معناه من غير حصر كمِّي ولا عددي[7]، قال الغزالي: "والعام عبارة عن اللفظ الواحد الدال من جهة واحدة على شيئين فصاعدا"[8]، وعلى هذا التعريف فلا بد أن تكون الآية العامة مستغرقة لجميع ما يصلح لها[9].

والخاص يقابل العام: فمتى استعصى استغراق جميع الأفراد؛ فإن صفة العموم تنتفي عن اللفظ، ويكون اللفظ خاصا[10]، قال الآمدي: "الخاص: هو كل ما ليس بعام"[11].

---

[1] – انظر، الشاطبي: **الموافقات**، 320/4.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 243/1.

[3] – سورة مريم، الآية 1.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 165/2.

[5] – سورة النازعات، الآيات (44/43).

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 457/3.

[7] – صبحي الصالح: **مباحث في علوم القرآن**، ص304.

[8] – الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: **المستصفى في علم الأصول**، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1413هـ)، 224/1.

[9] – الراغب الأصفهاني، أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد: **بيان المختصر لابن الحاجب**، تحقيق: محمد مظهر بقا (المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي)، 104/2.

[10] – الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف: **الورقات**، تحقيق: عبد اللطيف محمد العبد، (بلا دار نشر)، 16/1.

[11] – الآمدي: **الإحكام في أصول الأحكام**، 218/2.

والعام والخاص في صفوة التفاسير عنصر هام، أكثر الصابوني من بيانه في تفسيره، بل واعتبره من باب التفنن في الأسلوب ولفت الانتباه، فقال: "ذكر الخاص بعد العام (بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ)[1]، وذلك لزيادة العناية والاهتمام بالخاص"[2].

وقال في موضع آخر: "ذكر الخاص بعد العام للتشريف: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّيْنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ)[3]، فقد دخل هؤلاء المذكورون في جملة النبيين، ولكنه خصهم بالذكر تنويها بشأنهم وتشريفا لهم"[4].

وفي موضع ثالث قال: "عطف الخاص على العام تنبيها على شرفه: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)[5] فإن (الذين أوتوا العلم) دخلوا في المؤمنين أولا، ثم خصوا بالذكر ثانيا تعظيما لهم"[6].

وأما تطبيق العموم والخصوص على الآيات في صفوة التفاسير فكان واسعا جدا، فما من آية احتملت التخصيص إلا وبيّن ذلك فيها، وما من آية احتملت العموم إلا وبين ذلك فيها، ومن ذلك أنه عند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِى الأٌ رْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ)[7]، قال: "أي وإذا انصرف عنك عاث في الأرض فسادا، وقد نزلت في الأخنس ولكنها عامة في كل منافق يقول بلسانه ما ليس في قلبه:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب[8]"[9].

وقال في موضع آخر عند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَائِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)[10]، قال: "والآية وإن كان الظاهر من سياقها أن الخطاب فيها لليهود، إلا أنها عامة في اليهود وغيرهم، وكل آية وردت في الكفار تجر بذيلها على عصاة المؤمنين"[11].

---

[1] – سورة لقمان، الآية 14.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 19/3.

[3] – سورة الأحزاب، الآية 7.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 35/3.

[5] – سورة المجادلة، الآية 11.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 327/3.

[7] – سورة البقرة، الآية 205.

[8] – القائل هو: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر، **علي بن أبي طالب**: ديوان علي بن أبي طالب، (بلا طبعة ولا دار نشر)، 45/1.

[9] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 81/1.

[10] – سورة المائدة، الآية 44.

[11] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 225/1.

وعند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ)[1]، قال: "والمراد بالظالم **(عقبة بن أبي معيط)** كما في سبب النزول، وهي تعم كل ظالم، قال ابن كثير[2]: يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول، وسلك سبيلا غير سبيل الرسول، فإذا كان يوم القيامة ندم، حيث لا ينفعه الندم، وعض على يديه حسرة وأسفا، وسواء كان نزولها في (عقبة بن أبي معيط) أو غيره من الأشقياء، فإنها عامة في كل ظالم"[3].

وما سبق من الأمثلة أعمل الصابوني فيه القاعدة الأصولية: **(العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)**، ومن ذلك، أنه عند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَة)[4]، قال: "قال المفسرون: نزلت السورة في **(الأخنس بن شريق)** لأنه كان كثير الوقيعة في الناس، يلمزهم ويعيبهم، مقبلين ومدبرين، والحكم عام لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[5].

والصابوني وإن كان ينطلق من هذه القاعدة في تفسيره؛ إلا أنه أخرج الكثير من الآيات عن شمولية هذه القاعدة، فعند تفسيره لقول الله عز وجل: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ)[6]، قال: "التنكير في قوله: (على حياة) للتنبيه على أن المراد بها حياة مخصوصة، وهي الحياة المتطاولة التي يعمر فيها الشخص آلاف السنين"[7]، مع أن الأصل في النكارة أنه يدل على العموم.

ومن ذلك أيضا تفسيره لقول الله عز وجل: (وَيَسْتَغْفِرُوْنَ لِمَنْ فِيْ الْأَرْض)[8]، قال: "أي ويطلبون المغفرة لذنوب من في الأرض من المؤمنين، قال في التسهيل: والآية عموم يراد به الخصوص، لأن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض، فهي كقوله تعالى (ويَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِيْنَ ءامَنُوا)[9]"[10].

---

[1] – سورة الفرقان، الآية 27.

[2] – انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 318/3.

[3] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 269/2.

[4] – سورة الهمزة، الآية 1.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 522/3.

[6] – سورة البقرة، الآية 96.

[7] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 48/1.

[8] – سورة الشورى، الآية 5.

[9] – سورة غافر، الآية 7.

[10] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 172/3.

وعند تفسيره لقول الله عز وجل: (مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ)[1]، قال: "أي ما تترك شيئا مرت عليه في طريقها، مما أراد الله تدميره وإهلاكه"[2]، فتخصيص التدمير بما أراده الله عز وجل، تخصيص عقلي لعموم الآية، لأن الريح لم تدمِّر كل شيء.

وكثيرا ما كان الصابوني يفصِّل القول في أن اللفظ للعموم والمراد به الخصوص، أو اللفظ للخصوص والمراد به العموم.

المطلب الثالث: المطلق والمقيد

المطلق: هو مَا دَل عَلَى الْمَاهِيَّةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ دَلاَلَةٌ عَلَى شَيْءٍ مِنْ قُيُودِهَا[3]، قال الإمام الجويني: "المطلق: هو ما يتعرى عن قرينة تنافى مقتضى العموم"[4]، وقال ابن قدامة: "المطلق: هو التناول لواحد لا بعينه باعتباره حقيقة شاملة لجنسه"[5].

والمقيد نقيض المطلق: وهو ما فيه صفة، أو شرط، أو استثناء[6]، قال ابن قدامة: "المقيد: هو المتناول لمعين أو لغير معين موصوف بأمر زائد على الحقيقة الشاملة لجنسه"[7].

وقد التزم الصابوني في تفسيره لآيات كتاب الله عز وجل ببيان المطلق والمقيد منها، فمن ذلك حديثه عند تفسيره لقول الله عز وجل: (إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ)[8]، قال: "قال في البحر: انظر إلى فصاحة هذا الكلام، حيث أثبت في الشرطية الأولى قيد الصبر، وحذف نظيره من الثانية، وأثبت في الثانية قيد كونهم من الكفرة، وحذفه من الأولى"[9].

---

[1] – سورة الذاريات، الآية 42.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 260/3.

[3] – انظر، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية: **الموسوعة الفقهية الكويتية**، (مصر، مطابع دار الصفوة، ط1 – 1427هـ)، 122/38.

[4] – الجويني: **البرهان في أصول الفقه**، 243/1.

[5] – ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي: **روضة الناظر وجنة المناظر**، تحقيق: عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط2 – 1399هـ)، 259/1.

[6] – انظر، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، 122/38.

[7] – ابن قدامة: **روضة الناظر وجنة المناظر**، 260/1.

[8] – سورة الأنفال، الآية 65.

[9] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 345/1.

وقد كان الصابوني يبين حكمة التقييد في بعض المواطن، ومن ذلك أنه عند تفسيره لقول الله عز وجل: (ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[1]، قال: "إنما قُيِّد البعث بعد الموت: (ثم بعثناكم من بعد موتكم) لزيادة التأكيد على أنه موت حقيقي، ولدفع ما عساه يتوهم أن بعثهم كان بعد إغماء أو بعد نوم"[2].

المبحث الثالث: منهج الصابوني في إيراد الأحكام الفقهية والترجيح بينها

لم يكن صفوة التفاسير تفسيراً لأحكام القرآن والمسائل الفقهية، لذلك نراه أجمل القول في تفسيره لآيات الأحكام في صفوة التفاسير، وتوسّع فيها في مؤلّف منفرد، بيّن فيه المذاهب الفقهية مع الترجيح، وأسماه (**روائع البيان في تفسير آيات الأحكام**).

والذي فعله في صفوة التفاسير أنه كان غالبا ما يذكر قول الجمهور في المسألة، ومن ذلك بيانه رأي الجمهور في حكم زواج الكتابية في قول الله عز وجل: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ)[3]، قال: "أي وزواج الحرائر من الكتابيات (يهوديات أو نصرانيات) وهذا رأي الجمهور[4]، وقال عطاء[5]: قد أكثر الله المسلمات، وإنما رخص لهم يومئذ"[6].

ومن ذلك أيضا بيانه لحرمة مس الزوجة للمُظاهِر منها قبل الكفارة، فقال عند تفسيره لقوله تعالى: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا)[7]: "أي فعليهم إعتاق رقبة ـ عبدا كان أو أمة ـ من قبل أن يعاشر زوجته التي ظاهر منها أو يجامعها، والتماس كناية عن (الجماع) ودواعيه من التقبيل واللمس عند الجمهور، قال الخازن[8]: المراد منها التماس المجامعة فلا يحل للمظاهِر وطء

---

[1] – سورة البقرة، الآية 56.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 34/1.

[3] – سورة المائدة، الآية 5.

[4] – انظر، ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 21/2.

[5] – انظر، الزمخشري: **الكشاف**، 642/1.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 214/1.

[7] – سورة المجادلة، الآية 3.

[8] – هذا القول ليس للخازن، انظر، الخازن: **لباب التأويل في معاني التنزيل**، 44/7؛ والصحيح أنه من قول البغوي، انظر، البغوي: **تفسير البغوي**، 305/4.

امرأته التي ظاهر منها ما لم يكفر، وقال القرطبي[1]: لا يجوز للمظاهر الوطء قبل التكفير، فإن جامعها قبل التكفير أثم وعصى، ولا يسقط عنه التكفير، وعن مجاهد تلزمه كفارتان"[2].

فالصابوني لم يتوسع في بيان الأقوال، كما انه لم يفصِّل في بيان الأدلة، وإنما اكتفى ببيان القول جملة من غير تفصيل.

ومع أن الصابوني قد التزم الاختصار والإيجاز في تفسيره لآيات الأحكام؛ إلا أنه كان يذكر أقوال المذاهب في بعض الأحكام باختصار، فمن ذلك بيانه لمعنى القرء في قوله تعالى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ)[3]، أهو طهر أم حيض؟ قال: "الواجب على المطلقات الحرائر المدخول بهن أن ينتظرن مدة ثلاثة أطهار ـ على قول الشافعي ومالك ـ أو ثلاث حيض على قول أبي حنيفة وأحمد، ثم تتزوج إن شاءت بعد انتهاء عدتها، وهذا في المدخول بها، أما غير المدخول بها؛ فلا عدة عليها، لقوله تعالى: (فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا)[4]"[5].

ومن ذلك أيضا بيانه لحكم التتابع في صوم كفارة اليمين، فعند قول الله عز وجل: (فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ)[6]، قال: "أي فمن لم يجد شيئا من الأمور المذكورة فكفارته صيام ثلاثة أيام، شرط الأحناف والحنابلة التتابع في الأيام، وقال الشافعي ومالك: لا يجب التتابع، واختار الطبري[7] أنه كيفما صامهن مفرقة أو متتابعة أجزأه"[8].

وقد بيّن الصابوني في تفسيره أن الاختلاف الوارد بين الأئمة إنما هو في الحقيقة اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، فالخلاف بين الأئمة ليس هو الخلاف المنهي عنه بنص الآية: (وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ)[9]، قال: "الاختلاف الذي أشارت إليه الآية (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) إنما يراد به الاختلاف في (العقيدة) وفي

---

[1] – انظر، القرطبي: **تفسير القرطبي**، 280/17.

[2] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 320/3.

[3] – سورة البقرة، الآية 228.

[4] – سورة الأحزاب، الآية 49.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 90/1.

[6] – سورة المائدة، الآية 89.

[7] – انظر، الطبري: **تفسير الطبري**، 14/7.

[8] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 237/1.

[9] – سورة آل عمران، الآية 105.

(أصول الدين)، وأما الاختلاف في (الفروع) كما اختلف الأئمة المجتهدون، فذلك من اليسر في الشريعة، كما نبه على ذلك العلماء، ولابن تيمية رحمه الله رسالة قيمة اسماها **(رفع الملام عن الأئمة الأعلام)** فارجع اليها فإنها رائعة ومفيدة"[1].

ومع أن الصابوني حنفي المذهب؛ إلا أنه ذكر لي أنه غير متعصب، بل حيثما ساقه الدليل وصحَّ الحديث فهو مذهبه[2]، ولم أجد في صفوة التفاسير حكما واحدا رجح فيه رأي الأحناف على من سواهم، بل كان دائما يرجح قول الجمهور أو ينقل المذاهب دونما ترجيح.

بل إن الصابوني كان في بعض المسائل يختار رأيا غير رأي الأحناف، ومن ذلك حديثه عن ماهية النفي في قول الله عز وجل: (أو يُنْفَوْا من الأرض)[3]، قال: "أي يطردوا ويبعدوا من بلد إلى بلد آخر، قال الشافعي: النفي يكون من بلد إلى بلد، لا يزال يطلب وهو هارب فزعا، وقال أبو حنيفة: النفي: السجن، واختار ابن جرير[4] أن المراد بالنفي ههنا أن يخرج من بلده إلى بلد آخر فيسجن فيه"[5]، فالصابوني فسَّر هذه الآية على قول الشافعية المقتضي بأن النفي يكون من بلد إلى بلد، ثم ذكر اختيار الطبري لهذا الرأي، مع أن هذا القول مخالف لرأي الأحناف.

وينبغي الإشارة هنا إلى أن هذا كان منهج الصابوني في صفوة التفاسير، فالإيجاز الذي ابتغاه الصابوني منهجا له في صفوة التفاسير يحول دون بيان الأدلة أو حتى الترجيح، لذلك كان غالبا ما يكتفي بذكر أقوال المذاهب دون ترجيح.

أما إذا ما قارنا ذلك بكتابه **(تفسير آيات الأحكام)**، فإننا سنجد نفسنا أمام فقه مقارن من الدرجة الأولى، توسع فيه صاحبه بنقل أقوال المذاهب مع الادلة، ثم ترجيح قول في كل حكم ذكره في الكتاب.

وكان الصابوني غالبا ما يرجح قول الجمهور في كل حكم، إلا أنه كان في كثير من المسائل يعدل عن قول الجمهور ويختار قول المذهب الحنفي.

---

[1] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 143/1.

[2] – خلال زيارتي له في منزله يوم الأربعاء، الموافق: التاسع من جمادي الأولى (5)، من سنة (1434هـ)، العشرين من شهر مارس، من العام (2013م)، بين الظهر والعصر، في منزله الكائن في حي الإسكان في مكة المكرمة.

[3] – سورة المائدة، الآية 33.

[4] – انظر، الطبري: **تفسير الطبري**، 212/6.

[5] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 221/1.

فمن ذلك ترجيحه لما ذهب إليه الأحناف في أن القرء هو الحيض، فبعد أن ساق أدلة الفريقين، رجّح قول الأحناف في المسألة وذكر الأدلة على هذا الرأي[1]، مع أن الصابوني لم يرجّح قولا في صفوة التفاسير كما سبق بيان ذلك.

والأمثلة على ذلك كثيرة، ومن أراد الاستزادة فليلزم (تفسير آيات الأحكام)، وليقارن بينه وبين صفوة التفاسير، فالصفوة بيان للحكم جملة، وتفسير آيات الأحكام تفصيل للحكم مع الترجيح، فكأن كتابه (تفسير آيات الأحكام) مُسَوَّدة للآيات الفقهية في صفوة التفاسير، والله تعالى أعلم.

[1] – انظر، الصابوني: **تفسير آيات الأحكام**، 232/1 – 234.

الفصل السابع

الانتقادات الموجهة إلى صفوة التفاسير

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الانتقاد بسبب منهجه في تفسير آيات الصفات

المبحث الثاني: الانتقادات بسبب تخريج الأحاديث النبوية

المبحث الثالث: الانتقادات بسبب العزو والإحالة إلى المصادر

المبحث الرابع: الانتقاد بسبب اعتماده على مصادر غير مرغوب فيها

المبحث الأول: الانتقاد بسبب منهجه في تفسير آيات الصفات

المطلب الأول: رأي المنتقدين في تفسير الصابوني لآيات الصفات

الأمر البارز في انتقادات المنتقدين على الشيخ الصابوني وتفسيره، كان في مسألة تأويله لآيات الصفات، حتى قال عنه الشيخ بكر أبو زيد: "مسخ عقيدة السلف بزيغ عقيدة الخلف التي نزلها في تفسير الإمامين السلفيين: شيخ المفسرين ابن جرير الطبري ، والحافظ ابن كثير القرشي ، في مختصريه لهما ، وفي صفوة التفاسير، وإن هذه نكاية عظيمة بأهل السنة في تحريف مصادر لهم مهمة في الاعتقاد السلفي ، تحت اسمي (الاختصار والتصفية)"[1].

وتعاظم هجوم بعض النقاد على فضيلة الشيخ الصابوني، حتى وصفه الشيخ محمد سعيد القحطاني بأنه أجهل طلاب العلم بأمور العقيدة، وعلل ذلك بقوله: "إن الرجل ينطلق من منطلق فاسد، وهو قياس صفات الباري على صفات خلقه"[2].

ورأى بعض الناقدين أن الشيخ الصابوني قد اتبع منهج الأشاعرة في التأويل، قال الشيخ ابن جبرين عن صفوة التفاسير: "هذا الكتاب قد اجتهد فيه مؤلفه، وجمعه من عدة تفاسير، واطلع على أقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين؛ لكن المؤلف على معتقد الأشاعرة في الأسماء والصفات، وقد ظهر أثر عقيدته في الكثير من الآيات التي تعرض لتأويلها، وصرف دلالتها، ولو على وجه الرمز والاختفاء، وهي معلومة لكل مسلم صحيح المعتقد"[3].

بل وادّعا الشيخ صالح الفوزان بأن الشيخ الصابوني كان يتهرب من تفسير الآيات بما هو معلوم عند أهل السنة إلى التأويل، فقال: "إن الشيخ يتهرب من تفسير آيات الصفات بالأحاديث التي جاءت توضحها، كما في آية: (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ)[4]، وآية: (هُوَ الأول وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ)[5]، وآية: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ)[6]، ويفسرها بما فسرها به نفاة الصفات"[7].

---

[1] – بكر أبو زيد: **التحذير من مختصرات الصابوني**، ص6.

[2] – زينو، محمد جميل: **التحذير الجديد من مختصرات الصابوني**، تقديم: بكر أبو زيد، (المملكة العربية السعودية، الرياض، دار التحف النفائس الدولية، ط1 – 1416هـ)، ص74.

[3] – انظر: http://www.tafsir.net/vb/tafsir10831/#ixzz2RC7iYpQ6.

[4] – سورة سبأ، الآية 23.

[5] – سورة الحديد، الآية 3.

[6] – سورة القيامة، الآية 42.

[7] – الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله: **البيان لأخطاء بعض الكتاب**، (بلا طبعة ولا دار نشر)، 43/1.

وقد جمع زينو الآيات التي انتقدت على صفوة التفاسير خاصة في أمور العقيدة، وتكلّم عنها في كتاب أسماه **(تنبيهات هامة على كتاب صفوة التفاسير)**[1].

المطلب الثاني: رد الصابوني على هذا الانتقاد

تردد الصابوني كثيرا قبل أن يرد على تلك الانتقادات، بل إنه لم يكن يريد الشروع بالرد على تلك الانتقادات؛ حتى أقنعه فضيلة الشيخ حسن عباس الشربتلي بذلك، وبما أن لتأويل الشيخ الصابوني دلالة من الشرع ؛كان لابد له من الشروع بالرد.

وكان رد الشيخ الصابوني على ما انتقد به ردّين علميين، الأول عام، والثاني خاص، وقد فصّل الرد في كلا الحالتين.

المسألة الأولى: الرد العام

ردّ الصابوني في البداية على منتقديه بجملة من النقاط، والتي بيّن فيها الأسلوب الحكيم للنصيحة، والطريقة المثلى في النقد، واحترام العلماء، وقد اشتملت ردود الشيخ الصابوني العامة على جملة من النقاط أهمها[2]:

أولا: ذكّر المنتقدين بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أو لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أو يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ الناس إليه أَدْخَلَهُ الله النَّارَ)**[3].

ثانيا: نبه على حرمة المؤمن وكرامته، فقال "ابت

ليت الأمة الإسلامية في هذه الأزمان بأناس لا همَّ لهم إلا التطاول على الناس، للظهور بمظهر العلماء الأفذاذ، لا يرعون حرمة مؤمن، ولا كرامة عالم، في سبيل تقميص ثوب الشهرة بحق أو

---

[1] – انظر، زينو، محمد جميل: **تنبيهات هامة على صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني**، (المملكة العربية السعودية، جدة، مكتبة السوادي للتوزيع، ط3 – 1407هـ – 1987م)، ص7–27.

[2] – انظر، الصابوني: **كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول كتاب صفوة التفاسير**، ص5–12.

[3] – أخرجه الترمذي: **سنن الترمذي**، بَاب ما جاء فِيمَنْ يَطْلُبُ بِعِلْمِهِ الدُّنْيَا، حديث رقم 2654، 32/5، وقال: هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إلا من هذا الْوَجْهِ، وابن ماجة: **سنن ابن ماجة**، بَاب الِانْتِفَاعِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ، حديث رقم 260، 96/1، والحديث حسن، انظر، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، (المكتب الإسلامي)، حديث رقم 6383، 1091/2.

باطل، يتقنون الهدم، ولا يعرفون البناء، يتربصون بالمسلم الزلة في كلامه أو قلمه أو لسانه، أو ليخبوا فيها ويضعوا، ويشهروا به، ويتصيدون بعض الهنات، لينفخوا فيها ويكبروها، حتى تصبح الحبة قبة، ويجعلوا منها سلما لامتطاء صهوة الشهرة باسم الغيرة على الدين، والدفاع عن عقيدة السلف، وما هم من أدب أهل العلم، وسيرة السلف الصالح في فتيل لا قطمير"[1].

ثالثا: بيّن الصابوني الدافع من وراء هذا العمل الذي قاموا به، فقال: "وليس الدافع لأمثال هؤلاء إلا الحسد وحب الشهرة، الذي هو مفسد للدين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ وَالْبَغْضَاءُ هي الْحَالِقَةُ حَالِقَةُ الدِّينِ لاَ حَالِقَةُ الشَّعْرِ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لاَ تُؤْمِنُوا حتى تَحَابُّوا أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بشيء إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ)**"[2][3].

رابعا: أوضح الصابوني الفرق بين النصيحة والفضيحة، فقال: "النصيحة شيء، والتشهير والفضيحة شيء آخر، وقد يُلبِّس إبليس على الإنسان عمله، فيصوِّر له أن هذا التجريح والتشهير بالناس هو من الغيرة على دين الله عز وجل، فينخدع بذلك المسكين، ويُعدّ العدّة للنهش في عرض أخيه المسلم، وما هو إلا من (تلبيس إبليس)، وجري مع هوى النفس في حب الشهرة والظهور"[4].

خامسا: اعترف الصابوني ببشريته، وأن النفس البشرية مهما علت فلن تصل إلى الكمال، بل إن كل نفس بشرية يعتريها النقص والقصور، فقال: "من الذي لا يخطئ منا حتى يقرّ له بالعصمة؟ ومن الذي لا تقع منه هفوة ولا زلة؟ فكل بني آدم خطّاء، وخير الخطّائين التوّابون، وقديما قال بعض الحكماء: **(ليس الفاضل من لا يغلط، إنما الفاضل من يَعدُّ غلطه)**، وما أحسن ما قيل: **(كفى بالمرء نبلا أن تُعدّ معايبه)**"[5].

---

[1] – الصابوني: **كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول كتاب صفوة التفاسير**، ص5-6.

[2] – أخرجه الإمام أحمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم 1412، 164/1، والترمذي: **سنن الترمذي**، حديث رقم 2510، 664/4، والحديث صحيح، انظر، الألباني: **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، حديث رقم 3362، 634/1.

[3] – الصابوني: **كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول كتاب صفوة التفاسير**، ص6-7.

[4] – المصدر السابق، ص7.

[5] – الصابوني: **كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول كتاب صفوة التفاسير**، ص8.

المسألة الثانية: الرد الخاص

بيّن سابقا منهج الصابوني في التعامل مع آيات الصفات، ومتى كان يلجأ إلى التأويل، وكان سلفي المنهج في تعامله مع آيات الصفات، وأنه كان يؤوّل الآيات المتفق على تأويلها، إلا القلة القليلة من الآيات، وكان له وجهة فيما ذهب.

وأما عن موقف الصابوني من العقيدة الأشعرية؛ فقد تبيّن أن هذه الفرقة ليس لها ذكر في صفوة التفاسير، في حين أن أهل السنة والسلف الصالح تكرر ذكرهم في التفسير مرارا وتكرارا، وقد تبيّن ذلك من صلب صفوة التفاسير وبخاصة في قول الله تعالى: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً)[1]، وكيف أنه أثبت أن كلام الله عز وجل حروف وأصوات مسموعة؛ إلا أنها تختلف في مكنونها عن أصوات البشر[2].

وقد تبيّن سابقا أن الصابوني قد اتّبع منهج السلف الصالح في آيات العقيدة، مع استلهام بعض أوجه التأويل غير المغالى فيه عند الأشاعرة، لذا نجده دائما ينتصر لأهل السنة، ويرد على مخالفيهم، فهو على ذلك لا يكون أشعريا، بل سلفيّا.

وقد ردّ الصابوني على كل الآيات التي انتقدت عليه ردا خاصا يتعلق بكل آية، وقد تقدّم ردّه على تأويل آية: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاق)[3]، وكيفية عرضة لأقوال السلف، وتبيّن أن هذه الآية ليست من آيات الصفات، بل إنه لم يرد قول واحد عن السلف أن الساق هنا هي (ساق الله عز وجل)، بل لم ينقل هذا أحد من المفسِّرين، قال الصابوني: "فهل جميع السلف كانوا على جهل بمعنى الآية الكريمة، وكانوا على ابتداع وضلال حينما فسّروها بالهول والشدّة؟ وماذا يبقى من خير في الأمة إن كان كبار الصحابة والتابعين على ضلال؟"[4].

وينبغي الإشارة إلى أن كثيرا من الانتقادات الموجهة إلى الصابوني كانت على الطبعات الأولى من الصفوة، والمعلوم أن المنهج العلمي في هذا؛ أن الناقد لابد له من الرجوع إلى الطبعة الأخيرة الصادرة للكتاب، لا الطبعة الأولى.

---

[1] – سورة النساء، الآية 164.

[2] – انظر المبحث الأول من الفصل الخامس من هذه الرسالة، ص 164.

[3] – سورة القيامة، الآية 42.

[4] – الصابوني: **كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول كتاب صفوة التفاسير**، ص18.

فمن ذلك أن الشيخ محمد زينو انتقد على الصابوني تأويل اليد بالذات في قوله تعالى: (قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)[1]، قال الشيخ زينوا: "قال الصابوني في تفسيره: (أي قال له ربه: ما الذي وصدك عن السجود لمن خلقت بذاتي)، فالآية صريحة في إثبات اليدين لله تعالى، فلا أدري ما الذي حمله على هذا التفسير، وهو استبدال لفظ (بيدي) بلفظ (بذاتي) وهو يعلم أن مذهب السلف إثبات اليدين لله تعالى على الوجه الذي يليق بجلاله، من غير تشبيه، ولا تجسيم، إلخ"[2].

فالشيخ زينو قد نقل هذا التأويل عن صفوة التفاسير في طبعته الأولى، وقد بين الشيخ الصابوني ذلك فقال: "أنا أعترف بأن العبارة كانت تحتاج إلى زيادة توضيح، بأن يقال: لمن خلقته بذاتي بيديّ من غير واسطة أب أو أم، وقد عدّلت العبارة في الطبعة الأخيرة من الصفوة"[3].

وقد رجعت إلى صفوة التفاسير لأرى قول الصابوني في الآية، فوجدت التأويل ليس على الصورة التي نقلها الشيخ زينو، بل على التأويل المعدّل، قال الصابوني في تفسيرها: "أي قال له ربه: ما الذي صرفك وصدك عن السجود لمن خلقته بذاتي؟ من غير واسطة أب وأم؟ قال القرطبي: أضاف خلقه إلى نفسه (تكريما لآدم)، وإن كان خالق كل شيء، كما أضاف إلى نفسه الروح، والبيت، والناقة، والمساجد، فخاطب الناس بما يعرفونه"[4].

فالشيخ زينو لم ينقل عبارة **(من غير واسطة أب وأم)**، وكان الأولى به أن يرجع إلى الطبعات المنقحة.

وقد ناقش الصابوني الشيخ زينو في كل آية ادّعى أن الحق فيها مجانب لما فسّر به الصابوني بعض آيات الصفات، فكان الصابوني ينقل أقوال السلف الذين فسّروا الآيات على التفسير الذي ذكره، ويجلي الحكمة التي اتّبعها في ترجيحه لهذا التفسير، ومن أراد الاستزادة فليراجع كتابه: **(كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول كتاب صفوة التفاسير)**.

---

[1] – سورة ص، الآية 74.

[2] – زينو: **تنبيهات هامة على كتاب صفوة التفاسير**، ص14.

[3] – الصابوني: **كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول كتاب صفوة التفاسير**، ص40.

[4] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 126/3.

المبحث الثاني: الانتقاد بسبب تخريج الأحاديث النبوية

انتُقد على الشيخ الصابوني في تفسيره صفوة التفاسير احتجاجه بالأحاديث الضعيفة، وعد بيان درجة الأحاديث من الصحة، أو عدم الاعتماد على الأحاديث الصحيحة دون غيرها، وهذا بيان ذلك:

المطلب الأول: رأي المنتقدين

انتُقِد الشيخ الصابوني على إيراده جملة من الأحاديث التي لا تصح، بل إن بعض هذه الأحاديث كان شديد الضعف، مما جعل الشيخ محمد زينو يقول: "لقد زين الصابوني تفسيره في أول ورقة بأربعة أحاديث بعضها موضوع، وتخريجها كلها خطأ، ولا تخفى على طالب علم"[1]، ثم ذكر هذه الأحاديث، ونقل أقوال الأئمة في الحكم عليها.

وأما الشيخ الفوزان فقد انتقد الشيخ لعدم حكمه على الأحاديث التي يوردها في تفسيره، فقال: "يورد في الكتاب كثيرا من الأحاديث في أسباب النزول، ولا يبين درجتها من الصحة وعدمها"[2].

وأما الشيخ بكر أبو زيد فكان شديد القسوة على الصابوني؛ إذ ذكر أمثلة لبعض الانتقادات على الصابوني، عنونها بقوله (أمثلة لجهالاته في السنة النبوية)[3]، وذكر فيها جملة من الانتقادات منها[4]:

أولا: أنه عزا أحاديث ولا يصح العزو كله أَو بعضه.

ثانيا: أَثبت قصة ثعلبة بن حاطب، وهي موضوعة.

ثالثا: أَوهم في العزو إلى البخاري فأَطلق وهو خارج الصحيح ، ونسب الحكم على حديث إلى غير قائله.

رابعا: التزم أَن لا يذكر إلا حديثاً صحيحاً؛ فذكر المراسيل والضِّعاف والواهيات ولم يبين.

---

[1] – زينو: **تنبيهات هامة على كتاب صفوة التفاسير**، ص28.

[2] – الفوزان: **البيان لأخطاء بعض الكتاب**، 43/1.

[3] – ونحن ننزه الشيخ الصابوني عن هذا الكلام، بل ونرى أنه إمام في السنة النبوية، كما أنه إمام في التفسير، ومن أراد أن يستوثق من ذلك، فليراجع مؤلفات الشيخ الصابوني، وعلى رأسها مؤلفاته الحديثة التي شرح فيها الكتب الستة.

[4] – انظر، بكر أبو زيد: **التحذير من مختصرات الصابوني**، ص21.

المطلب الثاني: ردّ الشيخ الصابوني

حدّثني الصابوني[1] أن هذه الأحاديث الضعيفة التي رواها إنما رواها لأنها وإن ضعفها بعض العلماء فإن البعض الآخر قد صححها، وهو ليس محدِّثا بل مفسر، فنقل هذه الروايات منه ليست منقصة؛ ما دام أنه اعتمد على الأئمة أصحاب الشأن في هذا التخصص.

وهذا الأمر هو ما فعله الشيخ الصابوني في رده على الشيخ زينو، حيث ادّعى الآخر أن الصابوني زيّن كتابه في أول ورقة بأربعة أحاديث بعضها موضوع[2]، مع أن هذه الأحاديث الأربعة ليست من كلام الصابوني، بل من كلام الشيخ الشربتلي، قال الصابوني في رده عليه: "قاتل الله الحسد، وسوء الظن، والبهتان، أما تتقي الله؟ تنسب إلى الشخص ما لم يفعله، وتقول عليه زورا وبهتانا ما هو منه بريء، لماذا لا تذكر للناس الحقيقة، أن الطبعة التي ذكرها السيد الشربتلي وخرجت باسمه خاصة، هي التي ذكرت فيها هذه الأحاديث؟ كيف تحمِّلني وزر غيري، وأنت تعلم أن الكلمة التي ذُكرت فيها الأحاديث هي من كلام السيد الشربتلي، وتحمل اسمه خاصة، والله تعالى يقول: (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)[3]، هل رأيتها في الطبعات الأولى من كتبي؟ أم هي خاصة بطبعة السيد الشربتلي، فقد اعتمد على بعض الموظفين عنده، فوضعها في مقدمة طبعته"[4].

ثم بدأ الصابوني بتخريج الأحاديث التي ذكرها الشيخ زينو، وبعد التحقيق أثبت أن ثلاثة منها صحيحة، ونقل أقوال الأئمة في الحكم عليها، وبيّن أن الخطأ كان فقط في نسبة الأحاديث، فالذي كان في البخاري ذكره في الترمذي، والذي كان عند الترمذي وثقه من البخاري، وهذا أمر كثير في المطبوع، سواء من مؤلفه، أو من الناسخ المتولي طباعته[5].

أما الحديث الرابع، وهو: **(أشراف أمتي حملة القرآن)**[6]، فقال الصابوني عنه إنه ليس بموضوع بل ضعيف، في سنده راو ضعيف، وإنما هو كما قال المناوي: حديث ضعيف، وليس هو بباطل ولا موضوع، والحديث الضعيف كما هو معلوم عند أهل الحديث يعمل به في فضائل الأعمال، ولا

---

[1] – في زيارتي له يوم الأربعاء، الموافق: التاسع من جمادي الأولى (5)، من سنة (1434هـ)، العشرين من شهر مارس، من العام (2013م)، في منزله الكائن في حي الإسكان في مكة المكرمة.

[2] – انظر، زينو: **تنبيهات هامة على كتاب صفوة التفاسير**، ص28.

[3] – سورة الإسراء، الآية 15.

[4] – الصابوني: **كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول كتاب صفوة التفاسير**، ص66-67.

[5] – انظر، الصابوني: **كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول كتاب صفوة التفاسير**، ص69.

[6] – أخرجه الطبراني: **المعجم الكبير**، حديث رقم 12662، 125/12، والحديث من رواية (نهشل بن سعيد الخرساني عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس).

عبرة بقول الألباني إنه موضوع، أمام أساطين علماء الحديث، المشهود لهم بالعلم والدراية والتثبت، فلم يقل أحد من المحدِّثين إن الحديث موضوع، إنما ذكروا فيه راويا ضعيفا[1].

أقول: ما قاله الشيخ الصابوني غير مسلَّم به، لأن الحديث رواه الطبراني من طريق: (محمد بن عبد اللَّهِ بن بَكْرٍ السَّرَّاجُ الْعَسْكَرِيُّ ثنا إِسْمَاعِيلُ بن إبراهيم التَّرْجُمَانِيُّ ثنا سَعْدُ بن سَعِيدٍ الْجُرْجَانِيُّ عن نَهْشَلٍ أبي عبد اللَّهِ الرَّاسِبِيِّ عَنِ الضَّحَّاكِ بن مُزَاحِمٍ عَنِ ابن عَبَّاسٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر الحديث)، والحديث فيه أكثر من علة:

الأولى: الانقطاع الذي بين الضحاك وابن عباس: قال ابن حبان: "لقى الضحاك جماعة من التابعين، ولم يشافه أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن زعم أنه لقى ابن عباس فقد وهم"[2]، وقال ابن عدي: "كان شعبة ينكر أن يكون الضحاك بن مزاحم لقي بن عباس قط"[3]، وقال الذهبي: "وثقه أحمد وابن معين، وقال عبد الملك بن ميسرة: قلت له: أسمعت من ابن عباس؟ قال: لا"[4].

الثانية: أن فيه راويا ضعيفا جدا، متروك الحديث: وهو نهشل الراسبي، قال الطيالسي، وإسحاق بن راهويه: كذاب، وقال ابن معين، وأبو داود: ليس بشيءٍ، وقال أبو زُرْعَة، والدارقطني: ضعيف، وَقَال أبو حاتم: ليس بقوي، متروك الحديث، ضعيف الحديث، وَقَال النَّسَائي: متروك الحديث[5]، وقال الذهبي: واه[6]، وقال ابن حجر: متروك وكذبه إسحاق بن راهويه[7].

فهذا الحديث ضعيف جدا، ولا يؤخذ به في فضائل الأعمال، لأن من أخذ بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال؛ اشترط ألا يكون ضعفه شديدا، قال السيوطي: "ذكر شيخ الإسلام له ـ أي

---

[1] – انظر، الصابوني: **كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول كتاب صفوة التفاسير**، ص69–70.

[2] – ابن حبان، **الثقات**، ترجمة رقم 8683، 480/6.

[3] – ابن عدي: **الكامل في الضعفاء**، ترجمة رقم 944، 95/4.

[4] – الذهبي: **الكاشف**، ترجمة رقم 2437، 509/1.

[5] – انظر، المزي: **تهذيب الكمال**، ترجمة 6483، 33/30–34.

[6] – الذهبي: **الكاشف**، ترجمة 5884، 327/2.

[7] – ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني **تقريب التهذيب**، (سوريا، دار الرشيد، ط1 – 1406هـ – 1986م)، ترجمة 7198، 566/1.

شروط الأخذ بالحديث الضعيف ـ ثلاثة شروط أحدها أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج من انفرد من الكذابين، والمتهمين بالكذب، ومن فحش غلطه"[1].

وقد سألت الشيخ الصابوني[2] عن هذه الأحاديث التي ذكرها في تفسيره وهي مرد ضعف عند العلماء فقال:

أولا: هو لم يذكر هذه الأحاديث في الاستدلال على حكم معين، بل ذكرها في الترغيب، وفي فضائل الأعمال، وهذا أمر متساهل فيه عند العلماء.

ثانيا: إن هذا الأمر ـ أي التحقق من صحة الأحاديث، واختيار الصحة ـ هو عمل المحدِّثين، والصابوني مفسِّر.

ثالثا: إن الأحاديث التي ذكرها في تفسيره ضخمة جدا، والتحقق منها أمر متعب جدا، ويحتاج إلى وقت طويلا، ويجعل الكتاب طويل جدا، وهذا مخالف لمنهجه في الاختصار.

رابعا: إن هذه الأحاديث كما أن بعض العلماء ضعفها؛ فإن بعضهم قد صححها، وكما أن هذا التفسير للعلماء فهو أيضا للعامة، وما دام أحد من العلماء صححها فلا بأس بذكره للعامة؛ لأنَ أقوال العلماء بالنسبة إلى العامة دليل شرعي، وأما من ضعّف الحديث من العلماء فله ألا يأخذ به.

وما ذكره الشيخ الصابوني لا يصلح لأن يكون مبرِّرا؛ فالأحاديث جزء من كتابه، وتستحق الجهد المناسب لها، وكونه مفسِّرا لا يمنعه من النظر في الكتب المختصة.

المبحث الثالث: الانتقاد بسبب العزو والإحالة الى المصادر

ومن جملة الأمور المنتقدة على الصابوني، وكان ينقل من المصادر دون عزو، أن كان يعزو إلى غير الكتب التي نقل منها، وهذا الأمر اعترف به الصابوني نفسه، قال الصابوني: "الكاتب أخطأ في نسبتها، أو أن الطابع عند طباعتها أخطأ، فجعل ما في الترمذي مكان البخاري، وما في

---

[1] – السيوطي: **تدريب الراوي**، 298/1.

[2] – خلال الزيارة التي قمت بها له في منزله، يوم الأربعاء الموافق: التاسع من جمادي الأولى (5)، من سنة (1434هـ)، العشرين من شهر مارس، من العام (2013م)، بين الظهر والعصر، في منزله الكائن في حي الإسكان في مكة المكرمة.

البخاري مكان الترمذي، وهذا أمر يحصل في كل مطبوع، وتجري في كثير من الكتب مثل هذه الأخطاء"[1].

وقد صرّح الشيخ بكر أبو زيد بهذا الانتقاد، خاصة فيما يتعلق بالاحاديث، فقال: "عزا أَحاديث ولا يصح العزو كله أَو بعضه، وأَوهم في العزو إِلى البخاري فأَطلق وهو خارج الصحيح، ونسب الحكم على حديث إِلى غير قائله"[2].

وقد نصح الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري بأن يعيد الشيخ الصابوني طبع صفوة التفاسير، متضمنا إعادة التوثيق، فقال: "فرأْيي إِعادة طبع الكتاب مجرداً من الأَخطاء المحتوي عليها، ومن أَنواع المجاز التي توسع فيها، ومن توثيق أَي مرجع لا يليق توثيقه والله ولي التوفيق"[3].

وكان ردّ الصابوني أنه عاتب الناقد على الطريقة التي صرّح فيها بهذا النقد؛ فقال: "وهذا أمر يحصل في كل مطبوع، وتجري في كثير من الكتب مثل هذه الأخطاء، فعلام هذا التشويش والتشهير بالباطل والبهتان؟"[4].

وقد سألت الشيخ الصابوني عن عدم التوثيق فأجاب بعدة نقاط[5]:

أولا: أنه كان يقرأ من عدة تفاسير، ويكتب ما اتفقوا عليه، فالأمور غير الموثّقة تكون مذكورة في أكثر من مصدر، وبالتالي فإن توثيق المعلومة على هذا الامر متعذّر.

ثانيا: إن كثيرا من تلك المعلومات كان يذكرها الصابوني بعباراته، فكان يلخِّص عبارات الأئمة بلغته وصياغته، وهذا أمر لا يحتاج إلى توثيق.

ثالثا: إن بعض المعلومات التي لم يوثقها، تكون من أقواله، حتى لو وفقت عبارة غيره من الأئمة.

---

[1] – الصابوني: **كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول كتاب صفوة التفاسير**، ص69.

[2] – بكر أبو زيد: **التحذير من مختصرات الصابوني**، ص21.

[3] – المصدر السابق، ص49.

[4] – الصابوني: **كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول كتاب صفوة التفاسير**، ص69.

[5] – خلال الزيارة التي قمت بها له يوم الأربعاء الموافق: التاسع من جمادي الأولى (5)، من سنة (1434هـ)، العشرين من شهر مارس، من العام (2013م)، في منزله الكائن في حي الإسكان في مكة المكرمة.

رابعا: إن الصابوني اعتمد في تفسيره على الاختصار والإيجاز، وهاذان الأمران يتعارضان مع التوثيق قطعا؛ فالاختصار يقتضي من المؤلف أن يقف على عدة تفاسير، يقرأ أقوال مؤلفيها، ومن ثم يلخِّص ما قالوا بعبارة جامعة مانعة، وهذا الأمر مستحيل فيه التوثيق، وأما الإيجاز فلو وثّق كل معلومة لطال الكتاب، وصار تأليفه شاقا على المؤلف، متعبا ومملا للقارئ، فاكتفى بتوثيق الأمور الهامة التي تحتاج إلى توثيق.

خامسا: إن الصابوني لم يقدِّم هذا التفسير على أنه بحث علمي لابد من توثيق كل معلومة فيه، بل قدَّمه على أنه كتاب يقرأه العامة والخاصة، وهذا الأمر من حيث المنهج متساهل فيه في التوثيق.

المبحث الرابع: الانتقاد بسبب اعتماده على مصادر غير مرغوب فيها

الأمر الثاني الأكثر انتقادا على الصابوني هو اعتماده على كتب الفرق، غير أهل السنة والجماعة، مما جعل المادة العلمية ـ حسب نظر المنتقدين ـ مشوبة، ومضلّلة، وهي خطيرة على القارئ، خاصة العامة، وإليك بيان ذلك:

المطلب الأول: رأي المنتقدين

انتَقَد الشيخُ صالح الفوزان الشيخَ الصابوني في تفسيره، بسبب اعتماده على مصادر غير مرغوب فيها، قال الفوزان: "اعتماده على مصادر غير مرغوب فيها، ووصفه لها بأنها أوثق كتب التفسير، مثل: تلخيص البيان للرضي الشيعي الرافضي المعتزلي، وتفسير الزمخشري المعتزلي، وعلى تفاسير الأشاعرة كالرازي، وأبي السعود، والصاوي، والبيضاوي، وبعض التفاسير العصرية مثل تفسير سيد قطب، والقاسمي، ولا يخفى ما في هذا من التغرير بالقرَّاء الذين لا يعرفون حقيقة هذه الكتب"[1].

ولم يكتف الفوزان باتهام الشيخ الصابوني بمجرد النقل، بل ادَّعى أنه كان ينقل دون تمحيص، قال الفوزان: "وهل أوقعه في الأخطاء الكثيرة في الصفات وغيرها إلا ما نقله عن تلك الكتب بدون تمحيص"[2].

---

[1] – الفوزان: **البيان لأخطاء بعض الكتاب**، 43/1.

[2] – المصدر السابق، 39/1.

وقد انتقد الشيخَ الصابوني أيضا الشيخُ بكر أبو زيد، فقال ما نصّه: "تفسير الكشاف إنما أَلفه الزمخشري على أُصول المعتزلة كما بينه أَئمة العلم، وحذروا من دسائسه فيه، وتفسير الأَلوسي وإن احتوى على كثير مما لا يُستغنى عنه في التفسير؛ فقد شانه بما فيه من تحريفات المتصوفة للقرآن المسماة بالتفسير الإرشاري، فهذان التفسيران ماداما كذلك فلا يصح إطلاق القول عليهما بأَنهما من أَوثق كتب التفسير؛ هذا بالنسبة إلى ما سماه الصابوني من المصادر التي يعتبرها أَوثق التفاسير، وحاشية الصاوي التي وصل الانحراف فيها إلى القول بأَن الأَخذ بظاهر القرآن والحديث أَصل من أُصول الكفر، وإلى إجازة الاستغاثة بغير الله عز وجل فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، كما أَن من مراجع الصابوني بعض كتب المعتزلة، فلا يليق ما دام الأَمر هكذا إطلاق القول بأَن هذه المراجع من أَوثق التفاسير"[1].

المطلب الثاني: رد الشيخ الصابوني

قبل أن نذكر رد الشيخ الصابوني على هذه الانتقادات، لا بُدَّ لنا من أن نقف وقفة حق أمام ما تقدّم من كلام الشيخ الفوزان، فقد اعتبر (تفسير الرازي، والصاوي، والبيضاوي، وسيد قطب، والقاسمي) من المصادر غير المرغوب فيها، وهذا الأمر مرفوض، فكان الأولى بالفوزان أن لا يتسرع بإلقاء التهم، ورد بعض الكتب المشهود لها بالعظمة، والمتصدرة عند أهل السنة، خاصة تفسير الظلال الذي لقي من الشيوع ما لم يلقاه غيره.

ثم إن الاعتماد على تلك الكتب السابقة لم ينفرد به الصابوني، بل إن كل من فسّر كتاب الله، أو كتب في موضوع من المواضيع القرآنية، لابد له من الرجوع إلى الكتب السابقة التي امتازت بميزات كثيرة طغت على بعض الانتقادات لبعض المعلومات التي حوتها.

وقد ردّ الشيخ الصابوني على الفوزان في دعواه تلك، فقال: "إنني أخذت منها ـ أي الكتب المذكورة ـ النواحي البلاغية، لا الآراء الاعتزالية، والحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها التقطها، وقد خدم الزمخشري كتاب الله عز وجل من الناحية البلاغية خدمة جليلة، أظهر في كتابه (معجزة القرآن البيانية)، حتى قال العلماء: خدم القرآن الأعرجان: الزمخشري في تفسير الكشاف، وعبد القاهر الجرجاني في كتابه (أسرار البلاغة)، فما المانع من الاستفادة من كتب المعتزلة في النواحي البلاغية؟

[1] – بكر أبو زيد: **التحذير من مختصرات الصابوني**، ص47–48.

أما آراؤه الاعتزالية فلم أحشرها في كتابي حتى أُلام، بل قد رددت على إنكار الزمخشري والمعتزلة لرؤية المؤمنين لربهم في الآخرة في الجزء الأول، عند قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنظُرْ إِلَيْكَ)[1]، وذكرت أدلة أهل السنة على ثبوت الرؤية في دار النعيم"[2].

فالصابوني رجع إلى الكتب السابقة في النواحي التي أبدعت فيها، ولم يأخذ منها الأمور المتعلقة بالعقيدة، والذي يؤكد ذلك، ما تقدّم من رده على الفرق، خاصة المعتزلة والشيعة.

وقد سألت الشيخ الصابوني عن هذا الأمر فأخبرني[3]: أنه كان ينقل منها الأمور البلاغية، أو الامور التي وافقوا فيها جمهور المفسرين، وكانت من معتقد أهل السنة والجماعة، وإلا فكان ينقل قولهم للرد عليهم.

وما قاله الشيخ الصابوني سليم تماما، فالقارئ لصفوة التفاسير يرى فيه المواطن الكثيرة التي رد فيها الصابوني على الزمخشري، فمن ذلك ما رد على الزمخشري عند تفسيره لقول الله عز وجل: (يأَيُّهَا النَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[4]، قال الصابوني: "وبئس ما قاله الزمخشري[5] في أن هذا كان منه (صلى الله عليه وسلم) في زلة، لأنه حرم ما أحل الله له، فإن هذا القول قلة أدب مع مقام النبوة، وجهل بصفات المعصوم، فلم يكن منه صلوات الله عليه تحريم للحلال كما زعم حتى تعتبر مخالفة ومعصية، وإنما امتنع عن بعض إمائه تطييبا لخاطر بعض أزواجه، فعاتبه الله تعالى عليه رفقا به، وتنويها بقدره، واجلالا لمنصبه عليه السلام، أن يراعي مرضاة أزواجه بما يشق عليه، جريا على ما ألف من لطف الله تعالى به"[6].

فالصابوني ردّ على الزمخشري في الأمور التي خالف فيها أهل السنة، أما الأمور البلاغية، فلا شك أن الزمخشري كان سلطان اللغة، والنقل عنه في هذا الأمر لا يقلل من قيمة المنقول، ولا يقلل أيضا من قيمة التفسير، لأن المفسرين كلهم عالة على الزمخشري في اللغة.

---

[1] – سورة الأعراف، الآية 143.

[2] – الصابوني: **كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول كتاب صفوة التفاسير**، ص117–118.

[3] – خلال الزيارة التي قمت بها له في منزله، يوم الأربعاء الموافق: التاسع من جمادي الأولى (5)، من سنة (1434هـ)، العشرين من شهر مارس، من العام (2013م)، بين الظهر والعصر، في منزله الكائن في حي الإسكان في مكة المكرمة.

[4] – سورة التحريم، الآية 1.

[5] – انظر، الزمخشري: **الكشاف**، 568/4.

[6] – الصابوني: **صفوة التفاسير**، 371/3.

وما قلناه في الزمخشري نقوله في غيره، خاصة الشريف الرضي، فالصابوني لم ينقل منه ما اتصل بمذهبه الشيعي، بل أخذ منه العلوم البلاغية، وإلا فقد انتقد الصابوني الشعية في أكثر من موضع من تفسيره.

الخاتمة

وفي نهاية هذه الرسالة، فإن الباحث لا يسعه إلا أن يحمد الله عز وجل على تمام نعمته عليه، وتوفيقه لإتمام هذا العمل، واللهَ أسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان صاحبه، وأن ينفع به قارئه، وأن يفيد به الإسلام والمسلمين.

وبعد هذه الدراسة، فإن الباحث قد وقف على جملة من النتائج والتوصيات، والتي كانت نتاج هذه الدراسة، والتي هي:

أولا: نتائج الدراسة

أولا: إن صفوة التفاسير تفسير قد اهتم صاحبه بالصنعة الفنية فيه، فرتبه على أفضل ما يرتب مفسر تفسيره، وقد كان هذا الترتيب الجميل من الأسباب التي ادت إلى انتشار هذا الكتاب، وتداوله بين الناس.

ثانيا: اتّبع الصابوني طريقة اجتهادية في التعامل مع السور، من حيث تقسيم السورة إلى وحدات، وتفسير كل مقطع على حدة، مع بيان جوانب هامة تتعلق بكل مقطع من حيث سبب النزول، والقضايا اللغوية والبلاغية.

ثالثا: إن المفسر قد نوع في مصادره في صفوة التفاسير، إلا أنه قد اعتمد في كل جانب على كتب معينة، وهي الكتب المختصة بالجانب الذي قدّمه فيه، فمثلا: قدّم الصابوني كتاب الواحدي في أسباب النزول، والكشَاف في اللغة، وسيّد قطب في القضايا الأدبية التربوية، والرازي في المسائل العلمية...، إلخ.

رابعا: اعتمد الصابوني في صفوة التفاسير على التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، ووازن بينهما، فقدم المأثور عند وجوده، واستخدم العقل في توجيهه.

خامسا: إن صفوة التفاسير كتاب شامل لكثير من العلوم، فقد شمل علم أسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمناسبات، والقراءات، وعلم معاني المفردات، والبلاغة، والنحو...، وغيرها من العلوم، مما يجعله كتاب تفسير شامل.

سادسا: كان الصابوني سلفي المذهب في التعامل مع آيات الصفات، فأثبت لله عز وجل ما أثبت لنفسه، ونفى عنه جل سبحانه ما نفاه عن نفسه.

سابعا: ردّ الصابوني في تفسيره على كثير من أصحاب الفرق المنحرفة، فردّ على الشيعة، والمعتزلة، وغلاة الصوفية، والدّهرية.

ثامنا: مع أن الصابوني قد انتهج في تفسيره منهج الاختصار والإيجاز، إلا أنه لم يهمل جانب الفقه وأصوله، فقد حوى صفوة التفاسير من علم الأصول الكثير، وذكر بعض القضايا الفقهية، دون إهمال لها.

تاسعا: إن الانتقادات الموجهة إلى صفوة التفاسير لم تسلم من الردّ، ولم تقوَ أمام الحجة والبرهان، فمعظم الانتقادات التي انتقدت على صفوة التفاسير كان الحق فيها للصابوني، والقلة القلية كان الحق فيها للمنتقد، وقد أخذ بها الشيخ الصابوني وعدّلها في الطبعات اللاحقة.

ثانيا: توصيات الدراسة

أولا: لابد لكل طالب علم، أو عاميّ، أن يقتني صفوة التفاسير، وأن يطالع فيه قدر الإمكان، لما فيه من الفائدة، ولسهولة أسلوبه، وروعة ترتيبه، فهو كتاب تفسير لا يحتاج إلى معلِّم.

ثانيا: أوصي فضيلة الشيخ الصابوني أن يأخذ بالنصائح التي حوتها هذه الرسالة، وخاصة ما يتعلق بالأحاديث الضعيفة، فالأولى من فضيلة الشيخ أن يهذّب تفسيره منها، خاصة ما اشتد ضعفه منها.

ثالثا: أوصي الذين يتطاولون على العلماء، ويقفون أمام الناس يصدّونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون، أن يتقوا الله عز وجل، وأن يعلموا أن لحوم العلماء مسمومة، فلا يتجرّأوا على اتهام البعض بما ليس فيهم، وألا يتسارعوا في قذف الناس بالباطل، فرب كلمة لا يلقي لها الإنسان بالا تهوي به في قعر جهنم سبعين خريفا.

الباحث

الفهارس العامة

وفيه ثلاثة فهارس:

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
1	اهدنا الصراط المستقيم	الفاتحة	6	92
2	غَيْرِ الْمَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ وَلَاْ الْضَّآلِّيْن	الفاتحة	7	87
3	الْذِّيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ	البقرة	3	156
4	يا أيها الناس اعبدوا ربكم	البقرة	21	43
5	إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً	البقرة	26	152
6	ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ	البقرة	29	148
7	أَتَأْمُرُوْنَ النَّاسَ بالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ	البقرة	44	143
8	ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	البقرة	56	183
9	فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ	البقرة	61	130
10	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا	البقرة	104	119
11	كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ	البقرة	108	117
12	وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ	البقرة	124	136
13	وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ	البقرة	130	31
14	وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ	البقرة	140	43
15	وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ	البقرة	188	164
16	وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ	البقرة	158	146
17	يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ	البقرة	189	40
18	وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَيَواةِ الدُّنْيَا	البقرة	204	70
19	وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِى الأٌ رْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا	البقرة	205	180
20	وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَواةٍ	البقرة	206	181
21	وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ	البقرة	228	184
22	وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلَادَكُمْ	البقرة	233	142
23	وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ	البقرة	234	117
24	وَ ٱلَّذِين يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لاِزْوَاجِهِم	البقرة	240	117
25	ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا	البقرة	259	134
26	مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	البقرة	261	138
27	أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ	البقرة	266	138
28	إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا	البقرة	275	139

29	وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ	البقرة	281	112
30	وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ	البقرة	284	120
31	ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ	البقرة	285	121
32	لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا	البقرة	286	121
33	هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ	آل عمران	7	177،176
34	قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ	آل عمران	26	36
35	لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ	آل عمران	28	109
36	وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ	آل عمران	50	122
37	وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ	آل عمران	81	27
38	وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ	آل عمران	105	185
39	عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ	آل عمران	119	140،134
40	وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الأٌّ خِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا	آل عمران	145	67
41	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ	آل عمران	159	125
42	حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ	آل عمران	173	45
43	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ	النساء	1	43
44	يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ	النساء	11	126
45	فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً	النساء	24	167
46	وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ	النساء	25	73
47	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ	النساء	60	110
48	وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً	النساء	164	191،148
49	وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ	المائدة	5	183
50	وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ	المائدة	6	87
51	وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِى إِسْرَاءِيلَ	المائدة	12	84
52	فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	المائدة	13	120
53	يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا	المائدة	15	121
54	لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ	المائدة	17	170
55	أو يُنْفَوْا من الأرض	المائدة	33	185
56	وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا	المائدة	38	136
57	وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَائِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ	المائدة	44	181
58	فاجتنبوه	المائدة	60	42
59	واللَّهُ بَصِيْرٌ بِمَا يَعْمَلُون	المائدة	71	44

60	فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ	المائدة	89	184
61	يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ	المائدة	109	28
62	وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِىِّ	الانعام	52	107
63	حَتَّى إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا	الأنعام	61	51
64	لاَّ تُدْرِكُهُ الأٌّ بْصَارُ	الأنعام	103	144
65	أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا	الأنعام	114	42
66	قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ	الأعراف	25	159
67	إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآياتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا	الأعراف	40	68
68	قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنظُرْ إِلَيْكَ قال لَنْ تَرَانِيْ	الأعراف	143	165،69
69	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ	الأعراف	172	93
70	وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ	الأنفال	24	137
71	وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ	الأنفال	33	74
72	وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ	الأنفال	60	94
73	وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ	الأنفال	61	34
74	يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	الأنفال	64	99
75	إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ	الأنفال	65	182
76	إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ	الأنفال	66	121
77	وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ	التوبة	75	111
78	مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ	التوبة	113	171،108
79	فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى الدِّينِ	التوبة	122	174
80	قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ	يونس	53	162
81	فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ	يونس	94	140
82	فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَانُهَا	يونس	98	23
83	وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ	يونس	109	128
84	كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُه	هود	1	178
85	فَلاَ تَسْأَلْنِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	هود	46	166
86	منها قائمٌ وحَصِيْد	هود	100	137
87	وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ	هود	110	163
88	الر تِلْكَ ءايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ	يوسف	1	49
89	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون	يوسف	2	50،30
90	أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ	يوسف	16	135

91	وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاأَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ	يوسف	24	85
92	قَالُواْ جَزاؤُهُ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ	يوسف	75	122
93	فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ	يوسف	76	76
94	ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ	يوسف	99	136
95	أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا	الرعد	17	139
96	فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِى أَفْوَاهِهِمْ	إبراهيم	9	140
97	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	الحجر	9	151
98	وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ	الحجر	21	137
99	إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ	الحجر	45	29
100	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ	النحل	90	74
101	وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ	النحل	101	119
102	وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ	النحل	114	ث
103	وَقَضَيْنَآ إِلَى بَنِى إِسْرَاءِيلَ فِى الْكِتَابِ	الإسراء	4	21
104	وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ	الإسراء	12	21
105	وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى	الإسراء	15	194
106	لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا	الإسراء	22	29
107	وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ	الإسراء	23	28،22
108	ولا تقربوا الزنى	الإسراء	32	42
109	أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ	الإسراء	40	22
110	(يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ	الإسراء	71	31
111	وَمَن كَانَ فِى هَذِهِ أَعْمَى	الإسراء	72	140،44
112	عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُودًا	الإسراء	79	64
113	وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ	الإسراء	83	67
114	وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَ رْضِ يَنْبُوعًا	الإسراء	90	22
115	وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا	الإسراء	111	22
116	وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا	الكهف	45	88
117	(أُوْلَائِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأايَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ	الكهف	105	69
118	فتمثل لها بشرا سويا	مريم	17	42
119	فإما ترين من البشر أحدا	مريم	26	42
120	وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ	مريم	64	61
121	فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَى	طه	20	84

122	وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي	طه	27	174
123	واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِيْ	طه	41	137،120
124	فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ	الأنبياء	87	99
125	يا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ	الحج	5	160
126	ومن يُرِدْ فيه بإلحاد بظلم	الحج	25	102
127	وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ	الحج	52	89،71
128	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ	المؤمنون	12	96
129	هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ	المؤمنون	39	33
130	أنؤمن لبشرين مثلنا	المؤمنون	47	42
131	وَمِن وَرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ	المؤمنون	100	156
132	الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ	النور	2	136
133	يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ	النور	31	136
134	وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا	النور	31	92
135	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِى سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ	النور	43	97
136	وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ	الفرقان	27	181
137	إِلاَّ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً	الفرقان	70	69
138	فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُنَ	الشعراء	94	33
139	إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى	النمل	80	158
140	إِنَّكَ لاَ تَهْدِيْ مَنْ أَحْبَبْت	القصص	56	108
141	وَلَهُ الْحُكْم	القصص	70	163
142	كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ	القصص	88	153
143	وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	العنكبوت	46	41
144	بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ	لقمان	14	180
145	وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ	لقمان	15	73
146	فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ	السجدة	5	102
147	وَأُوْلُو الأٌ رْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ	الأحزاب	6	121
148	وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّيْنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ	الأحزاب	7	180
149	وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ	الأحزاب	37	152
150	فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا	الأحزاب	49	184
151	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ	سبأ	3	161
152	وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ	سبأ	16	134

153	حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ	سبأ	23	189
154	وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ	سبأ	53	132
155	يا أيها الناس إن وعد الله حق	فاطر	5	43
156	إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ	فاطر	10	68
157	وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُّسَمًّى	فاطر	13	98
158	وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى الْقُبُور	فاطر	22	157
159	أَنْزَلَ مِنَ الْسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنا	فاطر	27	142
160	إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ	فاطر	28	34
161	إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ	فاطر	29	24
162	وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا	يس	38	98
163	وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرجُونِ الْقَدِيمِ	يس	39	98
164	قَالُواْ ياوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا	يس	52	158
165	وَمَن نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْق	يس	68	161
166	أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعاماً	يس	71	154
167	إِنَّ هَذَآ أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً	ص	23	82
168	وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ	ص	24	83
169	قَالَ ياإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ	ص	75	154
170	اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً	الزمر	23	178
171	ويَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِيْنَ ءامَنُوا	غافر	7	182
172	النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً	غافر	46	158
173	وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ	فصلت	19	159
174	وَيَسْتَغْفِرُوْنَ لِمَنْ فِيْ الْأَرْض	الشورى	5	181
175	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ	الشورى	11	146،77
176	مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الأٌّ خِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ	الشورى	20	66
177	اسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ	الشورى	47	126
178	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا	الشورى	52	126
179	أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ	الزخرف	45	140
180	وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا	الجاثية	24	171
181	يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ	الدخان	16	95
182	وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ	الأحقاف	26	90
183	وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ	محمد	6	77

184	وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً	الفتح	20	91
185	وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ	ق	16	138
186	وجاءت سكرة الموت	ق	19	138
187	مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ	الذاريات	42	182
188	وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى	النجم	3	71
189	وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ	القمر	2	100
190	وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ	القمر	17	127
191	إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ	القمر	49	163
192	فَبِأَىِّ ءَالاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ	الرحمن	--	127
193	وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلْالِ وَالإِكْرَامِ	الرحمن	27	153
194	وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ	الواقعة	85	151
195	هُوَ الأول وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ	الحديد	3	188
196	ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ	الحديد	4	148
197	مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كِتَابٍ	الحديد	22	163
198	فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا	المجادلة	3	183
199	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأٌّ رْضِ	المجادلة	7	150
200	يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ	المجادلة	11	180
201	فَأَقِيمُواْ الصَّلواةَ وَءَاتُواْ الزَّكَواةَ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	المجادلة	13	119
202	وَالَّذِينَ جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا	الحشر	10	168
203	يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ	الجمعة	1	32
204	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ	الجمعة	9	45
205	زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ	التغابن	7	162
206	ياأَيُّهَا النَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ	الطلاق	1	130،23
207	وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ	الطلاق	7	99
208	ياأَيُّهَا النَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ	التحريم	1	200،38
209	إِن تَتُوبَآ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا	التحريم	4	142
210	فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ	المعارج	4	102
211	إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً	المعارج	19	67
212	مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَاراً	نوح	25	158
213	ياأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ	المزمل	1	111

214	يأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ	المدثر	1	111
215	وما هي إلا ذكرى للبشر	المدثر	31	42
216	وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ	القيامة	22	166،149
217	إِلَى رَبِّها نَاظِرَةٌ	القيامة	23	166،144
218	يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاق	القيامة	42	191،188،144
219	فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا	النازعات	43	197
220	وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ	التكوير	17	133
221	والْذِّيْ قَدَّرَ فَهَدَى	الأعلى	3	164
222	وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى	الليل	17	169
223	وَالضُّحَى، وَالَّيْلِ إِذَا سَجَى	الضحى	1	22
224	اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ	العلق	1	111
225	سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ	العلق	18	133
226	وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَة	الهمزة	1	181
227	فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَاذَا الْبَيْتِ	قريش	3	128
228	إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر	الكوثر	1	144
229	إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ	النصر	1	50

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
1	أشراف أمتي حملة القرآن	194
2	أن الأخنس بن شريق أتى النبي فأظهر له الإسلام	70
3	إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه	157
4	إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا	68
5	إن الله تعالى بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب	118
6	إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض	164
7	إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما	44
8	إن الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ وإن الضَّالِّينَ النَّصَارَى	87
9	أن أهل مكة سألوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يريهم آية	101
10	أن رجلا من المنافقين يقال له "بشر" كان بينه وبين يهودي خصومة	110
11	أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كان يدخل على زوجه زينب	38
12	أن عبادة بن الصامت ـ وكان بدريا تقيا ـ كان له حلف مع اليهود	104
13	إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس	24
14	انشق القمر على عهد رسول الله فصار فرقتين	101
15	انشق القمر على عهد رسول الله شقتين	101
16	إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر	166
17	إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر	149
18	إنه ليُغان على قلبي فأستغفر الله	90
19	إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة	64
20	بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج	74
21	تَكُونُ الْأَرْضُ يوم الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بيده	80
22	تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى	71
23	خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر في المقابر	108
24	خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ	75
25	دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ وَالْبَغْضَاءُ هي الْحَالِقَةُ	190
26	ربح البيع صهيب، ربح البيع صهيب	20
27	سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله اكبر، من الباقيات الصالحات	88

28	سبحان من يسبح الرعد بحمده	43
29	عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين	73
30	فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم	166
31	كان فِيمَا أُنْزِلَ من الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ	118
32	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم	41
33	لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ولا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا	81
34	لقيتُ إبراهيم ليلةَ أُسري بي	88
35	لما افتتح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مكة	36
36	لما حضرت أبا طالب الوفاة	108
37	لما نزل قوله تعالى: (وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ)	120
38	اللهم فقهُ في الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ	101
39	لو لبثتُ في السجن ما لبثَ يوسفُ لأجبتُ الداعي	44
40	مر الملأ من قريش على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)	107
41	من طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أو لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ	190
42	من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة	24
43	من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة	25
44	والذي نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم	157
45	والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة	77
46	والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن	102
47	ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطيقه	36
48	ويل للأعقاب من النار	87
49	يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا	61
50	يا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ	80
51	يُؤتى بالرجل الطويل الأكول الشروب	64

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- إبراهيم مصطفى، وآخرون: **المعجم الوسيط،** مجلدين، (تركيا، استانبول، المكتبة الإسلامية. ط2 – 1392هـ –1972م).
- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي: **تفسير القرآن (تفسير ابن أبي حاتم)**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (صيدا، المكتبة العلمية).
- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الجزري الدمشقي الشيرازي الشافعي: **منجد المقرئين ومرشد الطالبين،** (بيروت، دار الكتب العلمية، 1400هـ –1980م).
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: **نواسخ القرآن،** (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1405هـ).
- ----------: **زاد المسير في علم التفسير،** (بيروت، المكتب الإسلامي، ط3 – 1404هـ).
- ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي: **إعلام الموقعين عن رب العالمين،** تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (بيروت، دار الجيل، 1973م).
- ----------: **زاد المعاد في هدي خير العباد،** تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، (الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط14 – 1407هـ – 1986م).
- ----------: **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل،** تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، (بيروت، دار الفكر، 1398م).
- ابن تيمية أبو العباس، تقي الدين أحمد عبد الحليم الحراني: **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير،** تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، (مكتبة ابن تيمية، ط2).

- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد عبد الحليم الحراني: **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، (مكتبة ابن تيمية، ط2).
- ----------: **مقدمة في أصول التفسير**، تحقيق: عدنان زرزور، (بلا دار نشر، ط2 – 1392هـ – 1972م).
- ----------: **منهاج السنة النبوية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، (مؤسسة قرطبة، ط1 – 1406هـ).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١ – 2001م).
- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي: **الثقات**، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، (دار الفكر، ط1 – 1395هـ – 1975م).
- ----------: **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، (حلب، دار الوعي، ط1 – 1396هـ).
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت، دار الجليل، ط1 – 1412هـ – 1992م).
- ----------: **تقريب التهذيب**، (سوريا، دار الرشيد، ط1 – 1406هـ – 1986م).
- ----------: **تهذيب التهذيب**، (بيروت، دار الفكر، ط1 – 1404 هـ – 1984م).
- ----------: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محيي الدين الخطيب، (بيروت، دار المعرفة).
- ----------: **الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 – 1418هـ).

- ابن حزم، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد: **الإحكام في أصول الأحكام**، (القاهرة، دار الحديث، ط1 – 1404هـ).
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري: **الانتقاء في فضائل الثلاث الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم**، (بيروت، دار الكتب العلمية).
- ----------: **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري، (المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387هـ).
- ابن عدي، أبو أحمد عبد الله الجرجاني: **الكامل في ضعفاء الرجال**، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، (بيروت، دار الفكر، ط3 – 1409هـ – 1988م).
- ابن فرجون، برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم، ابن الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد اليعمري: **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومنهاج الأحكام**، تحقيق: جمال مرعشلي، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1422هـ – 2002م).
- ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي: **روضة الناظر وجنة المناظر**، تحقيق: عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط2 – 1399هـ).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء: **تفسير القرآن العظيم، والمشهور بتفسير ابن كثير**، (بيروت، دار الفكر، 1401هـ).
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: **سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار الفكر).
- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي: **لسان العرب**، (بيروت، دار صادر، ط1).
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: **إرشاء العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبو السعود)**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).

- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي: **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وزكريا عبد المجيد النوقي، وأحمد النجولي الجمل، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1422هـ – 2001م).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار الفكر).
- أبو زيد، بكر بن عبد الله: **التحذير من مختصرات الصابوني**، (بلا دار نشر، قام بنشره وصفه: عبد الله السلفي).
- أبو شهبة، محمد بن محمد: **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، (مكتبة السنة، ط4).
- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،(مصر، مؤسسة قرطبة).
- الأحمدي، موسى بن محمد بن الملياني: **معجم الأفعال المتعدية بحرف**، (بلا دار نشر).
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 – 2001م).
- الأشقر، عمر سليمان: **القضاء والقدر**، (الأردن، عمان، دار النفائس، ط6 – 1421هـ – 2000م).
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، (الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1 – 1415هـ – 1995م).
- ----------: **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، (المملكة العربية السعودية، الرياض، دار المعارف، ط1 – 1412هـ – 1992م).
- ----------: **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، (المكتب الإسلامي).

- ----------: **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، أشرف على طباعته: زهير الشاويش، (المكتب الاسلامي، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة).
- الألوسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد: **الإحكام في أصول الأحكام**، تحقيق: سيد الجميلي، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1 – 1404هـ).
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: **التاريخ الكبير**، تحقيق: السيد هاشم الندوي، (دار الفكر).
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (بيروت، اليمامة، دار ابن كثير، ط3 – 1407هـ – 1987م).
- البزار، أبو بكر أحمد بن عمر: **البحر الزاخر (مسند البزار)**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (المدينة، مكتبة العلوم والحكم، وبيروت، مؤسسة علوم القرآن، ط1 – 1409هـ).
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: **تفسير البغوي**، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، (بيروت، دار المعرفة).
- ----------: **معالم التنزيل**، تحقيق: محمد النمر، وعثمان جمعة، وسليمان الحرش، (دار طيبة، ط4 – 1417هـ – 1997م).
- البقاعي، أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ – 1995م).
- البهوتي: منصور بن يونس بن إدريس، **شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى**، (بيروت، عالم الكتب، ط2 – 1996م).
- البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)**، (بيروت، دار الفكر).
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين: **سنن البيهقي الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، 1414هـ – 1994م).

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: **الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)**، (لبنان، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات).
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري: **الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)**، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، (لبنان ء التراث العربي، ط1 – 1422هـ – 2002م).
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **كتاب الحيوان**، تحقيق: أبو عثمان عمرو بن بحر، (لبنان، بيروت، دار الجيل، 1416هـ – 1996م).
- الجديع، عبد الله بن يوسف: **تحرير علوم الحديث**، (لبنان، بيروت، مؤسسة الريان، ط3 – 1428هـ – 2007م).
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف: **التعريفات**، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1403هـ – 1983م).
- الجزائري، طاهر الدمشقي: **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية. ط1 – 1416هـ – 1995م).
- الجعبري: برهان الدين أبي إسحاق: **رسوم التحديث في علوم الحديث**، تحقيق: إبراهيم الميلي، (لبنان، بيروت، دار ابن حزم. ط1 – 1424هـ – 2000م).
- الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف: **الورقات**، تحقيق: عبد اللطيف محمد العبد، (بلا دار نشر).
- ----------: **البرهان في أصول الفقه**، تحقيق: عبد العظيم محمود الديب، (مصر، المنصورة، دار الوفاء، ط4 – 1418هـ).
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري: **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1411هـ – 1990م).

- حمزة ، عمر يوسف: **دراسات في أصول التفسير ومناهجه** ، (قطر، الدوحة، 1410هـ – 1990م).
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي: **لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)**، (لبنان، بيروت، دار الفكر، 1399هـ – 1979م).
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح: **البيان في إعجاز القرآن**، (عمان، دار عمان).
- ----------: **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، (دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ط3 – 1429هـ – 2008م).
- ----------: **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، (الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1 – 1418هـ – 1997م).
- ----------: **التفسير والتأويل في القرآن الكريم**، (عمان، دار النفائس، ط1 – 1997م).
- خلاف، عبد الوهاب: **علم أصول الفقه**، (مصر، مكتبة الدعوة، شباب الأزهر، عن الطبعة الثامنة لدار القلم).
- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن: **سنن الدارمي**، تحقيق: فواز زمرلي، وخالد العلمي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1 – 1407هـ).
- الديب، كمال حامد، **الموجز في علوم البلاغة**، (غزة، منشورات لجنة الإعلام والمطبوعات بمجلس طلاب الجامعة الإسلامية بغزة، 1985م).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، تحقيق: محمد عوامة، (جدة، مؤسسة علو، دار القبلة للثقافة والنشر، ط1 – 1912هـ – 1992م).
- الذهبي، محمد حسين: **الإسرائيليات في التفسير والحديث**، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط4 – 1990م).
- ----------: **التفسير والمفسرون**، (مصر، مكتبة وهبة، ط8 – 1424هـ – 2003م).

- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي: **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1421 هـ – 2000م).
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر: **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، (لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة جديدة – 1415هـ – 1995م).
- الراغب الأصفهاني، أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد: **بيان المختصر لابن الحاجب**، تحقيق: محمد مظهر بقا (المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي).
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (لبنان، دار المعرفة).
- راهيدي، الخليل بن أحمد: **الجمل في النحو**، تحقيق: فخر الدين قباوة، (ط5 – 1416هـ – 1995م).
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن: **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، (السعودية، مؤسسة الرسالة، ط3 – 1418هـ – 1997م).
- الزجاجي، أبو القاسم: **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق: مازن المبارك، (بيروت، دار النفائس، ط3 – 1399هـ – 1979م).
- الزرقاني، محمد عبد العظيم: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (لبنان، دار الفكر. ط1– 1416هـ – 1996م).
- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله: **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، دار المعرفة، 1391م).
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (الكشاف)**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- الزنداني، عبد المجيد بن عزيز: **تأصيل الإعجاز العلمي**، (المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، مطبوعات هيئة الإعجاز العلمي).

- الزيلعي، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد: **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، (الرياض، دار ابن خزيمة، ط1 – 1414هـ).
- زينو، محمد جميل: **التحذير الجديد من مختصرات الصابوني**، تقديم: بكر أبو زيد، (المملكة العربية السعودية، الرياض، دار التحف النفائس الدولية، ط1 – 1416هـ).
- ----------: **تنبيهات هامة على صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني**، (المملكة العربية السعودية، جدة، مكتبة السوادي للتوزيع، ط3 – 1407هـ – 1987م).
- السبكي، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي: **الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي**، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1404هـ).
- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن: **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط1 – 1403هـ).
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)**، تحقيق: ابن عثيمين، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421هـ – 2000م).
- السعيد، عبد الستار: **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، (دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط 2 – 1411هـ –1991م).
- سعيد حوى: **الأساس في التفسير**، (دار السلام، ط1 – 1405هـ – 1985م).
- السليم، فرحان: **اللغة العربية ومكانتها بين اللغات**، (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف).
- سيد قطب، إبراهيم الشاذلي: **في ظلال القرآن**، (دار الشروق، ط17، 1412هـ – 1992م).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **الاتقان في علوم القرآن**، تحقيق: سعيد المندوب، (لبنان، دار الفكر، ط1 – 1416هـ – 1996م).
- ----------: **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، (الرياض، مكتبة الرياض الحديثة).

- ----------: **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، (بيروت، دار الفكر، 1993م).
- ----------: **المزهر في علوم اللغة والأدب**، تحقيق: فؤاد منصور، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1418هـ – 1998م).
- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي: **الاعتصام**، (مصر، المكتبة التجارية الكبرى).
- ----------: **الموافقات في أصول الفقه**، تحقيق: عبد الله دراز، (بيروت، دار المعرفة).
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: **إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول**، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب، (بيروت، دار الفكر، ط1 – 1412هـ – 1992م).
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، (بيروت، دار الفكر).
- الصابوني، محمد علي: **تفسير آيات الأحكام**، (مصر، دار الصابوني، ط1 – 1428هـ – 2007م).
- ----------: **صفوة التفاسير**، (مصر، القاهرة، دار الصابوني، ط1 – 1399هـ).
- الصابوني، محمد علي: **كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول كتاب صفوة التفاسير**، (الأردن، عمان، دار عمار، ط1 – 1409هـ – 1989م).
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب: **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد السلفي، (الموصل، مكتبة الزهراء، ط2 – 1404هـ – 1983م).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **تفسير الطبري**، (بيروت، دار الكتب العلمية).
- عباس، فضل حسن: **إتقان البرهان في علوم القرآن**، (الأردن، عمان، دار النفائس، ط2 – 1430هـ – 2010م).

- العتر، نور الدين: **علوم القرآن الكريم**، (دمشق، مطبعة الصباح، ط1 – 1414هـ – 1993م).
- عدوان، كائنات: **الإسرائيليات والموضوعات في قصة سيدنا سليمان من خلال كتب التفسير**، (بحث مقدم إلى جامعة الأقصى).
- العلائي، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي: **تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شرف الصحبة**، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، (المملكة العربية السعودية، الرياض، دار العاصمة، ط1 – 1410هـ).
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: **المستصفى في علم الأصول**، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1413هـ).
- الفرماوي، عبد الحي: **البداية في التفسير الموضوعي "دراسة منهجية موضوعية"**، (مطبعة الحضارة العربية، ط2 – 1397هـ–1977م).
- الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله: **البيان لأخطاء بعض الكتاب**، (بلا طبعة ولا دار نشر).
- القاسم بن سلام، أبو عبيد البغدادي: **فضائل القرآن**، (بلا طبعة ولا دار نشر).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، (القاهرة، دار الشعيب).
- القصاص، عبد المنعم علي إبراهيم: **دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، (القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية، ط 1 – 1411هـ–1990م).
- القطان، مناع بن خليل: **مباحث في علوم القرآن**، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3 – 1421هـ – 2000م).
- القنوجي، صديق بن حسن: **أبجد العلوم (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم)**، تحقيق: عبد الجبار زكار، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1978م).
- اللوح، عبد السلام حمدان، والدهشان، عبد الكريم حمدي: **مباحث في التفسير الموضوعي "نظرية وتطبيق"**، (بلا دار نشر).

- مالك، أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي: **موطأ الإمام مالك**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (مصر، دار إحياء التراث العربي).
- المبارك، مازن: **نحو وعي لغوي**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2 – 1985م).
- المحبوبي، عبد الله بن مسعود الحنفي: **شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه**، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1416هـ – 1996م).
- المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، والسيوطي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر: **تفسير الجلالين**، (القاهرة، دار الحديث، ط1).
- المزي، أبو الحجاج: **تهذيب الكمال**، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1 – 1400هـ – 1980م).
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- مسلم، مصطفى: **مباحث في التفسير الموضوعي**، (دمشق، دار القلم، ط3 – 1421هـ – 2000م).
- المقري، هبة الله بن سلامة بن نصر: **الناسخ والمنسوخ**، تحقيق: زهير شاويش، ومحمد كنعان، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط1 – 1404هـ).
- المناوي، محمد عبد الرؤوف: **التوقيف على مهمات التعاريف (التعاريف)**، تحقيق: محمد رضوان الداية، (لبنان، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط1 – 1410هـ).
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي: **الناسخ والمنسوخ**، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، (الكويت، مكتبة الفلاح، ط1 – 1408هـ).
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)**، تحقيق: مروان الشعار، (بيروت، دار النفائس، 2005م).
- نعناعة، رمزي: **الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير**، (دمشق، دار القلم، وبيروت، دار الضياء، ط1 – 1390هـ – 1970م).

- نكري، القاضي عبد النبي الأحمد: **دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، تحقيق: حسن هاني فحص، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1421هـ – 2000م).
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: مفيد قمحية، (لبنان، بيروت، دار الكتب العليمة، ط1 – 1424هـ – 2004م).
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير الواحدي)**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق، الدار الشامية، وبيروت، دار القلم، ط1 – 1415هـ).
- وزارة الأوقاف والشؤون الدينية: **الموسوعة الفقهية الكويتية**، (مصر، مطابع دار الصفوة، ط1 – 1427هـ).
- الياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي: **معجم الأدباء، أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1 – 1414هـ – 1993م).
- الشيخ محمد علي الصابوني ـ أطال الله في عمره، وأحسن عمله ـ، وابنه أحمد الصابوني: فقد كان لهما دور كبير في هذه الرسالة، فهما مرجعين أصيلين من مراجع هذه الرسالة، ومصدرين لا يمكن الاستغناء عنهما، فقد زودني بالكثير من المعلومات التي لا يمكن لاحد أن يهتدي إليها من بطون الكتب، خاصة فيما يتعلق بحياة الشيخ الصابوني، وبعض المعلومات التي لم تدون في الكتب، بل كانت مصادرها من الشيخ الصابوني نفسه.
- .http://www.tafsir.net/vb/tafsir10831/#ixzz2RC7iYpQ6

An - Najah National University

Faculty of Graduate Studies

Al-Sabouni and his Approach in Explanation Through his Book "Sfwat Al-Tafaseer"

By

Essam Ahmad Ersan Shehadeh

Supervisor

Dr. Hussen An-Naqeeb

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din), Faculty of Graduate Studies, An – Najah National University, Nablus, Palestine.

2013

Al-Sabouni and his Approach in Explanation Through his Book "Sfwat Al-Tafaseer"

By
Essam Ahmad Ersan Shehadeh
Supervisor
Dr. Hussen An-Naqeeb

Abstract

This study tackes the book that is "safwat at tafaseer", his auther's method and different points of views in different matters. The auther's method and point of view are introduced in the study in an objective and scientifict way without being affected by the auther's own opinion.

The study tackes the auther's name, his life, studies, instructors, his students and his books and their effect. the study also presents the method that the book either in the book arrangement or divisionaccording to the Qoraan verses, the sciences that the book includes, the references that are used besides to the main aspects that the author takes into consideration when transferring and citing the given information.

Later on, the study becomes deeper and more accurate when it investigates the method of the book writer, his own way in presenting his point of view, besides to the included matter in the book.

The study also shows the writer,s own way in interpreting using different methods as "Ms'thur" and "opinion". The study also states the auther's own way ehen dealing with Quraan verses that are in relation with "Aqeedah", especially the verses about qualities, metaphysical issues, Islamic bandsand provisions of religion.

At last, the thesis undertakes the raised boubts on the selected book and his auther, besides to the criticism on both of them. In the book the researcher present the point of view of the critics and their evidences in order not to have an excuse in that. Then, the researcher elaborated on the auther's replies on such criticism showing the points for and against the auther.